مَوسُوعَةُ الأَعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المحـور الحادي عشر

خطـب الجـمعة

غير مرخصة للطباعة

١٨١

خطب الشيخ القرضاوي

١٨

إعــداد

المكتب العلمي للشيخ

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلمَ، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حــزن ولا أذًى ولا غم، حتى الشــوكةِ يُشَــاكُهَا، إلا كَفَّر الله بها من خطاياه**». متفق عليه.

عن سهل بن حنيف، أنَّ النبي ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بَلَّغَهُ الله منازل الشهداء، وإنْ مات على فراشه**». رواه مسلم.

عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ التجار هم الفجار**». **قال: قيل: يا رســول الله، أوليس قد أحــل الله البيع؟ قــال:** «**بلى، ولكنهــم يحدثون فيكذبــون، ويحلفــون، ويأثمــون**». رواه أحمــد، والحاكم وصحَّح إسناده.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١
وحدة الأمَّة بين يَدَي القمَّة(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

بعد أيَّام تنعقد القمَّة الإسلاميَّة في طهران، القمَّة الَّتي تمثِّل خمسًا وخمسين دولة، وهي الَّتي تشترك في مُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي، القمَّة الَّتي تُمثِّل مليارًا ونحو ثلث المليار من المسلمين في أنحاء العالم، القمَّة الَّتي تُمثِّل أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة مُحمَّد ﷺ، الأمَّة الَّتي كلَّفها الله الشهادة على النَّاس، والأستاذيَّة للبشر، الأمَّة الَّتي جعلها الله عَزَّ وَجَلَّ بإسلامها وإيمانها ورسالتها: خير أمَّة أخرجت للناس.

تنعقد هذه القمَّة في هذه الظروف البالغة الدقَّة، والبالغة الحرج والخطر، الظروف الَّتي يمر بها العالم الإسلامي، من مشرقه إلى مغربه، ولولا أنَّ هذه القمَّة الإسلاميَّة قمَّة دورية، تنعقد في كلِّ ثلاث سنوات في عاصمة إسلاميَّة؛ لحاولت القُوى المعادية للإسلام، والكائدة للمسلمين ألَّا تقوم هذه القمَّة ولا تنعقد، كما يحاولون ألَّا تقوم قمَّة عربيَّة، ولا تنعقد قمَّة عربيَّة.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٩٧م.

نسخة مجانية
غير قابلة للطباعة
QaradawiBooks.com

بعد أيَّام تنعقد القمَّة الإسلاميَّة في طهران، يحضرها رؤساء وقادة البلاد الإسلاميَّة أو على الأقلِّ مُمَثِّلون لهم، وهذا أقلُّ ما ينبغي على أمَّة الإسلام، أن يتقارب أبناؤها، وأن يتضامنوا، وأن يعملوا على إزالة الخلاف بينهم، وتقريب صفوفهم بعضهم من بعض؛ سعيًا إلى الوَحْدة الَّتي فرضها عليهم الإسلام.

الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. ويقول الرسول ﷺ: «**لا تختلفوا؛ فإنَّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١).

وحدة الأمة فريضة شرعيَّة، وضرورة واقعيَّة:

إنَّ هذه الأمَّة أمَّة واحدة، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وحَّدت بينها العقيدة، كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، كلمة لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله.

كما وحَّدت بينها القبلة والشعائر الواحدة، كلُّ هذه الأمَّة تُصَلِّي لله صلاةً واحدة، وتتَّجه إلى قبلةٍ واحدة، إلى البيت الحرام، وفي رمضان تصوم رمضان، يُؤَذِّن المُؤَذِّن فيفطر الجميع في وقتٍ واحد، ويطلع الفجر فيمسك الجميع عن الطعام والشراب والنساء في وقتٍ واحد، والحجُّ للجميع.

---

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

كما وحَّدت الآداب هذه الأمَّة، أينما لقيت أخًا مسلمًا واجهك بقوله: السلام عليكم. يقولها العربي والعجمي، أينما لقيتَ المسلمَ وجدتَه يبدأ طعامَه باسم الله، ويختمه بالحمد لله، ويأكل باليمين، ويشرب باليمين.

كلُّ هذه الأمَّة تؤمن بعقائد واحدة، وشعائر واحدة، وآداب واحدة، وقيم أخلاقيَّة واحدة، وتؤمن بشريعة واحدة، ومنهج واحد، مصدره الوحي الإلٰهي، مصدره السماء وليس نابتًا من الأرض. أمَّة إلهها واحد، ورسولها واحد، وكتابها واحد، وعقيدتها واحدة، وقبلتها واحدة، وشعائرها واحدة، وآمالها واحدة، وآلامها واحدة، ومشاعرها واحدة، هذه هي أمَّة الإسلام.

فلا عجب أن يتقارب أبناؤها، وأن يتضامن أهلها، وأن يتجمَّع قادتها وزعماؤها؛ ليفكروا في مصير أمَّتهم، ليحاولوا أن يجدوا الحلول لمشكلاتهم، هذا ما يفرضه عليهم الدِّين، وما يُحتِّمُه عليهم الواقع، اتِّحاد هذه الأمَّة وتقاربها وتضامنها فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدِّين، وضرورة يُحتِّمُها الواقع.

الواقع الَّذي نعيش فيه، العصر الَّذي نحيا فيه هو عصر التكتُّلات الكبرى، ليس فيه مجال للكيانات الصغيرة، الكيانات الصغيرة لا يمكن أن تعيش في هذا العصر؛ إلَّا إذا استعانت بغيرها، فإذا لم تستعنْ بأخواتها وأشقَّائها استعانت بالأجنبي الَّذي لا يريد لها خيرًا، ولا ينشد لها رفعة؛ فأوْلى بأبناء الملَّة الواحدة والعقيدة الواحدة: أن يتجمَّعوا، وأن يتكتَّلوا.

نحن في عصر التكتُّلات الكبرى، رأينا التكتُّل الأوروبي، ورأينا التكتُّل الأمريكي المكسيكي الكندي، ورأينا التكتل الآسيويّ، فينبغي أن يتكتَّل المسلمون باعتبارهم أمَّة واحدة، تجمعهم جوامع، وتربطهم

QaradawiBooks.com

روابط، وتشترك بينهم مصالح، لماذا لا تحاول الأمَّة الإسلاميَّة التغلب على الصعوبات والعقبات والمُعَوِّقات، وتقارب بين أبنائها بعضهم وبعض؟ الكيانات الصغيرة لا قيام لها، ولا بقاء لها في عصرنا هذا، عصر التكتُّلات الكبرى.

إنَّ المسلمين قادرون على أن يُكَوِّنوا كتلة هائلة، وهذا ليس بغريبٍ؛ لقد ظلَّ المسلمون ثلاثة عشر قرنًا ونحو نصف قرن وهم أمَّة واحدة.

كانت لهم دار واحدة اسمها (دار الإسلام)، تتعدَّد أوطانها وأقاليمها، ولكنها كلها تُسمَّى (دار الإسلام)، لهم مرجعيَّة واحدة، مرجعيَّة القرآن والسُّنَّة، مرجعيَّة العقيدة الإسلاميَّة، والشريعة الإسلاميَّة، والقيم الإسلاميَّة.

وكانت لهم قيادة واحدة، تتمثَّل في الخليفة، الَّذي كان هو القائد الأعلى لهذه الأمَّة الواحدة، منذ عهد الخلفاء الراشدين، فعهد الأُمَوِيِّين، فعهد العبَّاسيِّين، فعهد العُثمانيِّين: كانت الأمَّة لها قيادة واحدة، قيادة مركزيَّة.

وبقيت الأمَّة هكذا حتَّى تآمر المتآمرون على هذه القيادة الواحدة، على الخلافة الإسلاميَّة العُثمانيَّة، تآمروا عليها، وكادوا لها، ومكروا بها حتَّى استطاعوا أن يُهدِّموا هذه القلعة التاريخيَّة، وأن يزول آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية العقيدة.

كان في الخلافة العُثمانيَّة عيوب ومآخذ ونقاط ضعف، ولكن كانت على كل حال تُمثِّل وحدة الأمَّة، كان الخليفة يستطيع أن يقول: يا مسلمون، يا أهل لا إله إلَّا الله، يا أمَّة مُحمَّد في شرق الأرض وغربها، هُبُّوا لنجدة المسجد الأقصى. فنجد التجاوب في الشمال والجنوب، والمشرق والمغرب لكلمة هذا الخليفة، فقدت الأمَّة هذه الوحدة.

QaradawiBooks.com

والآن تحاول الأمَّة أن تتقارب؛ فلا بدَّ أن نُقوِّي هذا التقارب، ونشدَّ أزر هذا التضامن، ونسعى إلى التقريب بين أبناء هذه الأمَّة، ونرفض كلَّ كيدٍ يحاول أن يُفرِّق بين أبنائها.

نحن الآن في معركة واحدة، يجب على الجميع، على كل الطوائف أن يواجهوا العدو المشترك، لا تقل لي: سُنِّي أو شيعي، أو مذهبي أو غير مذهبي. كلُّ الأمَّة تقف صفًّا واحدًا، في ساعة المعركة تُنسى كلُّ الخلافات، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

عند المعركة يجب أن تتراصَّ الصفوف في مواجهة العدوِّ المشترك، في مواجهة الصهيونيَّة العالميَّة، والصليبيَّة الدوليَّة، والوثنيَّة الشرقيَّة والغربيَّة، والكائدين للإسلام من كلِّ جنسٍ ولونٍ ودين.

يجب أن يتوحَّد الجميع، فـ«**يدُ الله مع الجماعة**»[١]، و«**مَنْ أراد بَحبوحة الجنَّة فلْيلزمْ الجماعة؛ فإنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»[٢]، و«**مَنْ شذَّ، شذَّ في النَّار**»[٣]، «**إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان، وإنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**» أو «**الشاردةَ**»[٤].

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن ابن عمر.

(٣) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، عن ابن عمر. قلت: وهناك من الدلائل ما يشهد لهذا الحديث، عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]، ومنها أحاديث الطائفة القائمة على الحق إلى قيام الساعة، التي سماها العلماء (الطائفة المنصورة). فليعلم هذا.

(٤) رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والطبراني (١٦٤/٢٠)، وقال الهيثمي في =

QaradawiBooks.com

نحن نريد أن تقوى وحدة هــذه الأمَّة، وأن يتآزر أبناؤها بعضهم مع بعض؛ لمواجهة المخاطر المشــتركة، والأعداء المشــتركين، يجب أن يتعاونوا على أن يكونوا كتلة كبيرة.

ضعف التبادل التجاري بين البلاد الإسلاميَّة:

منذ مدة كنا فــي طهران فــي اجتمــاع البنك الإســلامي للتنمية، ومحافظي البنوك في البلاد الإســلاميَّة، وقرأت للأســف فيما قرأت أنَّ التبادل التجاري بين البلاد الإسلاميَّة بعضهم وبعض لم يتجاوز (٨٪)، هذه الأمَّة الكبيرة تســتورد من أوروبا ومن أمريكا ومن الشرق الأقصى ومن كذا ومن كذا، ولا يســتورد بعضها من بعض، ولا يُشــجِّع بعضها بعضًا، ولا يتبادل بعضها مع بعض؛ لِمَ هذا؟

يجب أن يكون تعاون المســلم أوْلى من التعاون مع غير المســلم، نحن ضعفاء أفرادًا، أقوياء إذا تجمَّعنا، المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته.

ما أحوجنــا فــي وقــت المعركة أن نقــف صفًّــا واحــدًا كالبنيان المرصوص، ننسى المعارك الجانبيَّة، ننســى الخلافات الجزئية، ونذكر شــيئًا واحدًا: أنَّنا أمَّة لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رســول الله، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾، يوالي بعضهم بعضًا، ويساند بعضهم بعضًا، ويتكتــل بعضهم مــع بعــض، ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾، أي: إن لم يوالِ بعضكم بعضًا، ويســاند بعضكــم بعضًا، ويتكتل بعضكــم مع بعض، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

= مجمع الزوائد (٩١٠٨): رواه أحمــد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات؛ إلَّا أنَّ العلاء بن زياد قيل: إنَّه لم يسمع من معاذ.

QaradawiBooks.com

وأي فتنة وأي فساد أكبر من أن يتجمَّع أهل الباطل، ويتفرَّق أهل الحق؟ أن يكون في جانب الكفر والإلحاد والانحلال والإباحيَّة: عمل وإيجابيَّة، وتضامن وتوحُّد وتكتُّل. وفي جانب الإسلام والإيمان والقيم والفضائل: فراغ وسلبيَّة، وتمزُّق وتفرُّق؟! إنَّ الاتِّحاد يُقَوِّي القلَّة، وإنَّ التفرُّق يُضعف الكثرة.

نحن أمَّة كبيرة، ولها إمكانات هائلة، وقد حدَّثتكم فيما سبق عن إمكانات هذه الأمَّة: البشريَّة والماديَّة، والحضاريَّة والروحيَّة، عندنا من القُوى والطاقات ما لا تملكه أمَّة أخرى.

ولكن الَّذي ضيَّعنا هو هذا التمزُّق، وهذا التفرُّق، لم نصبح أمَّة واحدة كما أمر الله؛ بل أصبحنا أممًا كما أراد الاستعمار، لم نعد الأمَّة الإسلاميَّة، بل أصبحنا الأمَّة العربيَّة، والأمَّة التركيَّة، والأمَّة الهنديَّة، والأمَّة الإيرانيَّة، إلى آخره، نحن أمَّة الإسلام.

لا مانع أن توجد شعوب إسلاميَّة، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]. الإسلام لا يلغي الخصوصيات القومية، ولكن الجميع ينتسبون إلى أمَّة واحدة، هذا هو الَّذي ينبغي.

سبب تفرَّق الأمَّة:

الذي فرَّق هذه الأمَّة تعدد الأفكار والمذاهب المستوردة، فهذا يستورد من الاشتراكية والشُّيوعيَّة والثَّوريَّة، وهذا يستورد من الرأسماليَّة والليبراليَّة.

وهناك أيضًا تعدد الولاءات، فهذا يوالي لندن، وهذا يوالي بكين، وهذا يوالي واشنطن، وهذا يوالي باريس، وهكذا تعددت الولاءات؛ فتعدَّدت الوجهات.

QaradawiBooks.com

وهناك كذلك العصبيات القومية، كل واحد يقول: أنا كذا، وليذهب الآخرون إلى الجحيم. لا، أنت مسلم، انتماؤك إلى الإسلام، ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أَبِـي الإِســلامُ لا أبَ لي سِـوَاهُ إذا افتخــروا بقَيْــسٍ أو تَمِيمِ[١]

ثم هنـاك الأنانيات والأهواء الحاكمة، هــذه الأنانيات الَّتي تريد أن تجعل كل إنسان في بلده إمبراطورًا، ولا علاقة له بالآخرين! لن تستطيع أن تبقى وحــدك إذا لم يكن لك مــن إخوانك ظهير ومعيــن، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا**»[٢].

لهذا نرحِّب ـ أيُّها الإخوة ـ بهذه القمَّة الإسـلاميَّة، الَّتي تشارك فيها البلاد العربيَّة والإســلاميَّة عامَّة، وننتظر من ورائها خيرًا، وهي تعلم أنَّنا في وقت بالغ الخطر، بالغ الدقة.

نريد من القمَّة الإسلاميَّة أن تواجه المشكلات بصراحة، وألا تُجامل في الحــق، وأن تُفعِّل هــذا التضامن؛ حتَّى يكون الحضور الإســلامي حضورًا واضحًا بارزًا للعيان، مُجسِّمًا لهذه الأمة.

السعي لإصلاح ذاتِ البَيْن:

هناك مشــكلات كثيرة، هناك الخلافات بين البلاد الإسلاميَّة بعضها وبعض، لا بدَّ أن يسعوا لإصلاح ذاتِ البَيْن، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ فساد ذاتِ البَيْنِ هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعرَ. ولكن تحلقُ الدِّينَ**»[٣].

---

(١) من شعر نهار بن توسـعة اليشـكري، كما في الكامل في الأدب (١٣٣/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف لانقطاعه. والترمـذي في صفة القيامة =

QaradawiBooks.com

وإذا كان القرآن قد أمرنا أن نصلح بين الزوجين المتخاصمين، وأن نُحكِّم في هذه القضيَّة الصغيرة، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥]، فكيف نترك قضايا كثيرة مُعلَّقة بين المسلمين بعضهم وبعض؟! ألا يوجد حكماء يستطيعون أن يُقرِّبوا بين المتباعدين، ويصلحوا بين المتخاصمين، ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾، إذا وُجد أهل النيَّة الطيِّبة والإرادة الصادقة فهم قادرون على أن يوجدوا حلًّا لكل مشكلة.

كيف نترك أفغانستان ـ وقد نصرها الله على أعتى قوَّة إلحادية في الأرض ـ تُضيِّع ثمار هذا النصر، بهذا التقاتل الأحمق بين رفقاء السلاح بالأمس، وفصائل الجهاد بالأمس، كيف تُضيِّع ثمار هذا النصر بسفك دماء بعضهم لبعض؟ وقد قال النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض**»(١).

أعجزت الأمَّة الإسلاميَّة عن أن توجد صيغة لتفرضها على هؤلاء المتقاتلين الأفغان؟ إنَّ الأمَّة إذا صمَّمت تستطيع أن تفعل الكثير!

وإلى متى يظل هؤلاء الصوماليون يقاتل بعضهم بعضًا، وهم لا يكادون يجدون القوت؟ علام يتقاتل هؤلاء الحمقى؟!

ألا يوجد حلٌّ لهذه المشكلات؟ الخلافات الحدودية بين المسلمين بعضهم وبعض، إلى متى تظل هذه الأمور؟!

= (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

حل مشكلات الأمة:

نريد من قمَّة طهران أن تبحث هذه الأمور بحيوية وحزم، وأن تهيِّئ لها من الأسباب ما يجعل لكل مشـــكلة حلًّا، ونحن نعتقد أنَّ الله جعل لكل مشكلة حلًّا، وأنَّه أنزل لكل داء دواءً، وأنَّ لكلِّ عُقدة (حلَّالًا) كما يقولون. المهم أن توجد النيَّة، وتوجد الرغبة، وتوجد الحكمة.

كما نريد من قمَّة طهران أن تهتم بقضايا الأمَّة الإســـلاميَّة، القضايا المعلَّقة من قديم، قضيَّة كشـــمير، لا مجاملة فـــي الحق، لماذا يجاملون الهند على حساب كشمير؟ والهند تقتل كل يوم مَنْ تقتل، تسفك الدماء، تنتهك الحرمات، تُدمِّر المســـاجد، تعتقل البرآء والآمنين، تسجن النَّاس بغير حق، ولا يسألها أحد: لِمَ؟ ولا كيف؟ فضلًا عن أن يقولوا لها: لا. آن لهذه الأمَّة أن تقف موقفًا صُلبًا في قضاياها؛ ليعلم كل مســـلم مهما كان ضعيفًا أن وراءه أمَّة قوية كبيرة.

هناك كذلك قضايا الأقليَّات الإســـلاميَّة، والجاليات الإســـلاميَّة في العالم، إن فرنسا تمنع الطالبة المسلمة أن تُغطي رأسها، وهذا من الحرية الشخصيَّة، والحريَّة الدِّينيَّة!

لم نجد بلدًا إســـلاميًّا احتجَّ على فرنســـا وقال لهم: هذا لا يجوز، لماذا لا تقبلون التنوع، الحضارة الإسلاميَّة قامت على أساس التنوع في الديانات والثقافات، لمـــاذا تفرضون على هؤلاء البنات أن يخالفن أمر الله وأن يخالفن دينهن؟ مع أنَّ الأصل فـــي العِلمانيَّة أن تكون محايدة بالنسبة للدين، لا تقبله ولا ترفضه، لا تواليه ولا تعاديه. لا بدَّ أن تُنظر هذه القضايا.

QaradawiBooks.com

نريد من قمَّة طهـران أن تقف ضد هذه الهجمة الشرسـة من العالم الغربي على الإسلام، وتشـويه كل ما هو إسـلامي، هذه الهجمة الَّتي اعتبرت الإسلام هو العدو الجديد، بعد أن سقط الاتحاد السوفيتي، بعد أن زال الخطر الأحمر، وتقاربوا مع الخطـر الأصفر: أصبح هناك خطر جديد، يرشـحونه لأن يكـون هو العـدو البديل، هو ما سَـمَّوه الخطر الأخضر، الخطر الإسلامي.

لا بدَّ لهذه القمَّة أن تقف ضدَّ هذه المحاولات، الَّتي تُشـوِّه صورة الإسـلام وصورة المسـلمين، وتعتبـر الإسـلام كأنَّه غـول مفترس، والمسلمين كأنهم وحوش، لا تدع شيئًا إلَّا جعلته كالرميم، لا، لا بدَّ من وقفة أمام هذا كلِّه.

ثمَّ هناك قضيَّـة القضايا، القضيَّة المركزيَّة للمسـلمين، القضيَّة الَّتي أصبحت الشغل الشـاغل للأمَّة في وقتنا هذا، القضيَّة الَّتي لا يجوز أن تُنسَى، ولا أن تشغل عنها الشـواغل ـ مهما كانت هذه الشواغل ـ قضيَّة القدس، قضيَّة المسـجد الأقصى، القضيَّة الَّتي تُبيَّت لها المكايد اليوم، القضيَّة الَّتي تعمل إسرائيل ليل نهار لإزالة القدس، لمحو القدس العربيَّة الإسـلاميَّة، وتهويد هذه القدس، وتغيير بنيتها السكَّانيَّة والديموغرافيَّة، وإحاطتها بالمستوطنات، والحفر تحت المسجد الأقصى، والعمل على أن يزول هذا المسجد في حينٍ لعلَّهم يعلمونه من الآن.

هذه القضيَّـة الخطيرة هـي القضيَّة الَّتي أنشـأت مُنَظَّمـة المؤتمر الإسـلامي في سـنة ١٩٦٩م. حينما حاول مَنْ حاول أن يُحرق المسجد الأقصى، واجتمع المسلمون، وتنادى المخلصون بأن يجتمع أهل الإسلام في أوَّل قمَّة لهم، وأنشأت هذه القمَّة الأولى مُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي.

QaradawiBooks.com

هذه القضيَّة لا تزال حيَّة، الآن تطورت قضيَّة المسجد الأقصى، لم تعد محاولة إحراق المسجد، بل محاولة إزالة الهُوية العربيَّة الإسلاميَّة للقدس، وإسرائيل تتبجح بذلك، تقول ذلك علنًا منذ عهد رابين وعهد بيريز إلى عهد نتنياهو، صحيح نتنياهو أشد وقاحة وأكثر صراحة، ولكن كلهم متفقون على هذه القضيَّة، يجب أن نعلم هذا، ولا بد أن يُقاوم هذا الأمر من الأمَّة الإسلاميَّة، فليس المسجد الأقصى ملك الفلسطينيِّين حتَّى يتصرفوا فيه كما يشاؤون، المسجد الأقصى ملك الأمَّة الإسلاميَّة.

وهذه الأمَّة ـ مُمثَّلة في هذه القمَّة ـ يجب أن يكون لها كلمة، يجب أن يكون لها موقف، يجب أن تواجِه هذه الحقيقة بوضوح وجلاء، لا مجاملة، ولا تراجع، ولا استسلام، ولا انهزام أمام أولئك الَّذين يخطِّطون ويدبِّرون، وكأنهم يعملون في فراغ، كأنَّه لا توجد أمَّة عربيَّة، ولا أمَّة إسلاميَّة، ولا أحد في الوجود، يستفزون ويتحدون؛ لأن المنطق منطق الحديد والنار، منطق الترسانة النوويَّة الَّتي تملكها إسرائيل، ولا يملكها أحد غير إسرائيل في المنطقة.

هذه قضايا أمام قمَّة طهران، أملنا أن تبحث هذه القضايا بجد وإخلاص، وأن تكون من اللجان ما يتابع هذه القضايا، وليس المهم تكوين اللجان، ثمَّ تنام اللجان ولا نعرف ماذا يحدث بعد ذلك! نريد متابعة، نريد تطبيقًا، نريد تنفيذًا، هذا ما تنشده الأمَّة الإسلاميَّة في كل مكان، وإلا فلن تغني قمَّة طهران شيئًا إذا أضيف إلى القرارات السابقة قرارات جديدة، ولكن مَنْ يُنفِّذ؟ مَنْ يطبِّق؟ هذا هو الَّذي تنشده أمتنا من القمَّة الإسلاميَّة في طهران.

QaradawiBooks.com

أســأل الله تبارك وتعالى أن ينير طريقهم، وأن يهديهم سبيلهم، وأن يجمع على الحق كلمتهــم؛ حتَّى ينتقلوا من القــول إلى الفعل، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله لي ولكم فاســتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

المصالحة بين قطر ومصر:

منذ يومين ـ أوَّل من أمس ـ حدث حادثٌ يجب أن نُذكِّر به، هو حدث هام في تاريخ هذه الأمَّة في هذا الوقت، هذا الحدث هو تلك المصالحة الَّتي تمَّت بين دولة قطر وجمهورية مصر.

هذا أمر نرحب به، ونرى أنَّ الأمَّة قادرة على أن تحل مشاكلها إذا وجدت من أهل العقل والحكمة مَنْ يتدخلون في الوقت المناسب، وكما قال الله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]. ليس هناك أسوأ من فساد ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، تحلق الدِّينَ وليس الشعر.

لقد قامت معركة لم يكن لها أي موجب ولا أي مبرر بين مصر وقطر، هذه المعركة الَّتي أشعلتها الصحافة، وأشعلتها كلمات غير مسؤولة زادت النار اشتعالًا، ورمى لها مَنْ رمى بالوقود، وما كان الأمر يستحق هذا كله، مؤتمر عُقد حضره مَنْ حضر، وغاب عنه مَنْ غاب، فلِمَ هذا؟ ليست مصر هي أوَّل مَنْ غاب عن هذا المؤتمر، الأمر لا يستحق هذه المعركة.

ولكن لا أدري مَنْ يكيد لنا حتَّى يقع بين بعضنا وبعض مثل ما وقع في الأيَّام الماضية، كنت أتحسَّر وأتمزَّق من داخلي وأنا أرى هذه الحزازات والتوترات، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى لمِّ الشمل، وجمع

QaradawiBooks.com

الكلمة، وتوحيد الصف؛ لنواجه عدونا المشترك، ما الَّذي جرى لهذه الأمة؟ نستجيب لوساوس الشياطين تنزغ بيننا؛ من أجل كلمات غير مسؤولة!

أوجِّه الصحفيين خاصة إلى قول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. الشيطان ينزغ بينهم، يريد أن يُمزِّق صفوفهم، يريد أن يزرع الخلاف والشقاق بينهم، هذا ما يسر كل شيطان مريد، وهذا ما يحزن كل مسلم مخلص، ما كان ينبغي هذا.

نحن نرحِّب بكل خطوة تجمع الشمل، وتلم الصفوف، لنواجه قضايانا المصيرية صفًّا واحدًا. الله تعالى حدثنا عن قصة يوسف، وكيف انتهت بالإخاء والمودة بعد مدة طويلة كاد فيها الإخوة ليوسف، وحدث ليوسف ما حدث من محن، في سلسلة دامية الحلقات، حتَّى قالوا له في النهاية: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١، ٩٢]. هكذا تكون الأخوَّة.

وحينما جمع الله شمله بأبويه وإخوته قال في معرض الشكر والامتنان لله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]. الشيطان ينزغ بين الإخوة بعضهم وبعض؛ فلا ينبغي أن نستجيب لنزغ الشيطان ووساوسه، بل علينا أن نستعلي على هذه النزغات والوساوس.

إنِّي لا أستطيع إلَّا أن أُعبِّر عن تحياتي وشكري لدور المملكة العربيَّة السعوديَّة في هذا الأمر، وهذا ما ينبغي أن يقوم به الكبار

QaradawiBooks.com

والمخلصون، لا يَدَعون الأمور تتفاقم بدون مبـــرر لها، وبدون جدوى منها، لا يستفيد من هذا الخلاف والشقاق إلَّا أعداء الأمَّة، والله لا نستفيد منه مثقال ذرَّة، لا يســتغني قطري عن مصري، ولا مصري عن قطري، ولا تســتغني قطر عن مصــر، ولا مصر عــن قطر، وكل بــلاد العرب والمسلمين كذلك.

إنَّ المملكة العربيَّة قامت بدور رائد في إصــلاح ذاتِ البَيْن، ولهذا نشــكر لخادم الحرمين وولي عهده ما قاما به، ونشــكر لأمير دولة قطر الَّذي ســعى واســتجاب للدعوة، وقال مُعبِّرًا عما حدث: إنِّي آسِف لما حدث من ســوء تفاهم بيــن الشــقيقين، وأرحِّب بلقاء شــقيقي رئيس جمهورية مصر وشــقيقي خادم الحرمين. هذا هو الَّذي نريده، يجب أن نكون أكبر من الأحــداث الَّتي تفرِّق هذه الأمَّة، يجــب أن نكون أعلى منها، وألا نستجيب لوساوس الشياطين، حيَّا الله قطر، وحيَّا الله السعوديَّة، وحيَّا الله مصر، وجمع الله الصفوف، والحمد لله ربِّ العالَمِين.

أســأل الله تبارك وتعالى أن يجمــع كلمة هذه الأمَّــة على الهدى، وقلوبَها على التُّقَى، ونفوسَــها على المحبَّة، وعزائمَها على عمل الخير وخير العمل، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبَنا، وإســرافَنا في أمْرِنــا، وثبِّتْ أقدامنا، وانصُرْنا علــى القوم الكافرين، ربَّنــا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين ســبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذين آمنوا، ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة

QaradawiBooks.com

٢

أُمَّة واحدة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لقد أكرمنا الله تبارك وتعالى بأن جعلنا من أمَّة الإسلام، رضي لنا الإسلام دينًا، وأكمل به النعمة علينا، كما قال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. فنحن المسلمين أمَّة واحدة بهذا الدين، جعلنا الله ﷻ على اختلاف الألسنة، واختلاف الألوان، واختلاف الأجناس، واختلاف الأقاليم، واختلاف الطبقات: أمَّة واحدة.

وهذه حقيقة يجب أن يعيها كل مسلم، أنَّ المسلمين سواء كانوا في شرق الأرض أم في غربها، في شمالها أم في جنوبها، سواء كانوا عربًا أم عجمًا، فُرسًا أم هنودًا أم أتراكًا أم أفغانًا أم أفارقة، أيًّا كانت أقاليمهم، وأيًّا كانت ألوانهم بيضًا أو سودًا أو صُفرًا، وأيًّا كانت لغاتهم وألسنتهم، المسلمون حيثما كانوا أمَّة واحدة، إخوة بعضهم لبعض، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم.

---

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٩ أبريل ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الأمَّة الإسلاميَّة حقيقة وليست وهمًا، بعض النَّاس يريدون أن ينكروا هذه الحقيقة، ويقولون: لا توجد أمَّة مسلمة، هناك عرب، وهناك فرس، وهناك أتراك، وهناك أفغان، وهناك إندونيسيون، وهناك مغاربة، ولا توجد أمَّة مسلمة. وهذا أمر مرفوض تمامًا.

هناك أمَّة مسلمة، وأمَّة واحدة، سواء نظرنا إلى ذلك بمنطق الدين، أم بمنطق التاريخ، أم بمنطق الجغرافيا، أم بمنطق المصلحة، أم بمنطق العصر، أم بمنطق أعداء الإسلام أنفسهم، بأيِّ منطق نظرنا إلى هذه المجموعة البشريَّة الَّتي تُسمى (المسلمين) نجد أنَّها أمَّة واحدة.

١ ـ أمَّة واحدة بمنطق الدِّين:

هم أمَّة واحدة بمنطق الدين، فربُّهم واحد، وكتابهم واحد، ونبيُّهم واحد، وشعائرهم التعبديَّة واحدة، قبلتهم واحدة إلى البيت الحرام، وشريعتهم الَّتي يحتكمون إليها واحدة، وآدابهم واحدة، حيثما لقيت مسلمًا وجدته يأكل باليمين، ويبدأ طعامه باسم الله، ويختمه بالحمد لله، وإذا لقيت مسلمًا وقلت له: السلام عليكم. يقول لك: وعليكم السلام ورحمة الله. أيًّا كانت لغته، إذا عطس المسلم قال: الحمد لله. فإذا قلت له: يرحمكم الله. قال: يهديكم الله ويصلح بالكم. هذه آداب إسلاميَّة مشتركة، غير الأحكام الشرعيَّة الَّتي تجمع بين النَّاس في الزواج والطلاق، والبيع والشراء، إلى آخره.

المسلم حيثما كان له وجهة واحدة، وله خُلق واحد، وله نهج واحد ما دام ملتزمًا بهذا الدين، لا يأكل خنزيرًا، ولا يشرب خمرًا، ولا يأكل الربا. أمَّة تجمعها مجموعة من الأوامر والنواهي والتوجيهات، فمنطق الدين يجعل المسلمين أمَّة واحدة.

QaradawiBooks.com

ولهذا سـمَّاهم الله (أُمَّة)، ولم يجعلهم أممًا، كما يقول بعض النَّاس الآن: الأمم الإسـلاميَّة. ليس هناك أمم إسـلاميَّة، ولكن هناك شعوب إسـلاميَّة لأمَّة واحدة، قال الله في شـأنها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمـران: ١١٠]. وقـال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

بمنطق الدين هنـاك أمَّة واحـدة، بعضهم إخوة لبعـض، جعل الله العنوان الرابط بين هذه الأمَّة هو الأُخوَّة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. والرسول ﷺ يقول: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه**»[(١)]. أي لا يخذله ولا يتخلى عنه، «**وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»[(٢)].

عناصر أساسيَّة للأخوة:

والأُخوَّة تتضمن عناصر ثلاثة أساسيَّة:

المساواة:

العنصر الأوَّل هو المسـاواة، ما دمت أنت أخـي وأنا أخاك؛ فنحن متساوون، لا ينبغي أن يستعلي بعضنا على بعض، «**ألا إنَّ ربَّكم واحد،**

(١) متَّفـق عليه: رواه البخاري فـي المظالم (٢٤٤٢)، ومسـلم في البر والصـلاة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليـه: رواه البخاري فـي الأدب (٦٠٦٤)، ومسـلم في البر والصلـة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى»(١)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، مقتضى الأُخوة المساواة بين الإخوة بعضهم وبعض.

المحبَّة:

ومن العناصر الأساسيَّة للأخوَّة: المحبة، أن يحب الإخوة بعضهم بعضًا، كما قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»(٢). واعتبر الحسد والبغضاء والرذائل المُفرِّقة بين الأمَّة من أدواء الأمم وأمراضها، قال: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر. ولكن تحلق الدِّين**»(٣). فالمحبَّة المطلوبة أن يُحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه.

وأقل مراتب المحبَّة: سلامة الصدر من الأضغان والأحقاد والغل، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، وأعلى مراتب المحبة: الإيثار كما كان الأنصار رضي الله عنهم، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

والإيثار أن تُقدِّم لأخيك الشيء وأنت محتاج إليه، أن تتعب ليرتاح، أن تسهر لينام، أن تجوع ليشبع، أن تقدِّم إليه الزاد وأنت أجوع ما تكون، وتُقدِّم له كأس الماء وأنت تلهث من الظمأ، وأن تُعرِّض صدرك لضربات

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ١٤.

QaradawiBooks.com

السيوف، أو طعنات الرماح، أو طلقات الرصاص؛ لتفديه بنفسك، وهكذا كان المسلمون في الزمن الأول، فعنصر المحبة من أُسس الأخوة.

التعاون والتناصر:

ومن العناصر الأساسيَّة للأخوَّة: التعاون والتناصر، إذا كنا إخوة حقًّا فلا بدَّ على الأخ أن ينصر أخاه، وأن يعاون أخاه، كما قال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا**». وشبَّك بين أصابعه[(١)]. اللبنة وحدها يمكن كسرها وتحطيمها، ولكن اللبنة إذا دخلت في الجدار لبنة مع لبنة، وصف مع صف، وربط بينها الأسمنت ونحوه: أصبحت جدارًا يصعب كسره، فإذا كانت جدارًا في حجرة، وحجرة في طابق، وطابقًا مع أطباق: أصبح صرحًا يصعب هدمه.

وهكذا المؤمن للمؤمن، الإنسان ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته، الإنسان قليل بنفسه، كثير بإخوانه، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»، وخصوصًا في ساعات المعارك، وساعات الأزمات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤].

ليس من مقتضى الأُخوَّة أن تعيشَ وحدك، وتسعدَ وحدك، وتدعَ إخوانك، أن تنام ملء جفنك، وتأكل ملء بطنك، وتضحك ملء سنِّك، وعندك إخوان هناك يبيتون في العراء، إخوان يئنُّون من الجوع، إخوان لك في كوسوفو وفي ألبانيا، وفي هذه البلاد لا يجدون لهم مأوى، ليس هذا من الإيمان، ولا من مقتضى الأُخوَّة في شيء.

(١) سبق تخريجه صـ١٤.

QaradawiBooks.com

وقد صوَّر النبيُّ ﷺ العلاقة العضويَّة بين المسلمين بعضهم وبعض، في حديثه البليغ حينما قال: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثلِ الجسدِ الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحُمَّى والسهر**»[1].

تجسيد وحدة الأمَّة عمليًّا:

منطق الدين إذن يقول لنا: إنَّ هذه الأمَّة أمَّة واحدة. ولم يقل الإسلام ذلك بصورةٍ نظريَّة وينتهي الأمر، ولكنَّه ربط ذلك بمجموعة من الأحكام تُجسِّد وحدة الأُمَّة، أهمُّ هذه الأحكام ثلاثة:

وحدة المرجعيَّة:

أوَّلها: وحدة المرجعيَّة، هذه الأمَّة لها مرجعيَّة عليا واحدة، تتمثَّل في كتاب الله وسنَّة رسول الله، وهي الَّتي تجعل لهذه الأمَّة صراطًا مستقيمًا متميِّزًا، كما روى ابن مسعود: أنَّ النبي ﷺ كان يُعلِّم أصحابه فخَطَّ لهم على الرَّمل خطًّا مستقيمًا، وقال: «**هذا سبيل الله**». ثمَّ خَطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا متعرجة ملتوية، وقال: «**وهذه سبل، وعلى رأس كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**». ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][2].

إذا اجتمعت الأمَّة على صراط الله، على منهج الله، على شرع الله؛ فلن تتفرَّق، ولكن إذا اتَّبعوا السبل، هذا استورد من الشرق، وذاك استورد

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

من الغرب، وهذا مال إلى اليمين، وذاك مال إلى الشـمال؛ فهيهات أن تجمعهـم جامعـة، ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾. فوحدة المرجعيَّة أوَّل الأحكام الَّتي تُجسِّد وحدة الأمَّة.

غير مرخصة للطباعة

وحدة الدار:

وثانيها: وحدة الدار، اعتبرت الشريعة الإسـلاميَّة أوطان المسلمين كلها دارًا واحدة تُسمَّى دار الإسـلام، حيثما كنت في مشرق أو مغرب، وأيًّا كان إقليمك الَّذي تعيش فيه؛ فأنت تعيش في جزء من دار الإسلام، هي دارٌ لكلِّ مسلم، ويجب على كلِّ مسلم أن يدافع عنها، إذا احتُلَّ جزء من دار الإسـلام في أيِّ موقع كان فعلى أهله أن يدافعوا عنه، وعلى مَنْ حولهم أن يعاونوهم، وعلى المسلمين كافَّة أن يكونوا رِدءًا من ورائهم، يشدُّون أزرهم، ويسندون ظهرهم، ويقوُّون عضدهم، ويمدُّونهم بالأموال والسلاح والأنفس إذا احتاجوا إلى ذلك، حتَّى ينتصروا على أعدائهم.

ولذلـك الأصل أنَّ الجهاد علـى أهل البلد فرض عيـن، ولكن إذا عجزوا امتدَّت هذه الفريضة العينيَّة؛ حتَّى تشمل المسلمين كافَّة، لا يجوز أن يُترك المسلمون ليُؤكلوا ويُفترسوا من أعداء الإسلام، والأمَّة الإسلاميَّة تتفرج عليهم، فوحدة الدار هي ثاني الأحكام الَّتي تُجسِّد وحدة الأمة.

وحدة القيادة:

وثالثها: وحدة القيادة، هناك قيادة مركزيَّة واحدة، الخلافة، الخليفة، الإمام الأعظـم، رئيس الدولـة الإسـلاميَّة الأعلى، هـذا واجب على المسـلمين، ليـس الخليفة هـو مجرَّد حاكـم لإقليم ولـو كان يحكم بالشريعة، لا، الخليفة هو حاكم الأمَّة الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما نفقده للأسف، وسنظل مسؤولين أمام الله، والإثم في أعناقنا حتَّى نحقق ذلك، وقد يرفع عنا الإثم أن نسعى في هذا الأمر مع الساعين، حتَّى تتحقَّق الوحدة المنشودة، وتوجد الخلافة المفقودة، النبي ﷺ يقول فيما رواه مسلم، عن ابن عمر: «**مَنْ مات وليس في عُنُقِه بَيْعةٌ، فقد مات مِيتَةً جاهليَّة**»(١).

لا بدَّ من وحدة القيادة المركزيَّة، وليس هذا بغريب أيُّها الإخوة، ليس عجيبًا أن يكون المسلمون أمَّة لها قائد، المسلمون في العالم حوالي ألف وثلاثمائة مليون، ولكنهم في داخل دار الإسلام حوالي تسعمائة مليون، هناك حوالي ألف مليون في الهند وهي دولة واحدة، وحوالي ألف ومائتا مليون في الصين وهي دولة واحدة، بعض النَّاس يستغرب: كيف يمكن أن تكون للمسلمين قيادة واحدة؟ وهذا ممكن لو صحَّت الإرادة وصحَّ العزم، وقد كان المسلمون كذلك طوال التاريخ.

٢ ـ أمَّة واحدة بمنطق التاريخ:

ولذلك نقول: المسلمون أمَّة واحدة بمنطق الدين، وأمَّة واحدة بمنطق التاريخ، كان المسلمون طوال ثلاثة عشر قرنًا أو أكثر أمَّة واحدة، لهم دار واحدة، ومرجعيَّة واحدة، وقيادة واحدة، الخلافة الإسلاميَّة على اختلاف أسمائها، الخلافة الراشدة، والخلافة الأمويَّة، والخلافة العباسيَّة، والخلافة العثمانيَّة، على ما كان في هذه الألوان من الخلافة من عيوب وانحرافات تقل أو تكثر، ولكنها كانت تُمثِّل الأمَّة الواحدة.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥١).

QaradawiBooks.com

كانت الخلافة العُثمانيَّة هي آخر هذه الألــوان من الخلافة، وكانت تُمثِّل الأمَّة الواحدة، كانت تُمثِّل آخر تجمع لأمَّة الإســلام، أمَّة القرآن، أمَّة مُحمَّد، تحت راية العقيدة، راية لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله.

بمنطق التاريخ كنا أمَّة واحدة خلال هذه القــرون، ولم ينفرط هذا العقد إلَّا سنة ١٩٢٤م. حينما قام كمال أتاتورك العلماني الدونمي، الَّذي شك النَّاس في إســلامه وفي ولائه، وقامت على ذلك دلائل شتَّى، قام وألغى الخلافة الإســلاميَّة، وألغى التشريع الإســلامي، وألغى التقاليد الإسلاميَّة، وألغى الحروف العربيَّة، وألغى وألغى، كل هذا فعله خدمة للغــرب وولاء للغرب، فنحن أمَّــة واحدة بمنطق الدِّيــن، وأمَّة واحدة بمنطق التاريخ.

٣ ـ أمَّة واحدة بمنطق الجغرافيا:

ونحن أمَّة واحدة بمنطق الجغرافيــا، إذا نظرت إلى الخريطة تجدها أمَّة متلاصقة، لأنَّ الإســلام كان يمتــد امتدادًا طبيعيًّا مــن بلد إلى بلد مجاور وهكذا، وانظر إلى اللون الأخضر في خريطة العالم الإســلامي الَّذي يُمثِّل المسلمين تجد كتلة من البشر مُتَّصلة بعضها ببعض، فهذه أمَّة لها حقيقة جغرافيَّة، بجوار الحقيقة التاريخيَّة والحقيقة الدِّينيَّة.

٤ ـ أمَّة واحدة بمنطق المصلحة والعصر:

ونحن أمَّة واحدة بمنطق المصلحة ومنطق العصر، لو كُنَّا نتكلَّم باسم المصالح فهل من مصلحتنا نحن المســلمين أن نكون أممًا شــتى؟ لو تكلَّمنا بمنطــق العصر هل من مصلحتنــا أن تكون لنا هــذه الكيانات الصغيرة الهزيلة؟

QaradawiBooks.com

نحن نرى للناس هذه المساحات الهائلة على الخريطة، دول ضخمة، ونجد في بلاد المسلمين دولًا لا تكاد تُرى على الخريطة إلَّا بالمجهر، فهل من مصلحة أمتنا أن تكون هذه الكيانات الصغيرة في عصر لا يمكن أن يبقى فيه الكيان الصغير إلَّا إذا احتمى بالآخرين، واحتمى بالأجانب عن دينه وعن وطنه وعن أهله؟ هذا لا يمكن.

إذا تكلَّمنا بمنطق مصلحتنا ومنطـق عصرنا؛ فلا يمكن أن يكون لنا كيان إلَّا إذا تكتَّلنا، العالم في عصرنا يتكلـم بلغة التكتُّل، لا يمكن أن ننجز إنجـازًا كبيرًا في عالـم العلم، أو عالـم التكنولوجيـا، أو عالم الاقتصاد، أو عالم التقدُّم والحضارة بصفة عامَّة؛ إذا كنا كيانات صغيرة.

نحن نرى البلدان الصناعيَّة الكبرى يشترك بعضها مع بعض من أجل صناعة طائرة متطورة، تشـترك فيها دولتان أو ثلاث دول صناعيَّة كبرى، التكنولوجيا المتطورة تحتـاج إلى قوَّة، ونحن نعـرف الآن أنَّ الإنتاج العريض لا يمكن إلَّا أن يكون في كيان كبير وسوق واسعة.

عرف الغرب ذلـك الآن فبدأ يتكتَّـل تكتُّلات كبيـرة، أوروبا الَّتي عُرفت بالنزاعات والصراعات، والحروب المسـتمرَّة بين بعض أقطارها وبعض لقرون طويلة، سـالت فيها الدماء، وأُزهقـت فيها الأرواح، منذ نابليون، وقبل نابليون، وبعد نابليون، وفي الحرب العالميَّة الأولى، وفي الحرب العالميَّة الثانية، حروب من أن أجل صراعات دينيَّة، وصراعات مذهبيَّة، وصراعات إقليميَّـة، وصراعات لغويَّـة، وصراعات مصلحيَّة، صراعات شتَّى أدَّت إلى هذه الحروب.

ومع هذه الحـروب فالقوم عقلاء، عرفوا أنَّهـم لا ينبغي أن يكونوا أسـرى الماضي، وإنَّما يجب أن يكونـوا أبناء اليـوم، وأن يبحثوا عن

QaradawiBooks.com

مصالحهم الحقيقيَّة، فوجدوا أنَّ المصلحة الحقيقيَّة أن يتوحَّدوا، وأن يتكتَّلوا اقتصاديًّا وثقافيًّا، ويكادون يتَّحدون سياسيًّا فيذيبون الفوارق بين بعض هذه البلاد وبعض.

نحن وحدنا الَّذين لا نزال نُصِرّ على الدولة القُطْريَّة الإقليميَّة المتشددة، فلا يكاد بعضنا يدخل إلى بعض البلاد الأخرى إلَّا بصعوبة، أقمنا الحواجز والعقبات في طريق كل عربيٍّ وكلِّ مسلم.

قديمًا خرج ابن بطوطة من طنجة، وطاف بلاد إفريقيا، وجاء إلى مصر، وذهب إلى الشام والعراق، وإلى بلاد آسيا، ولم يقل له أحد: أين جواز سفرك، أين شهادتك؟ معه شهادة لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله، طاف بها البلاد كلها.

منطق العصر، منطق المصلحة يُحتِّم على هذه الأمَّة أن تتوحَّد، لا نستطيع أن يكون لنا اقتصاد مؤثِّر إلَّا بالاتحاد، لا نستطيع أن يكون لنا دور في عالم التكنولوجيا، وفي الثورات العلميَّة، ثورة الفضاء، والثورة الإلكترونيَّة، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، إلى آخره؛ إذا ظلَلْنا مُتفرِّقين.

لا بدَّ أن يضع كلٌّ منا يده في يد أخيه، هذا هو الواجب على أمَّتنا، فنحن أمَّة واحدة بمنطق الدين، ومنطق التاريخ، ومنطق الجغرافيا، ومنطق المصلحة، ومنطق العصر.

٥ ـ أمَّة واحدة بمنطق أعدائها:

ونحن كذلك أمَّة واحدة بمنطق أعداء الأمَّة أنفسهم، أعداء الأمَّة لا ينظرون إلينا على أنَّ هذا عربي، وهذا باكستاني، وهذا إندونيسي،

QaradawiBooks.com

وهذا إيراني، وهذا إفريقي، وهذا مصري، وهذا سوري، لا ينظرون هذه النظرة، هم يعتبرون المسلمين أمَّة واحدة.

وحينما يُخطِّطون للكيد لهذه الأمَّــة وضربها يخطِّطون لها باعتبارها أمَّة واحدة، ولذلك حينما رشَّــحوا عدوًّا بديلًا للشــيوعيَّة، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشُّيوعيَّة: رشَّحوا الإسلام، الخطر الإسلامي، هــو العــدو البديل والعــدو المرتقــب، لا يريــدون الإســلام العربي ولا الإسلام العجمي، بل الإســلام في كل مكان هو العدو، هكذا ينظر النَّاس إلينا.

وهكذا نجد إســرائيل ومَنْ وراءها، ومَنْ يؤيدونها، إسرائيل تحارب العرب، تحارب العراق، تحارب ليبيا، تحارب السودان، وتحارب إيران، وتقف مع إريتريا ضد اليمن، وتقف مع أوغندا ضد السودان، وتقف مع كل عدو للمسلمين، لأنَّها تعرف أنَّ المســلمين حيثما كانوا أمَّة واحدة ترفض إســرائيل، وترفض الصهيونيَّة العالميَّــة، وترفض تهويد القدس، وترفض ضياع أرض فلسطين.

هكذا ينظر أعداء الأمَّة إلينا هذه النظرة، ونحن ننظر إلى أنفســنا أنَّنا أمم شــتى! أنا والله لا أجــد فرقًا بينــي وبين أيِّ مســلم حينما أطوف بالكعبــة، وأجد حولي واحــد ماليــزي، والثاني إندونيســي، والثالث نيجيري، وهكــذا، ما الفرق بيني وبين هؤلاء؟ كلنــا نقول: لبيك اللهم لبيك. كلنا ندعو الله ﷻ، كلنا نقــول: ربنا آتنا في الدُّنْيا حســنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

هذه الأمَّة ـ أيُّها الإخوة ـ أمَّة واحدة، يجب أن نعي هذه الحقيقة، ونغرســها في حبَّات قلوبنا، ونربِّي عليها أبناءنا وبناتنا وأحفادنا، أنَّ

QaradawiBooks.com

هذه الأمَّة أمَّـــة واحدة، أعداؤنـــا لا يريدون ذلك أبـــدًا، ويريدون أن يجعلوا ذلك وهْمًا وأمرًا مستحيلًا؛ لأنَّهم يخشون أن تعود هذه الأمَّة وتتجمَّع وتتلاحم، ويتَّصل بعضها ببعض، وتُكوِّن كيانًا كبيرًا، الكيان الكبير يخيفهم!

إذا أراد أن يأكل الإنســـان رغيفًا لا يأكل الرغيف مرة واحدة، وإنَّما يقطعه إلى لقيمات، لا يأكل رطل لحم دون أن يقطعه إلى قطع صغيرة، ثمَّ يلتهمها جزءًا وراء جزء، هكذا يريدون أن يلتهمونا ويأكلونا، فلنُفَوِّت عليهـــم الفرصة، ولنكن كمـــا أراد الله لنـــا أمَّة واحدة، لا كمـــا أراد لنا الاستعمار أممًا متفرقة، يباين بعضها بعضًا؛ بل يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا أحيانًا كما نرى!

يجب أن نعـــود إلى ما أمرنا الله بـــه لنكون أمَّة واحـــدة تحت راية القـــرآن، أمَّة واحـــدة تحت شـــعار التوحيـــد، أمَّة واحـــدة تحت لواء مُحمَّـــد ﷺ، أمَّة واحـــدة تجلب لنفســـها المصالح، وتدرأ عن نفســـها المفاسد، وتدافع عن أرضها وعرضها وحرماتها، وأبنائها وبناتها؛ حيثما كانوا في أرض الإسلام.

أســـأل الله تعالى أن يُفَقِّهنا في ديننا، وأن يُنيـــر بصائرنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا؛ إنَّه سميعٌ قريب.

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله تعالى لي ولكم فاســـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجبْ لكم.

***

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كوسوفا وواجب الإغاثة:

فقد حدَّثتكم في الجمعة السابقة عن إخوانكم وأخواتكم في كوسوفا، هذه الأرض الَّتي اعتُدي عليها بغير حقٍّ وبغير ذنب اقترفوه إلَّا أن يقولوا: ربنا الله. هؤلاء الَّذين اعتدى عليهم الصربيون المتوحِّشون، لا زالت مأساتهم كما هي، بل لا زالت المأساة يتطاير شررها، ويتفاقم خطرها، ويتزايد ضررها.

لا تزال القرى تُحرق، قالوا: بالأمس أحرقت خمسون قرية. ولا تزال الدماء تُسفك، ولا تزال الأعراض تُهتك، ولا تزال النساء تُغتَصب، ولا يزال النَّاس يهيمون على وجوههم مُشرَّدين، لا يعرفون أين يذهبون؟ بعضهم يجد بعض البلاد الَّتي تؤويه، وبعض البلاد تُغلق أبوابها أمامهم، فيعود ولا يستطيع أن يجد بلدًا آخر.

هؤلاء النَّاس مستضعَفون في الأرض، ومن حقِّهم أن تُرفع عنهم المعاناة، ولو كان المسلمون أمَّة كما يحبُّ الله تعالى، وكما أمر الله ﷻ لنهضوا للدفاع عنهم خفافًا وثقالًا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ٧٥].

من حقِّ المستضعَفين أن يُقاتِل المسلمون لرفع الظلم عنهم، الإسلام لا يقبل أبدًا أن يُظلم إنسان في الأرض، ولو كان غير مسلم، وقد نهض

QaradawiBooks.com

المسلمون من قبل للدفاع عن الشعوب المظلومة في الأرض، وكانت معظم الفتوحات الإسلاميَّة استجابة لهذه الشعوب المُستضعَفَة؛ فما بالكم بإخوانٍ لنا في الدين وفي العقيدة، يُظلمون ويُعتدى عليهم بكل أنواع الاعتداء؟ واجب علينا أن ننهض لنجدتهم.

إذا لم نستطع أن ندفع عنهم؛ فعلى الأقل نبذل لهم من أموالنا، نتبرَّع لهم كما يقولون. مع أنَّ هذا ليس تبرعًا، بل هو واجب، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، الجهاد بالمال مطلوب مثل الجهاد بالنفس، فإذا لم تستطع أن تجاهد بنفسك جاهد بمالك، «**من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَف غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غَزَا**»[(١)]. لو استطعنا أن نوصل إلى المقاتلين هناك ما يمكننا من كل أنواع المساعدات لوجب ذلك، فمن حق هؤلاء أن يدافعوا عن أنفسهم، ولا يسقطوا صرعى أمام هذه الوجوه الكالحة، وهذه القلوب القاسية، وهذه الأيدي المتلطخة بالدماء، لا بد أن نوصل إلى هؤلاء ما نستطيع من أموالنا حتَّى لا يهلكوا تماما، حتَّى لا يُدفنوا في هذه المقابر الجماعية، وتصبح هذه الأرض مقبرة للمسلمين يُدفنون فيها ونحن نتفرج، ولا نستطيع حتَّى أن نصرخ، أليس هذا من المؤسف؟

لو أن ألف مليون وثلاثمائة مليون من المسلمين صرخوا في العالم محتجين لصمُّوا آذان العالم، ولكن هناك مَنْ يُنكر بصوت خافت، ومَنْ يحتج بكلام باهت لم يصل إلى أن يكون صرخة مدوية تقرع الآذان، تشق أجواز الفضاء، وتبلغ عنان السماء، لم يبلغ إنكارنا إلى هذا الحد، هي إنكارات خافتة ضعيفة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد.

QaradawiBooks.com

هناك بلاد نهضت للنجدة، وطلبت من مواطنيها أن يسارعوا لهذا الأمر، ونحن اليوم نطالب الإخوة بأن يبذلوا من أموالهم، هناك الإخوة في جمعية قطر الخيريَّة يتقبلون البذل والصدقات والتبرعات، يمكن أن تبذل من الزكاة، ويمكن أن تبذل من الصدقات، ويمكن أن تبذل من الوصايا، مَنْ كانت عنده وصية لأبيه أو لجده في وجوه الخير، ويمكن أن تبذل من المال المشبوه، لو عندك فوائد ربوية محرمة أو أشياء من هذا القبيل ادفعها لإخوانك هناك، كل هذا جائز لهؤلاء، ابذل لهم كل ما يمكنك حتَّى نعاونهم على أعدائهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن يؤيِّدهم بروح من عنده، وأن يمدهم بملأ من جنده، وأن يأخذ أعداءهم أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، وانصرنا على الصرب الحاقدين المتوحشين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين، اللهمَّ رد عنا كيدهم، وفُلَّ حدَّهم، اللهمَّ اخذلهم وانصرنا عليهم، اللهمَّ أهلكهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبَنا، وإسرافَنا في أمْرِنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

* * *

QaradawiBooks.com

٣

الإسلام ضرورة للأمة[1]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في برنامج (الشريعة والحياة) بقناة (الجزيرة) في الحلقة الماضية فُوجئت بسؤال عجيب من أحد المشاهدين في المملكة العربيَّة السعوديَّة، كنا نتحدث عن وحدة الأمة الإسلاميَّة؛ فقال هذا السائل المشاهد: إن أمتنا لا يمكن أن تتوحد ولا أن تتقدم؛ إلَّا إذا أبعدت الدين ورجال الدين عن الحياة وشؤون الحياة، وأخذت بأسباب التقدم كما فعل الأوربيون، فلم ينهضوا ولم يتقدموا؛ إلَّا حينما عزلوا الدين ورجال الدين عن شؤون الدولة والمجتمع، وشؤون الحياة عامَّة، ونحن لا أمل في أن ننهض ونرقى ونتقدم إلَّا إذا فعلنا مثلما فعلوا، وأبعدنا الدين ورجاله عن الحياة.

أجبت بسرعة بما يقتضيه المقام وما يتسع له الوقت على هذا السؤال، ولكنِّي فكَّرت أن نجعل هذا الموضوع هو موضوع هذه الخطبة.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ إبريل ١٩٩٩م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فكرة إبعاد الدين:

عجيب أن يقول ذلك مسلم، وأن يصدر هذا من أرض الحرمَيْن الشريفَيْن، ومهد الرسالة، أن يُطالب مسلم بصراحة ووضوح بإبعاد الدين وعلماء الدين عن الحياة، لو قال بإبعاد التدين الخرافي، أو قال بإبعاد التدين المغلوط الَّذي يمارسه بعض النَّاس، أو بالأفهام الخاطئة لبعض علماء الدين؛ لكان هذا أمرًا مقبولًا.

أمَّا أن يطالب بإبعاد الدِّين وعلماء الدين الَّذين سمَّاهم (رجال الدين)، وليس في الإسلام شيء اسمه (رجال الدين)، فكل مسلم رجل لدينه، هناك أديان فيها رجال دين: رجال كهنوت، وليس عندنا رجال كهنوت، هناك علماء مَتَخَصِّصون في أمر الدِّين، كما يوجد علماء مُتَخَصِّصون في الهندسة وفي الطبِّ، وفي علم الاجتماع وعلم النفس وفي غيرها: يُوجد علماء متخصصون في الدين يُسألون فيما يُشكل على النَّاس، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ماذا يريد هذا الإنسان وأمثاله الموجودون في حياتنا؟ يريدون لأوطاننا ولشعوبنا أن تسير في خط العِلمانيَّة، الَّذي يعزل الدين عن الحياة، أن تسير الحياة بمعزل عن هداية الله وهدي رسوله، أن تسير مطلقة السراح: لا تشريع يلزمها، ولا توجيه يهديها، ولا تتصل أرضها بالسماء؛ بل هي سائبة تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، هذا ما يريده هؤلاء! هل يمكن هذا؟ هل يمكن أن تسير الحياة بغير دين؟!

QaradawiBooks.com

ثورة الأوروبيِّين على الكنيسة:

الواقع أنَّ الغربيِّين حينما ثـاروا على الدِّين؛ لم يثوروا على دين الله الَّذي أنزله على رسله، إنَّما ثاروا على دين الكنيسة المُحرَّف، هذا الدين الَّذي اعتمدته الكنيسـة في عصورها الوسـطى في أوروبا؛ فوقفت مع الجهل ضد العلم، ووقفت مع الخرافة ضد الحقيقة، ووقفت مع الملوك ضد الشـعوب، ووقفت مع الإقطاعيين ضد الفلاحين، ووقفت ضد كل تقدم وكل إبداع وكل فكر حر.

كما صنعوا في الغرب ما عُرف بمحاكـم التفتيش الَّتي اعتبرت كل اختراع يخترعـه مخترع، وكل علم يصل إليه مبتكـر، اعتبرت هذا ضدَّ الدِّين، وضدَّ المُقَدَّسـات، اعتبرتـه هرطقة وإلحادًا، الأشـياء الَّتي كان يدرسها المسلمون في مدارسهم ومعاهدهم، مثل كروية الأرض، حينما وصل مَـن وصل مِن علمائهم إلـى كروية الأرض اعتبـروه خارجًا عن الدين، مارقًا منه!

وهكذا كانت هناك فظائع تقشـعر منها الأبـدان، حتَّى إنهم حاكموا بعض النَّاس بعد موتهم وأحرقوا جثثهم، فعلوا الأفاعيل، أفانين التعذيب الَّتي لم يفعلها البشر طوال تاريخهم ارتكبتها محاكم التفتيش.

ولذلك حينما مسَّ أوروبا قبس من الشـرق الإسلامي؛ فنهضوا بعد عثرة، وتقدموا بعد تخلف، واستيقظوا بعد سُبات عميق، وبدؤوا يأخذون بأزِمَّة العلم التجريبي، تركوا منطق أرسـطو القياسي، ومشوا في طريق الاستقراء والتجريب، وهذا منهج أخذوه من المسلمين؛ باعتراف مؤرخي العلم عندهم: جوسـتاف لوبـون، وروبرت بريفولت، وجورج سـارتر وغيرهم؛ قالوا: إن هذا المنهج أُخذ من الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ليس

QaradawiBooks.com

مبتكره هو روجر بيكون، ولا فرانسيس بيكون، إنَّما أخذوه من حضارة العرب والمسلمين.

نهض القوم واستيقظوا ووجدوا هذه العقبة في طريقهم، الدين ورجال الدين، فثارت الجماهير على هؤلاء، وكانت الصيحة السائدة في ذلك الوقت: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس. لا مكان للملوك الظالمين، ولا للقُسس المنافقين المُؤَيِّدين لهؤلاء الجبَّارين، هذا ما صنعه الغرب، وفرض العِلمانيَّة على الحياة، عزل عنها الدِّين، أي الدِّين الَّذي يعوق الحياة، ويُعَطِّل المسيرة، ويؤخِّر التقدُّم.

الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين:

هل نحن عندنا مثل هذا؟ هل نحن المسلمين عندنا ما يعوق التقدم، ويعرقل التطور، ويمنع العلم أن يأخذ نصيبه في الحياة؟ لا والله، الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، لم يقم في تاريخنا صراع حقيقي بين الدين والعلم، أو بين العقيدة والفكر، أو بين الشريعة والحكمة؛ فقد وجدنا في تاريخنا حضارة تقوم على العلم والإيمان، تؤاخي بين العلم والإيمان، وهذا هو شأن القرآن، فالقرآن يقوم على أنَّ العلم خادم للإيمان، وقد وجدنا في قصص القرآن ما يؤيد هذا.

حينما أراد سليمان عليه السلام أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾ [النمل: ٣٨، ٣٩]. أراد سليمان ما هو أسرع من هذا، ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، قبل أن تغمض عينيك وتفتحهما آتيك به؛ بواسطة علم من الكتاب، ومعنى هذا أنَّ العلم يجعل الإنسان أقوى من

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

الجن، الَّذي أعطاه الله من وسائل القوَّة ما لم يعطه البشر. فلما جِيء بعرش بلقيس؛ قال سليمان: هذا من فضل ربي. ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

هذا هو الإيمان مع العلم، وهذه هي حضارة الإسلام، حضارة العلم والإيمان معًا. وقد كان كثير من علمائنا المشهورين في الجوانب العلميَّة كالطبِّ والفلك والرياضيَّات وغيرها: علماء دين.

ذكرت لكم في خطب سابقة أنَّ الفخر الرازي صاحب التفسير المشهور، وصاحب الكتب الفقهيَّة وغيرها، قالوا: كانت شهرته في الطب لا تقلُّ عن شهرته في علوم الدين. والقاضي ابن رشد أحد قضاة الشرع المالكيِّين، وصاحب كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه المقارَن هو نفسه صاحب كتاب (الكليَّات) في الطبِّ الَّذي تُرجم إلى اللاتينيَّة، وكان مرجعًا للأوروبيِّين عدَّة قرون. والخوارزمي مخترع علم الجبر اخترعه ليحُلَّ به بعض مسائل الميراث والوصايا، ولذلك نصف رسالته فقهيَّة ونصفها رياضيَّة.

تنهض الأُمَّة كلَّما اقتربت من الإسلام:

هذه هي حضارتنا، فمن قال: إنَّ الدينَ عندنا يعوق العلم أو التقدُّم؟ بالعكس نحن منذ أن دخل الاستعمار بلادنا يحكمنا حكمًا علمانيًّا، أبعد الشريعة عن الحياة، لا نحكم بالشريعة إلَّا في أمور الزواج والطلاق والرضاع وغيرها، في معظم البلاد الإسلاميَّة، ماذا جنينا من وراء الحكم العلماني؟ لا زلنا في مؤخرة الشعوب، وقد كنَّا في المقدمة، في مأخذ الزمام من القافلة البشريَّة.

QaradawiBooks.com

للعلامة أبي الحسن الندوي رسالة صغيرة لطيفة مركزة، اسمها (المدُّ والجزر في تاريخ الإسلام)، بيَّن فيها بالأدلَّة التاريخيَّة الموثقة أنَّه كلَّما كان المسلمون أقرب إلى شرع الله، وإلى الحكم به، وإلى العمل بتوجيهاته: كانوا أكثر ازدهارًا، وأكثر قوَّة، وأكثر انتصارًا على أعدائهم! وكلما بعدوا عن هذا الدين؛ تأخَّروا وتخلَّفوا وانهزموا وانفرط عقدهم. هذا ما يقوله التاريخ!

انظر إلى فترة الخلفاء الراشدين، حيث المدُّ الإسلامي والفتح الإسلامي، انظر إلى أفضل فترة في عهد الأُمَوِيِّين: فترة عمر بن عبد العزيز، الَّذي أقام العدل، ووضع الأمور في نصابها، وحارب الجور والظلم والبدع، وأعاد سنن الراشدين.

انظر في عهد العبَّاسيِّين؛ تجد فترة الرشيد والمأمون من أخطر الفترات في تاريخنا، فقد بيَّن العلامة ابن خلدون أن هارون الرشيد لم يكن كما يحكي الحكَّاؤون، وكما يقرأ بعض النَّاس في كتاب (ألف ليلة وليلة) وغيرها، فأخذوا فكرة عن أنَّ هارون الرشيد رجل مُتسيِّب! قال ابن خلدون: لا، لقد نشأ نشأة إسلاميَّة. ودلل على ذلك بأدلة تاريخيَّة لا يرتقي إليها الريب؛ بأنَّ الرجل كان مسلمًا، وكان يغزو عامًا ويحج عامًا، وفي العام الَّذي لا يحج فيه يبعث بثلاثمائة عالم يَحُجّون(١)، هكذا كان هؤلاء.

رأينا في عصر نور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي: هؤلاء الَّذين أعادوا للأمة كيانها من جديد، ووقفوا ضد الحروب الصليبيَّة، كان هؤلاء أقرب ما يكونون إلى الإسلام.

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون صـ٣٦٢ ـ ٣٨٥، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي، ط ٢، ١٩٦٥م.

QaradawiBooks.com

الرجل الَّذي انتصر على التتار في المعركة الحاسمة الَّتي لم تقم لهم بعدها قائمة (معركة عين جالوت) هو سيف الدَّين قُطُز، وكان رجلًا من الصالحين العبّاد.

كلما اقترب المسلمون من الإسلام انتعش حالهم، وازدهرت قوتهم، واتحدت كلمتهم، هذا ما يقوله التاريخ، فكيف نريد أن نجرد الأمة من سر قوتها، ومن مصدر عزتها؟!

الدِّين ضرورة:

الدين هو جوهر الحياة، وسر الوجود لكل النَّاس، الدين هو فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، ليس الدين أمرًا مفروضًا على النَّاس من الخارج، بل هو نابع من داخلهم، من فطرتهم، خصوصًا الدين الحقيقي، «**كلُّ مولود يولد على الفطرة**»(١). فطرة التوحيد، فطرة الإيمان بالله الواحد، هذا الدين كيف نُجرد الإنسان منه؟

بعض فلاسفة أوروبا ـ حتى الَّذين لم يكونوا يؤمنون بالله ـ كانوا يؤمنون بالإيمان بالله، يقولون: لو لم يكن الله موجودًا لوجب علينا أن نخلقه حتَّى تستقيم الحياة، لأنَّه لا يمكن أن يحيا النَّاس بغير دين.

وقال بعضهم: لِمَ تشككون في وجود الله، ولولا وجود الله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي؟ أي إنَّ الإيمان هو الَّذي يضبط الحياة، فيردع النَّاس عن الشر، ويبعث النَّاس على الخير، هذا في الدين عامَّة، فكيف بدين الإسلام خاصة، الدين الَّذي ختم الله به الرسالات، وأتمَّ به النبوَّات، وبعث به خاتم النبيِّين؛ ليتمِّم مكارم الأخلاق، هذا الدِّين ضرورة للحياة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هو ضـــرورة للفرد ليطمئنَّ ويســـعد، وضرورة للمجتمع ليتماســـك ويرقى، وضرورة للأمة كلها لتتحد على هدف عظيم، وضرورة للإنسانيَّة كلها، الإسلام ضرورة للحياة، الإســـلام هو الَّذي أنشأ العرب من عدم، هو الَّذي أحياهم من موات، وجمعهم من شـــتات، وعلمهم من جهالة، وهداهم من ضلالة، وأعزهم بعد الذلة، وكثَّرهـــم بعد القلَّة، وأخرجهم من ظلمات الجاهليَّة إلى نور الإسلام.

أثر الإسلام في العرب:

ماذا كان العرب قبل الإســـلام؟ لم يكن لدى العرب فلسفة كفلسفة اليونـــان، ولا تشـــريع كتشـــريع الرومـــان، ولا تمدن كتمـــدن الفرس، ولا حكمة كحكمة الهند، ولا صنعة كصنعة الصين، الصنعة الَّتي برعوا فيها وتفوقوا: هي صنعة البيان والشـــعر وفنون القـــول، أمَّا ما عدا ذلك فكانوا رعاة للإبل والغنم.

ما الَّذي أخرجهم ونقلهم من رعايـــة الغنم إلى رعاية الأمم؟ ما الَّذي بوَّأهم مكان الأستاذية للبشـــريَّة، وجعلهم شهداء على النَّاس، أمة وسطًا، خير أمة أُخرجت للناس؟ ما الَّذي أعطى العرب هذه المكانة؟ إنَّه الإسلام.

إنَّهم بالإسلام صاروا شيئًا جديدًا، بعد أن كانوا في ضلال مبين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأيُّ ضلال أكثر من أن تفسد عقولهم حتَّى يعبدوا الحجارة، فإذا لم يجدوا حجرًا كما قال أبو رجاء العطاردي: إذا وجدنا حجرًا عبدناه، فإذا وجدنا حجرًا أفضل منه ألقينا الأوَّل وعبدنـــا الثاني، فإذا لم نجد حجرًا

QaradawiBooks.com

حثونا حثيات من تــراب، وحلبنا عليها من شــاة، وصورناها فاتَّخذناها إلهًا[١]. فسدت العقول إلى هذا الحدِّ!

وفســدت القلوب والعواطف إلى حـدِّ وأد البنات وهُـنَّ في حالة الحيــاة، الأب يقتــل أولاده وفلذات كبــده حتَّى لا يأكلوا معه! سُـئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ يا رســول الله؟ قــال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قيل: ثــمَّ أيُّ؟ قال: «**أن تقتلَ ولدَكَ مخافــةَ أن يطعم معك**»[٢]. وليته يقتله بالسيف ويُريحه، ولكن يحفر له حفرةً فيَئِدُه فيها حيًّا، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ما الَّذي أخرج العرب من هذه الوهــدة، ونقلهم هذه النقلة الكبرى، وجعلهم قادة الأمم، وفتح بهم العالم؟ إنَّه الإســلام، الإسلام هو الَّذي أشعرهم بكيانهم وبوجودهم، وجعل لهم دعوة يخاطبون بها النَّاس، كما عبَّر عن ذلك رِبْعِي بن عامر حينما لقي رستم قائد جيوش الفرس، وسأله رستم: مَنْ أنتم، وما الَّذي أخرجكم من بلادكم؟ قال له: نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضِيق الدُّنْيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[٣].

لخص فلسفة الإسلام، لخص الأهداف الكلية الكبرى للإسلام في هذه الكلمات، هــذا الرجل الَّذي لم يدخل مدرســة، ولــم يتعلم في جامعة، ولكنَّه تعلم في مدرســة مُحمَّد ﷺ، ففهم منها أهداف دعوته، ومقاصد رسالته.

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٦١)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

وحينما جـاء عمر بن الخطَّاب فـي رحلته التاريخيَّـة المثيرة، من المدينة إلى فلسطين ليتسلم مفاتيح القدس من بطريقها الأكبر، قابلته في الطريـق مخاضة؛ فنزل وشـمَّر عن ثيابـه، وخلع نعليـه، وخاض هذه المخاضة أمام الجنود وأمام الناس!

وحينئذ قال لـه أبو عبيدة: يا أميـر المؤمنين، ليتك لـم تفعل هذا ـ يعني أنَّنـا في بلاد تؤمـن بالمظاهر؛ فمـا كنا نحـب أن تنزل هكذا وتخوض تلك المخاضة ـ فقال له: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام؛ فمهما نلتمس العزة بغيره أذلنا الله[1].

هذه أُمَّة صنعها الإســلام، صنع عقولها، وصنع مشـاعرها، وصنع ضمائرها، وصنع شبابها وشـيوخها، صنع رجالها ونساءها، غيَّرها خلقًا آخر حينما مسَّتْها نفحة الإســلام، حينما خالطت قلوبها بشاشة الإيمان، أصبحوا أناسًا جددًا!

الصحابة الَّذين نقرأ تاريخهم، ولم ترَ عين الدُّنيا أمثالهم، هذا الجيل الربَّاني القرآني المُحمَّدي الفريد؛ إنَّما صنعه هذا الدين. لو نظرت ما بين جاهليَّتهم وإسلامهم لوجدت فرقًا شاسعًا، انظر إلى عمر بن الخطَّاب في الجاهليَّة وعمر بن الخطَّاب في الإســلام ترى بونًا شاسعًا، وفرقًا بعيدًا، الإسلام هو الَّذي صنع هذه الأمة.

هل يُراد لنا أن نتخلَّى عن هذا الدِّين؟

ماذا نسـتفيد بتخلِّينا عن هـذا الدِّين؟ وماذا اسـتفادت الأمم الَّتي أعرقت في العِلمانيَّـة، وأخذتها بكلِّ حذافيرها مثـل تركيا؟ تركيا الَّتي

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

كانت بلد الخلافة الإسلاميَّة جار حكامها على الإسلام، وعزلوا الإسلام عن الحياة تمامًا، فرَّغوا الثقافة والإعلام والتعليم والتربية والتقاليد والقوانين من الإسلام.

حتَّى القوانين الأسريَّة: قوانين الأحوال الشخصيَّة، الَّتي بقيت في كثير من البلدان: لم يبقوها، أجازوا للمسلمة أن تتزوَّج بغير المسلم، وسووا بين الذكر والأنثى في الميراث، وحرَّموا الطلاق وتعدُّد الزوجات، إلى آخره، لم يبقوا شيئًا! حتَّى الحرف العربي الَّذي كانت تُكتب به اللغة التركيَّة حرَّموه وكُتبت بالحروف اللاتينيَّة، حتَّى يعزلوا الأجيال الجديدة عن التراث الإسلامي المكتوب بالحروف العربيَّة!

حتى الأذان منعوه باللغة العربيَّة، وفعلوا ما فعلوا، حرَّموا على المرأة المسلمة أن تلبس لباس الحشمة، وفرضوا على الرجال أن يلبسوا القبعة، حتَّى المشايخ في المساجد حرموا عليهم أن يلبسوا العمامة أو الجبَّة إلَّا داخل المسجد، وكل إمام هناك له جبَّة وعمامة يلبسها حينما يدخل المسجد، ويخلعها حينما يخرج!

ماذا فعلت العِلمانيَّة بتركيا؟ تعبر عن ذلك كاتبة تركية فتقول: كنا أوَّل دولة في الشرق فصرنا آخر دولة في الغرب. هذا ما جنته تركيا، لم تدخل العصر النووي ولم تتقدم، حتَّى إنَّها ليست آخر دولة في الغرب، الغرب في الحقيقة لا يعترف بها، ويقول: إن ثقافتها مخالفة لثقافتنا. أي: إن جذورها إسلاميَّة، وكل ما في الأمر أن هناك صراعًا بين الجذور وهذه الطوارئ العارضة!

والجيش هو الَّذي يحكم العِلمانيَّة، يحارب الإسلام، يحارب مجرَّد حفظ الأطفال للقرآن، لا يجوز أن يحفظ الأطفال القرآن، نحن هنا في

QaradawiBooks.com

قطر وفي مصر وفي غيرها نشجع حفظ القرآن، ونعمل مسابقات لحفاظ القرآن، ونعطي جوائز لأهل القرآن، وهم يعتبرون المدارس الإسلاميَّة خطرًا على العِلمانيَّة.

هل يريد هؤلاء الَّذين يطالبون بعــزل الدين وعلماء الدين عن الحياة أن نسير كذلك؟ هل يريدون أن نسير كما يســير الغرب بفلسفته المادِّيَّة الكافرة، وفلسفته الإباحيَّة الفاجرة، وأن نســير خلف مبادئه الَّتي رأيناها تبيح الحرام، وتحرم الحلال؟ رأيناهم أجــازوا أن يتزوج الرجلُ الرجلَ، وأن تتزوَّج المرأةُ المرأةَ، وتبارك ذلك الكنيســة للأسف، وتصدر بذلك قوانينهم، رأيناهم يبيحون الشذوذ، وأصبح لجمعيات الشذاذ كيان ووجود ونفوذ، ويدخلون في الانتخابات؛ أهذا ما يُراد لنا نحن المسلمين؟

إنَّ الدين هو جوهر الحياة، والإســلام خاصة هو الَّذي جمع الله فيه خلاصة الدين الحقيقي الَّذي أنزل الله به كتبه، وبعث به رسله، وجعل فيه سر الوجود وسعادة الحياة، لا يمكن أن يسعد الإنسان بغير دين، ولا أن يرقى بغير دين، ولا أن يستقر بغير دين.

كما لا يمكــن أن ننهض نحيا فــي حياتنا، وأن نلحــق بالركب في عصرنا إلَّا إذا احتضنا الإســلام، نحن متخلفون كثيرًا، وكثيرًا كثيرًا عن غيرنا، هــم الآن في عصر الثورات العلميَّة: الثــورة البيولوجية، والثورة التكنولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة الفضائية، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات، أين نحن من هــذا كله؟ نحن بعيدون بعيدون، كيف نستطيع أن نعوِّض ما فات، ونلحق بالركب؟!

لا يمكن ذلــك إلَّا إذا كان لأمتنا رســالة ولها هدف، تســتطيع أن تضاعف العمل من أجل هذا الهدف الَّذي تؤمن به، ولا يمكن أن يكون

QaradawiBooks.com

لأمتنا رسالة غير رسالة الإسلام، ولا هدف أكبر من العمل لنصرة الإسلام وتحقيق الإسلام، هذا هو الَّذي يمكن أن ينهض بأمتنا.

وقد جربنا في تاريخنا المعاصر أحداثًا ذات دلالة على ذلك، دخلنا في ٥ يونيو سنة (١٩٧٦م) حربًا مع إسرائيل انتهت بهزيمتنا، وكان الطريق مفتوحًا أمام إسرائيل لتصل إلى القاهرة ودمشق، وجربنا حربًا أخرى في السادس من أكتوبر سنة (١٩٧٣م) أو العاشر من رمضان سنة (١٣٩٣هـ) كان شعار الحرب الأولى (بر، بحر، جو)، فلم ننتصر في برٍّ ولا بحرٍ ولا جوٍّ!

وكان شعار الحرب الثانية (الله أكبر)، الله أكبر صنعت العجائب، وبهذا نرى أنَّه لا يمكن أن ينتصر شعبنا وتنتصر أمتنا إلَّا إذا استمسكت بعُرَى الإسلام.

يوم خرجت الانتفاضة الَّتي كانت تُسمى في أوَّل أمرها (ثورة المساجد) لأنَّها انطلقت من مساجد غزة ترفع المصاحف، وتنادي: الله أكبر، الله أكبر. وينادي أطفالها: خيبر خيبر يا يهود، جيش مُحمَّد سوف يعود. يوم انطلقت هذه الانتفاضة لم يقف أمامها شيء.

إذا أردنا أن نُحيي أمَّتنا، أن نجعل من أمتنا شيئًا كبيرًا يستطيع أن يغير من واقعنا الأليم فلا بد أن نعتمد على الإسلام، فبغير الإسلام لا حياة لنا، وبغير الإسلام لا وحدة لنا، وبغير الإسلام لا عزة لنا، وبغير الإسلام لا انتصار لنا.

إنِّي أعجب من الَّذين يريدون أن يجردونا من الإسلام، والإسلام مطلب جماهيري، الإسلام ليس مطلبًا يفرضه حاكم أو يفرضه استعمار،

QaradawiBooks.com

لا، بل الشـعوب هي الَّتي تطالب بالإسلام، لو تُركت الشعوب لحريتها وإرادتها ما اختارت غير الإسلام، ولكنها مقهورة في معظم البلدان!

أطالب الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة أن يسـتفتوا النَّاس على هذا الأمر: ماذا تختارون: شرع الله أم قوانين الناس؟ تختارون القرآن أم غير القرآن؟ نريد أن نسأل هذا السـؤال في كل العالم الإسلامي، لن يختار النَّاس غير الإسلام.

وأنا أقصد بالناس الجمهور الأعظم منها، سـتكون هناك قلة لا وزن لها، أمَّا الجمهور الأعظم؛ فلا يمكن أن يختار إلَّا الإسلام، بل حتَّى تلك القلَّة لا تستطيع أن تجاهر برفضها، لأنَّها إذا فعلت سقطت أمام الجمهور الأعظم مـن النَّاس، وهـي تريد أن تنافقـه وتتملقه، وتكسـب رضاه، وتخطب ودَّه، حتَّى هذه القلَّة لا يمكن أن تقول صراحة: نرفض الإسلام.

الإسـلام هو غايتنا، هو الركن الركين الَّذي نستند إليه، هو الحصن الحصين الَّذي نلوذ به.

ونحن نرفض الإسـلام الأمريكاني كما سمَّاه الشـهيد سيِّد قطب، الإسلام الَّذي يسـير في ركاب الظالمين، الإسـلام الَّذي يفرخ الفتاوى للطغاة والمستبدين، هذا الإسلام الَّذي يشتغل بالأمور الصغيرة، ويسكت عن الأمور الكبيرة!

كل ما يفتـي فيه طول اللحيـة وقِصر الثوب، ويتـرك إقامة العدل، وتوفير الكرامة للإنسـان، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، والتنمية الشـاملة للمجتمع، ووجود الأمة الإسلاميَّة، وقضايا الإسلام الكبرى في فلسطين، وفي كوسوفو، وفي كشمير، وفي غيرها، هذا هو الإسلام المُنَوِّم المُخدِّر.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلام الحقيقي فليس مُنَوِّمًا ولا مُخَدِّرًا ولا أفيونًا، الإسلام الحقيقي هو مُحرِّك الجماهير، ومُفجِّر طاقاتها، الإسلام يجعل من المسلم بطلًا، ويجعل منه جنديًّا مقاتلًا، ويجعل منه إنسانًا عزيزًا يعتز بعزة الله، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]. الإسلام الحقيقي هو الَّذي يُعلِّم المسلم: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»(١)، «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»(٢)، «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدِّع منهم**»(٣). الإسلام الحقيقي هو الَّذي يُعلِّم المسلم: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]. هذا هو الإسلام مُحرِّك ومُفجِّر لطاقات الأمة المختلفة.

ذهب أحد علماء الحنفية إلى أحد الملوك فوعظه وزجره؛ فقال له بعضهم: كان أولى بك أن تحاول إرضاءه وكذا. فقال: كيف أفعل ذلك وأنا أقرأ كل يوم في قنوتي: نشكرك اللهم ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك(٤)؟ هذا هو الإسلام.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه (٤٠١١) كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩١)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: الصفار ـ أحد الرواة ـ لا يُدرَى من هو. والخطيب في تاريخ بغداد (٥٣/٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

(٤) هذا هو القنوت المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه، ويلتزم الأحناف قراءته بعد القيام من ركوع =

QaradawiBooks.com

لا يمكـــن أن تنهض أمتنا، ولا أن ترقى أمتنـــا، ولا أن تتوحد أمتنا، ولا أن تقوم بدورها فـــي الحياة، ولا أن تحرر أرضهـــا، ولا أن تفرض رسالتها إلَّا إذا تمسكت بالإسلام، بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم فاســتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

= الركعة الثالثة في الوتر. كما يفعل مسلمو الهند وباكســتان وبنجلاديش. وقد رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٦٩٦٥).

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أغيثوا كوسوفو:

كلُّنا نتابع ما يجري في كوسوفو، وما يقع لألبان كوسوفو، كلنا نتابع هذه المجزرة البشريَّة البشعة الَّتي تحدث في كل يوم وفي كل ساعة، لم تغنِ طائرات حلف الناتو شيئًا عن المسلمين، بل كانت نكبة عليهم، ولا ندري: لحساب مَنْ هذا؟ هل يريد حلف الناتو أن ينقذ المسلمين حقًّا أم أنَّه يتركهم ضحايا تفترسهم أنياب الصرب المتوحشين؟

هذا ما نراه للأسف، أنَّ الناتو يضرب المطارات وغيرها، ويترك المسلمين لا حول لهم ولا طول، ولا سلاح في أيديهم ولا قدرة لديهم، ازداد الأمر عليهم، ازدادت المذابح، يُذبحون بالعشرات والمئات، وتُرمى الجثث في الشوارع، تُفتضُّ الأبكار في بيوتها، النساء تُغتصب، الأطفال تُذبَّح، المدرسون يُذبَّحون أمام طلابهم في المدارس، والآباء يُذبَّحون أمام أولادهم في البيوت؛ ما الَّذي يجري؟ هل نحن حقًّا على مشارف القرن الحادي والعشرين كما يقولون؟!

وللأسف نرى بعض العرب يدافعون عن اليوغسلاف، ويزعمون أن هؤلاء المسلمين يطلبون الانفصال عن شعبهم وعن أمتهم؛ أي أمة تقتل أبناءها بهذه الطريقة؟ أيمكن لحكومة ما أن تبيد جزءًا من شعبها بهذه الطريقة؟ هذا يدل على أنَّه لا علاقة بين هؤلاء وهؤلاء، إنَّه الذبح الجماعي. مقابر جماعية، وجثث تُلقى في الشوارع وفي الأنهار.

QaradawiBooks.com

هذا هو الَّذي يجري ونحن صامتون، نحن العرب، ونحن المسلمين صامتون صمت القبور؛ كأن الأمر لا يعنينا، كأننا لا تربطنا بهؤلاء عقيدة (لا إله إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله)، كأننا لا نقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. كأننا لا نقرأ قول رسوله: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه**»[(١)]، «**المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم**»[(٢)].

أين أُمَّة الإسلام؟ أين المليار وثلث المليار من البشر المسلمين؟ أين هؤلاء الَّذين رأيناهم منذ أيَّام في عرفات؟ أين هؤلاء الَّذين يشتركون في هذا الدين، ويشتركون في شعائره وشرائعه؟ ألا توجد أُمَّة إسلاميَّة تستصرخها هذه النكبات المتوالية الَّتي تُذيب الحجر؟ أين المسلمون أيُّها الإخوة؟

إننا نشكو إلى الله دماءً سُفكت، نشكو إلى الله أعراضًا هُتكت، نشكو إلى الله حرمات انتهكت، نشكو إلى الله أطفالًا تيتمت، ونساءً ترملت، وأمهات أُثكلت، ومساجد دُمرت، وبيوتًا خُرِّبت، نشكو إلى الله ما يجري لإخواننا، ونحن لم نمد إليهم يد المساعدة بالمال، لم أرَ جمعية خيريَّة ولا هيئة هلال أحمر، ولا مؤسسة رسمية، ولا صندوقًا للزكاة، ولا شيئًا من هذا يرفع صوته وينادي الناس: تبرعوا لإخوانكم.

وهذا أقل ما ينبغي أن نقوم به لهؤلاء الَّذين يُعمل الآن على محو هويتهم، يُحرقون أرشيف القوم، شهادات الميلاد، وعقود الزواج، ووثائق

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.
(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

التملك، وشهادات المدارس، والبطاقات الشخصيَّة، والجوازات، كل هذه الأشياء تُحرق وتُدمِّر حتَّى لو عاد هؤلاء لا يجدون شيئًا يثبت: مَنْ هم؟ ما هي هويتهم؟ حتَّى القرى تُحرق وتُباد.

أين المسلمون؟ لماذا لا يصرخ المسلمون؟ أين هذه الأمة؟ أين المعتصم الَّذي نادته في الزمن الماضي امرأة: وا معتصماه. فقال: لبيك أختاه لبيك.

والأمر الآن ليس أمر امرأة تستصرخ، وإنَّما أمر شعب يُباد بأكمله، يُهجَّر بمئات الآلاف إلى الدول المجاورة، وقد نظرت إلى هؤلاء المساكين فإذا هم شيوخ كبار ونساء وأطفال، وليس فيهم شاب، الشباب إما قُتلوا أو اعتقلوا أو يحاولون أن يفعلوا شيئًا فلا يجدون سبيلًا!

أين أمة الإسلام؟ أين أمة القرآن؟ أين أمة مُحمَّد ﷺ؟

يا مسلمون، يا أتباع مُحمَّد، يا هذه الأمة، استيقظوا من سباتكم، واحيوا من مواتكم.

لا يمكن لهذه الأمة أن تسكت على ما يجري في كوسوفو؛ إلَّا أن يكون الدين لا شأن له عندها، وهذا ما لا يكون. لا زالت الأمة مؤمنة بربها وقرآنها ومُحمَّدها، لا زالت هذه الأمة تعيش بالإسلام وللإسلام مهما جرى عليها.

أنا أدعو إخواني المسلمين هنا في قطر وفي كل مكان يصل إليهم صوتي هذا أن يقفوا وقفة الرجال، يقفوا وقفة الأبطال لنصرة إخوانهم هؤلاء، لا ينبغي أن نخذل إخوتنا وهم في حاجة إلى نصرتنا، لا ينبغي أن نبخل بأموالنا وهم في حاجة إلى كل ما يعينهم على الحياة. الآن

QaradawiBooks.com

يقولون: إنهم يحتاجون إلى اللقمة، يحتاجون إلى ما يقيم الأود، وما يمسك الرمق، معرَّضون لمجاعة ولا يجدون ما يقتاتون به.

ومما ذكرته الأنباء أنَّهم يتخذونهم دروعًا بشريَّة، إذا جاء حلف الناتو ليضربهم فهؤلاء هم الَّذين يحمونه لأن دماء المسلمين أصبحت أرخص الدماء، لم تعد دماء المسلمين غالية كما كانت في الزمن الماضي، هان المسلمون على أنفسهم فهانوا على النَّاس، وكما قال الشاعر:

سأُكْرِمُ نَفْسِي إنَّنِي إن أهنتُها لعَمْرُكَ لم تَكْرُمْ على أحدٍ بعدي[1]

أسأل الله تبارك وتعالى أن يشُدَّ أزْرَ إخوانِنا في كوسوفو، وأن يعينهم على أعدائهم، وأن يبطل مكر أولئك الأعداء، وأن يرد كيدهم في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، اللهمَّ انصُرْنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهمَّ انصُرْنا على الصربيين المتوحشين، وانصرنا على اليهود الغادرين، وانصرنا على الصليبيِّين الحاقدين، وانصرنا على الطغاة الجبارين، وانصرنا على كل أعدائك أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدَّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين؛ إنَّك سميع قريب.

* * *

(١) نسبه البحتري للمري انظر: حماسة البحتري صـ٣٢٧، تحقيق د. محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م. وروى ابن عساكر أنَّ الأصمعي سمع كنَّاسًا ينشدها، انظر: تاريخ دمشق (٣٧/٨٦)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

٤

أُمَّة الإسلام بين الماضي والحاضر(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تمرُّ على الأمم كما تمرُّ على الأفراد فتراتٌ من القوَّة والضعف، ومن الصحَّة والسقم، ومن العافية والبلاء، ومن الشدَّة والرخاء، وأمَّتنا كسائر الأمم، مرَّت عليها هذه الفترات، كانت في بعض فترات الزمن ولمدَّة طويلة هي الأمَّة الأولى في العالم؛ تَتَلْمَذَ العالَمُ عليها، أنشأت حضارةً كانت هي الحضارة الأولى، واستمرَّت سائدة نحو عشرة قرون.

كانت أوروبا تُوفد إليها طلّابها، وكانت اللغة العربيَّة هي اللغة الأولى في دُنْيا النَّاس، بل كانت العلوم، وكان الطِّبُّ، وكان الفَلَك، وكانت الكيمياء، وكان التشريح، وكان غيرها من العلوم يُكْتَب باللغة العربيَّة، وكانت أشهرُ الأسماء في دُنْيا العلم أسماء علمائنا، وكانت كُتُبُنا مراجع لطلّاب العالم في المشرق والمغرب.

كنَّا الأمَّة الأولى، والعالم الأول، نحن الآن مصنّفون في العالم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لَنُسِبَتْ إليه بعض بلادنا الإسلاميَّة،

(١) ألقيت في مسجد كلّيّة الدعوة الإسلاميّة بطرابلس في ليبيا، يوم الجمعة ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وربما لا تصلح لأن تكون في العالم الثالث، يُسَمُّوننا البلاد النامية، وهو تعبير مُؤَدِّب للبلاد المتخلفة.

الحضارة الإسلاميَّة المشرقة:

ما سببُ تخلُّفنا؟ ليس هو الإسلام قطعًا، يوم كنّا مسلمين، وكان الإسلام إسلاما، كنَّا روّاد العالم، في العلم والحضارة، وفي القوَّة العسكريَّة، كنا نفتح البلاد ونسود العباد، ونقيم دولة العدل والإحسان حيثما سرنا في أرض الله، فتحنا ممالك كسرى وقيصر، وأنفقنا كنوزهما في سبيل الله، كما بشّرنا رسولنا ﷺ، ورثنا الحضارات القديمة وطبّقنا فيها شريعتنا، شريعة الله، شريعة العدل والإخاء، والشورى والمساواة، كنا نحن الأمَّة الأقوى.

أُسِرَ مسلمٌ في بلاد الروم ولَطَمه روميّ، فعرف ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، فكتب إلى ملك الروم يقول له: «إذا أتاك كتابي هذا فأطْلِقْ سراح الأسير المسلم عندك؛ وإلّا غزوتك بجنود أوّلها عندك وآخرها عندي»(١)، ولم يكن مجرد تهديد، بل كان يقول ويفعل.

وحينا لُطِمَت امرأة في بلاد الروم فصاحت مستغيثة: وامُعْتصماه! وسمع بذلك الخليفة العباسي المعتصم، رغم أنَّ المرأة الَّتي استغاثت به بينه وبينها بلاد، وبحار، ووِهاد، وجبال، قال لها: لبّيك أختاه، لبَّيك أختاه(٢). وجنّد الجنود، وجيّش الجيوش لغزو الروم، وكانت موقعة من

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٨/٦)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

مواقع التاريخ، موقعة فتح عمُّوريَّة، وسجّل ذلك الشاعر أبو تمّام في قصيدته الشهيرة:

السَّيفُ أصْدَقُ إِنْبَاءً من الكُتُبِ في حَدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعَبِ

لأنَّ المُنجِّمين قالوا له: إنَّ كتبنا تقول: إنَّك لو حاربت في هذه الغزوة، لن يكون النَّصر لك، فأجّلها إلى أن ينضج التّين والعنب، فلم يسمع كلام المنجّمين، وقال لهم: دعوكم في كتبكم. وكان النصر في هذه المعركة[1]. ولذلك قال أبو تمَّام قصيدته تلك، وكان يعني بالكتبِ كتبَ المُنَجِّمين، وهو يقول في قصيدته أيضًا:

عشرون ألفًا كآساد الشَّرَى نَضِجَتْ جلودُهم قبل نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ[2]

هكذا كنا الأمَّة الأقوى، وكنا الأمَّة الأغنى.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز، بعث إليه والِيهِ على إفريقيَّة يحيى بن سعيد بن العاص، وإفريقيَّة كانت تشمل هذه البلاد: ليبيا، وتونس، كانت تسمَّى إفريقيَّة، يقول له: اجتمعت عندي أموال الزكاة والصَّدقات ولم أجد فقيرًا يستحقها، فماذا أفعل بها؟ فبعث إليه قائلًا: اشْتَرِ بها رقابًا فأَعتِقْها[3]، اشتر عبيدًا وإماءً فأَعْتِقْهم من مال مصرف الزّكاة، وهو مصرف كان اسمه (في الرقاب) خاصّ بتحرير الرقاب، فبعد أن حرّر الإسلام النّاس من الفقر والمسكنة، بدأ يحررهم من الرّق.

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣٩٥/١٦)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) ديوان أبي تمَّام بشرح الخطيب التبريزي (٣٢/١ ـ ٤٩)، فهرسة راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحَكَم صـ٦٥.

QaradawiBooks.com

هكذا كانت الأمَّة الإسلاميَّة، بلغت من مجدها السياسي أن تحدَّى خليفتُها الرّشيدُ السّحابة في السماء، عندما غيّمت سحابة في سماء بغداد ثمّ انقشعت وذهبت إلى مكان آخر، فقال لها الرّشيد: شَرّقي أيتها السَّحابةُ أو غَرِّبي؛ فسيأتيني من ثمرك أينما ذهبتِ[1]. بمعنى أنَّك إنْ أمطرتِ في بلاد المسلمين فستأتي الزكاة إلى بيت مال المسلمين، وإن تمطري في بلاد غير المسلمين يأتِ الخراج إلى بيت مال المسلمين. هكذا كانت أمّتنا.

الحروب الصليبيَّة:

ثمّ دار علينا الزمنُ دورته، فكان ما كان ممّا تعرفون من هجمة أعداء الإسلام على أمَّة الإسلام، هجمة الصَّليبيِّين من الغرب، وهجمة التَّتار من الشَّرق، الصَّليبيُّون كانوا يُسمِّيهم مؤرِّخو المسلمين (الفرنجة) ويقولون: (حروب الفرنجة)، وتسمية (الصليبيِّين) ليست من عندنا، بل هي من الغربيِّين، فنحن نُسمِّيهم (الفِرنجة).

وهم ناس قدموا من بلاد الفرنج لشنِّ حروب استعماريَّة: غزو استعماري لبلاد الإسلام، جاءت تسع حملات صليبيَّة إلى هذه البلاد الإسلاميَّة وبلاد فلسطين، واستعمروا هذه البلاد، وأقاموا بها ممالكَ وإماراتٍ، وساعدهم الخَوَنَة من أمراء المسلمين، وعقدوا معهم تحالفات ضدّ إخوانهم من المسلمين؛ فالخيانة موجودة في كل زمان، واستطاعوا أن يدخلوا المسجد الأقصى، وأن يظلَّ المسجد الأقصى أسيرًا في أيديهم تسعين سنة.

(١) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

ثم هيّأ الله رجــالًا من أمثال عمــاد الدين زنكي، وابنــه نور الدين محمود الشهيد، الَّذي كان يشبّه بالخلفاء الراشــدين في زهده، وعدله، وحُسن سيرته، وشجاعته، وبطولته، وهو أســتاذ صلاح الدين، ثمّ جاء تلميذه صلاح الدين فأكمل المسيرةَ، وكتب الله على يديه الفتح، فانتصر في معركة حِطِّين، ثمَّ في معركة فتح بيت المقدس؛ وذلك عندما استطاع هؤلاء أن يُفَجِّروا طاقات الأمَّة، فالأمَّة فيها طاقات مكنونة تحتاج إلى من يُفَجِّرها، ومن يستثير كوامنها، ومن يُحيي رُوحَها!

استطاع نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي والعلماء معهم: أن يجمعوا الأمَّة من شــتات، ويُحْيوها من مَوات، لــم يجمعوا كلّ الأمَّة، ولكنهم جمعوا مصر والشام، وهيّأوا الرجال، أعدُّوا ما استطاعوا من قوَّة، ومن ســلاح يمكنهم صنعه، واســتطاعوا أن ينفخوا الــرّوح في الجثة الهامدة؛ فيحيا النَّاس من جديــد، ودخل صلاح الدين الأيوبي إلى بيت المقدس، ولم يسيّل الدماء، ولم يصنع مذبحة كما فعــل الصليبيُّون، الَّذين قتلوا ســبعين ألفا حينما دخلوا بيت المقدس، وغاص النَّاس إلى ركبهم في الدِّماء، ولكن صلاح الدين لم يفعل ذلك، واكتفى بالانتصار، وقال: هــذا يوم من أيَّــام الله، لا ينبغي فيه البغــي ولا الفخر[١]، وأكمل المسيرة من بعده الوُلاة إلى الظاهر بيبرس.

زحف التتار:

وجاء في هذا الوقت نفسه في أواخر أيَّام الصليبيِّين التتار، زحفوا من الشــرق كالرِّيح العقيم، ما تذر من شــيء أتت عليه إلَّا جعلته كالرَّميم،

(١) انظر: البداية والنهاية (٥٧٩/١٦)، تحقيق عبد الله بن عبد المحســن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

لا يقف أمامهم أحد، أمَّة فتيَّة جديدةٌ بقوّتها، فرسانٌ متمرّسون، وجاؤوا في فترة ضَعفٍ من الأمَّة وتمزُّق، فاستطاعوا أن يلتهموا بلادَ المسلمين بلدًا بعد بلد.

حينما تكون الأمَّة مُمزّقة تستطيع أن تأكلها، لا تستطيع أن تأكل رأسَ ذبيحة في لقمة واحدة، ولا أن تأكل رطل لحم في لقمة واحدة، إنّما إذا قمت بقطعه إلى أجزاء، تستطيع أن تأكله، كانت الأمَّة مقطَّعة ممزَّقة الأوصال، فاستطاعوا أن يأخذوها بلدًا بلدًا، ولم يتحرّك أحد، إلى أن وصلوا في القرن السابع إلى عاصمة الخلافة العباسيَّة، في بغداد، فدخلوا بغداد، في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)، وأسالوا فيها الدماء، وأزهقوا الأرواح، حتَّى إنَّ الدّماء كانت تسيل من الميازيب من السّطوح، ومنها إلى الطرقات والشوارع، وبقوا مدَّة طويلة، استمرت شهورًا وهم يقتلون ويذبِّحون، حتَّى قال ابن كثير: إنّه يقال: إنَّه قتل نحو ألفي ألف(١). يعني مليونين، وهذا في ذلك الزمن رقم كبير جدًّا، وكانت النَّاس لا تُقتل بالقنابل أو المتفجرات، بل بالذبح.

هكذا كانت الأمَّة الإسلاميَّة، وكان المثل السّائد يقول: إذا قيل لك: إنّ التّتار قد انهزموا فلا تصدِّق! نفس أسطورة القوَّة الَّتي لا تُقهر، والشّوكة الَّتي لا تُكسر، لم يكن التّتار ينهزمون أبدًا، ثمَّ هيّأ الله رجالًا لينتصر الإسلام على التتار مرّتين، انتصر انتصارًا عسكريًّا في موقعة حاسمة من مواقع التاريخ اسمها موقعة (عين جالوت) في فلسطين.

اجتمع التّتار هناك، وأرسلوا إلى القائد المملوكيّ الرّجل الصّالح المظفّر سيف الدين قُطُز، أرسل إليه قائد الجيوش التّتارية رسالة تبرق

(١) البداية والنهاية (٣٦١/١٧).

QaradawiBooks.com

وترعد، وترغي وتزبد، يقول فيها: نحن الَّذين قتلنا العباد، وفتحنا البلاد، وسفكنا الدمّاء، وكذا وكذا، سَلّمْ تَسْلَمْ، إلخ. فلمَّا وصلت إليه الرسالة وتُلِيَت على قُطز، وكان أمامه الأمراء وقادة الجيوش، قام قُطز بتمزيق الرسالة أمام النَّاس حتَّى يعرفوا أنّه لا يُبالي بهؤلاء، مزّق الرسالة أمام الجميع، وأمر بضرب أعناق الرّسولَيْن اللّذين حملا تلك الرسالة، رغم أنَّ السُّنَّة الإسلاميَّة تَنْهى عن قتل الرُّسُل، ولكنَّه أراد أن يُبلِّغ بذلك رسالةً إلى القائد التَّتاريِّ، وهي أنَّنا لا نخافك ولا نرهبك، ويُبلِّغ رسالة إلى الشعب وإلى الجنود، وهي أنّنا لا نخاف هؤلاء، فأمر بقتل هؤلاء الرسُل، وقال لقادته وشعبه: استعدُّوا للجهاد، وفعلًا استعدّوا.

وكان سلطان العلماء في تلك الفترة الإمام عزُّ الدين ابن عبد السَّلام يحرِّض النَّاس على القتال، ويُحَرِّض الجنود على التوبة من العصيان وممّا يُغْضِب اللهَ، وسار الجيشُ المصريّ بقيادة قُطز في شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) بعد سقوط بغداد بسنتين فقط، وكانت هذه المعركة في يوم الجمعة في الخامس والعشرين من رمضان، وعندما التقت الجيوش نكص المسلمون عندما التقوا التّتار في أوَّل الأمر، من الرّعب الَّذي دخل في قلوبهم، فلمّا رأى قُطز هذا الفرار وكان يلبس خوذة من النحاس، ألقى بخوذته في الأرض، وصاح صيحته التاريخيَّة الشهيرة: (وا إسلاماه، وا إسلاماه) الإسلام في خطر، ولم يكد الجنود والنّاس يسمعون هذه الكلمة حتَّى تغيَّر الموقف، فعاد الَّذي فرّ من المعركة، وتقدَّم المتردِّد، وتشجَّع الجبان، وأقدم المُحجم، وهجموا على التّتار كالأُسود، وكان النصر للإسلام وللمسلمين، انتصر الإسلام على التّتار عسكريًّا، وانتصر عليهم معنويًّا، فدخل بعد ذلك التّتار مختارين في دين الإسلام، وأقاموا دول الإسلام في آسيا وغيرها. هكذا كانت أمّتنا في التّاريخ!

QaradawiBooks.com

أمتنا اليوم:

وأمّتنا اليوم تمرّ بفترة من فترات الضّعف والهوان، ما هانت أمّتنا كما هانت اليوم وهي تُهدَّد في أرضها، تُهدَّد مـن الصليبيَّة العالميَّة الغربيَّة، ومن الصّهيونيَّة المتجبّرة، ومن حلفائها، تُهَدَّدُ أمَّتنا؛ ولا يستطيع أحد أن يقف في وجه هذه الهجمة الصّليبيَّـة الصَّهيونيَّة الجديدة، فكلّ من قال: (لا) وكلّ من رفع رأسه، لا بدّ أن يُؤدَّب، ولا بدّ أن يُهاجَم.

ليبيا قالت: (لا) فـي وقت من الأوقات؛ فصُبَّـت عليها الهجمات، وضُرِبَت الضّربات، وَوُضِعَت في القائمة السّوداء، وحُوصرت وقُوطِعَت، وهكذا كلّ من يقف في وجه الطاغوت الجديد.

العـراق الآن لماذا يُهدّد؟! هـل لأنَّه يمتلك الأسـلحة المتطورة أو أسلحة الدمار الشـامل؟ وماذا في امتلاكه أسـلحة الدمار الشامل؟ ألا يمتلكها الكيان الصهيوني المسـمّى إسـرائيل، والّذي يمتلك ٢٠٠ قنبلة نوويَّة وأكثر، ويملك ترسانة لا يملكها العرب مجتمعين؟!

ولكن في عُرْفِ هؤلاء أنَّه لا يجوز أن تملك دولـةٌ عربيَّةٌ ولا دولةٌ إسلاميَّة الأسلحةَ النّوويَّة، ولذلك تُدَبَّر التدابير، وتُبَيَّت المكايد، وتُصْنَع شتّى الحيل؛ لتجريد العراق من أسلحته بالفعل، ولم يبقَ عنده إلّا القليل من الأسـلحة للدّفاع بها عن نفسـه، ولكنَّهم لا يريدون فقـط أن تُنْزَع أسـلحة العراق، بل أن تُنزع أدمغةُ العراق، ألّا يوجد دماغ عراقيّ يفكّر تفكيرًا علميًّا، يريدون القاعدة العلميَّة البشريَّة.

فالعراق هـو المقصود من وراء هـذه الحمـلات، إنّ العراق صنع ما صنع بالقوّة البشريَّة العلميَّة، الَّتي أعدّها طوال هذه السّنين، وكلّ هذه

QaradawiBooks.com

الهجمة تتمُّ لحســاب الصّهيونيَّة، ولحساب (إســرائيل) حتَّى تبقى هي المتفرّدة في المنطقة، وهي الَّتي تستطيع أن تفعل ما ستفعل، ولا يردّها رادٌّ، ولا يصدّها صَادّ، فلا يجوز لأحد أن يتمرّد على (السّيّد الجديد) أو (الإله الجديد)!

أيّ بلد يحاول أن يتمرَّد؛ فلا بدّ من أن يأخذ عقوبته، وقد رأينا الكثير من الأمثلة على ذلك خلال السنوات القليلة الماضية، وما زلنا نراه حتَّى الآن، فهناك الكثير من الدول الإسلاميَّة أخذت عقوبتها، وما زالت تأخذ هذه العقوبة، والكلّ الآن يقولون: (نعم)، ولا يقولون: (لا)، لماذا؟ لأنّهم هانوا على أنفسهم، فهانوا على عدوّهم، والشاعر يقول:

سَــأُكْرِمُ نفســي إنَّنِي إنْ أَهَنْتُها لَعَمْـرُكَ لم تَكْرُم علــى أحدٍ بعدي(١)

ونحن هُنَّا على أنفســنا فهُنَّا على أعدائنا، تمزّقنا شــرَّ مُمَزَّق، تفرّقنا فاســتطاع عدوُّنا أن يَخْلُصَ إلينا، وأن يستخدم قوّته مستغلًّا هذا التفريق والتمزيق ليسود علينا، ويأمر فيُطاع، ويقول فيُسْمَع قولُه، هذه هي مصيبة أمّتنــا، الآن الأمَّة مهدَّدة، ولا نجد صلاح الديــن، أمَّة تُغزى من الغرب ولا صلاح الدين، وتُغْزَى من الشرق، ولا قُطز، ردَّة ولا أبا بكر لها، هذا هو حال أمّتنا اليوم!

ماذا تملك أُمَّة الإسلام؟

البعض يقول: وماذا تملك الأمَّة؟ ولا نســتطيع أن نقاوم هذه القوى العالميَّة؟ والله نحن نســتطيع لو صمَّمنا، وعزمنا، وقلنا بملء فينا: (لا)، المهمّ أن نقول: (لا) ونصرخ بها في وجوه العالم.

(١) حماسة البحتري صـ٣٢٧، وتاريخ دمشق (٣٧/٨٦).

QaradawiBooks.com

نحن نملك من مؤهِّلات القوَّة ما يجعلنا نقف على أرض صُلبة، عندنا القوَّة البشريَّة العدديَّة، مليار وثلث المليار من البشر من أمَّة الإسلام، ولكن أين هؤلاء، والقوَّة العدديَّة ليست شيئًا هيِّنًا، فالشاعر العربيّ يقول:

ولستَ بالأكثرِ منهم حصًى ... وإنَّما العزَّةُ للكَاثِرِ[1]

والآخر يقول:

ملأنا البَرَّ حتَّى ضاقَ عنَّا ... ونحنُ البَحْرُ نملؤه سَفِينَا[2]

والله تعالى يقول: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٦]، فالكثرة ليست شيئًا هيِّنًا، إنّها نعمة لو تمَّ توظيفها واستُغِلَّتْ، أمَّة من ألف و(٣٠٠) مليون من البشر، العرب حوالي (٣٠٠) مليون ووراءهم ألف مليون من المسلمين، وهي قوَّة لا يُستهان بها. ولكن المشكلة فينا، والنبيّ ﷺ تحدث عن كَثْرَة، ولكنَّها كَثْرَة كغُثاء السيل؛ حين أخبرنا بتداعي الأمم علينا كما تتداعى الأَكَلة على قَصْعَتِها، قالوا: أَمِنْ قِلَّة بنا يومئذ؟ قال: «**لا، بل أنتم يومَئذٍ كثير، ولكن غثاءٌ كغثاءِ السَّيْل**»[3].

عندنا الكثرة العدديَّة، عندنا القوَّة الماديَّة، والاقتصاديَّة، فنحن نملك ثروات هائلة: زراعيَّة، ومعدنيَّة، وبحارًا وبحيرات، وثروات مائيَّة، ونحن في صُرَّة العالم، ولكنَّ هذه الثَّروات كثيرًا ما تضيع، فالخامات الأصليَّة

---

(١) القائل: الأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ صـ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١، في معلقته، تحقيق إيميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

يشتريها الغرب منَّا بأرخص الأسعار، كما يفعل في النّفط، الَّذي نبيعه بأرخص الأسعار وهم يبيعونه بأضعاف الأضعاف، ويُصنِّعونه ويُعيدونه إلينا بأغلى الأسعار.

عندنا القوَّة الماديَّة الاقتصاديَّة، وعندنا القوَّة الحضاريَّة، نحن أمَّة لها جذور تاريخيَّة ولسنا دخلاء على التّاريخ، كالأمريكيّين وغيرهم، الَّذين لا يتجاوز عمرهم مائتي عام، ونحن لدينا الإسلام الَّذي له أكثر من أربعة عشر قرنًا، والشُّعوب الإسلاميَّة هذه كلُّها أمم عريقة في التّاريخ، الحضارة الفرعونيَّة، والحضارة الفينيقيَّة، والحضارات الآشوريَّة، والبابليَّة، والحضارة الفارسيَّة، والحضارة الهنديَّة، نحن ورثة الحضارات، منطقتنا منطقة الحضارات ومنطقة الرسالات!

في هذه المنطقة كانت اليهوديَّة، وكان موسى عليه السّلام؛ فموسى لم يُبعث من الغرب، والمسيح الَّذي يدين بدينه الغربيُّون وُلِد في أرضنا، ومُحمَّد ﷺ بُعث بالإسلام في هذه الأرض، نحن في أرض الرسالات، والنُّبوّات، وفي مهد الحضارات والمدنيَّات، هذا العمق التاريخي، وهذا العمق الحضاري لا يملكه غيرنا!

ثُمّ نحن نملك القوَّة الرُّوحيَّة، نحن وحدنا الأمَّة الَّتي تملك آخر رسالات السّماء، نحن وحدنا الَّذين عندنا آخر كلمات الله إلى البشريَّة متضمّنة في القرآن الكريم، الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الوثيقة السّماويَّة الوحيدة، الَّتي لم يعترها تحريف ولا تبديل هو القرآن، ليس هناك أحد عنده هذه الوثيقة، كلّ الكتب حُرِّفت وبُدِّلت إلّا القرآن، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

نحن نملك الرسالة، رسالة الوسط للأمَّة الوسط، رسالة التوازن الَّتي

QaradawiBooks.com

وصلت الأرض بالسماء، ووصلت العقل بالقلب، ووصلت الدّنيا بالآخرة، ومزجت بين الروحيَّة والماديَّة، ووفّقت بين حرّيَّة الفرد ومصلحة المجموعة، ووازنت بين الحقوق والواجبات، رسالة الوسطيَّة والتّوازن هي رسالة الإسلام، والبشريَّة في حاجة إلى هذه الرسالة، الَّتي تعطيها الدين ولا تسلبها الدُّنْيا، تعطيها الإيمان ولا تحرمها العلم، تصلها بالسماء ولا تنتزعها من الأرض، تعطيها الروح ولا تحرّم عليها المادَّة، البشريَّة في حاجة إلى هذه الرِّسالة، ونحن المسلمين في حاجة إلى هذه الرِّسالة، ونحن عندنا هذه القوَّة والطَّاقات كلُّها.

الأمة قادرة على المواجهة:

لماذا يُقال إنَّ الأمَّة لا تستطيع أنْ تواجه؟ الأمَّة في حاجة إلى قيادة تستطيع أن تفجِّر طاقاتها، وتجمع شتاتها، وتحيي مَواتها، وتقف بها في المعركة الحاسمة بينها وبين أعدائها، هذا اليأس الَّذي خيّم على النَّاس، هذه الهزيمة النَّفسيَّة هي مرض هذه الأمَّة، وعلى العلماء والدُّعاة والمُفَكِّرين والمُربِّين والمُوجِّهين: أنْ ينيروا عقول هذه الأمَّة، ويُحَرِّكوا عزائم هذه الأمَّة، حتّى تستطيع أنْ تقف أمام أعدائها.

الشّعوب الإسلاميَّة أراها بحمد الله مرتبطة، فإذا ذهبت إلى بلاد الإسلام: في آسيا، أو في إفريقيا، أو في أيّ مكان، في يوم جمعة مثل هذا اليوم، ودخلت المسجد، وجدت المسلمين كلَّهم، كلُّ المسلمين يدعون لإخوانهم في فلسطين، ويدعون لإخوانهم المسلمين في كلّ مكان، ويدعون على اليهود الظالمين الغاصبين، ويدعون على الأمريكان المعتدين، ويقولون: اللهم يا مُرسل السَّحاب، ويا مُنزِّل الكتاب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، فكلُّ المسلمين

QaradawiBooks.com

وكلُّ الشعوب الإسلاميَّة مترابطة، ولكنّ الحكّام والسياسيّين الَّذين قدّر على الأمَّة أنْ تكـون تحت قيادتهم، هم المُمزَّقـون، وهم المفترقون، ولهذا ضاعت الأمَّة.

نحن في حاجة إلى صلاح الدين من جديد، في حاجة إلى أئمَّة وإلى قادة ينفخون فـي روح الأمَّة، ويعيدون لها الحياة، والأمَّة مُسْـتَعِدَّة! والله ما ذهبت إلى أيِّ مكان في الشَّـرق أو في الغرب؛ إلَّا وجدت الشَّـباب الإسلاميَّ يتحرَّق إلى الجهاد، ويتمنَّى الموت في سبيل الله، ولكن للأسف الطرق مسـدودة أمامهم، وكم من شـباب جاؤوني يريدون الذهاب إلى إخوتهم في فلسطين، قلت لهم: لا تستطيعون، وجاءني شابٌّ قطريٌّ وقال: إنَّ معي عشرين شابًّا يريدون الذهاب إلى فلسـطين، وقد قرَّرنا الذهاب. قلت له: لا تسـتطيع. فقال: إنِّي سـأخرج حاملًا راية عليها لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله، وسأذهب إلى لبنان. قلت له: وتخرج حاملًا الراية؟ لن تسـمح لك دولة قطر بالخروج منها، ولن تسـمح لك الدولة السـعوديَّة بالدخول فيها، ولن يسمح لك لبنان باختراق الحدود، لن يسمح لك أحد.

الضَّعف في القيادة، وهكذا كان السـيِّد محبُّ الدين الخطيب يتَّخذ هذا الشّـعار في مجلَّته، مجلَّة (الفتح) الَّتي كانت تصدر في أوائل هذا القرن، وكان له شعاران: الشعار الأوَّل يقول: المسلمون في خير، ولكن الضعـف في القيادة، والشـعار الثاني يقـول: أنت على ثغـر من ثغور الإسلام فلا يؤْتَيَنَّ من قبلك.

أيُّها الإخوة المسلمون:

أمّتنا مهدّدة ولا ينبغي أن نستسـلم، ينبغي أنْ تبقـى الأمَّة مفتوحة العينين؛ لنواجه هذا العدوّ، الَّذي نستطيع أن نواجهه بوسائل شتَّى، ومن

QaradawiBooks.com

أهمَّ الوسائل: أن نقاطع سِــلَعَه الاقتصاديَّة، من أهمّ الوسائل: أنْ نساعد إخواننا بما استطعنا، من أهمّ الوسائل: أنْ نستشعر هذا الهمّ في أنفسنا، وأن نعبّر عنه بألسنتنا؛ على الأقلّ بالدعاء لهؤلاء الإخوة، يجب أن تُعَبَّأ مشــاعر الأمَّة، وأعتقد أنّه من وراء هذه الشدائد ســينبثق الفجر، فكلما اشتدّ الظلام كان ذلك بشيرًا بأنَّ الفجر ســينفجر، أحلك ساعات الليل سوادًا هي السُّويعات الَّتي تسبق الفجر، إنَّنا ننتظر الفجر الجديد إن شاء الله، وعندنا من المُبَشِّرات ما يطمئننا ويملؤنا أملًا.

لنا مُبشِّرات من القرآن، ومُبشِّرات من الحديث، ومبشِّرات من التاريخ، ومبشِّرات من الواقع، ومبشِّرات من ســنن الله تبارك وتعالى، وصدق الله العظيم إذ يقــول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

أقول قولــي هذا وأســتغفر الله تعالى لي ولكم، فاســتغفروه إنّه هو الغفور الرّحيم، وادْعوه يَسْتجِبْ لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

ورد أنَّه في يوم الجمعة ساعةُ إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجاب له[١]، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أصْلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عصمـةُ أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا الَّتي فيها معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتَنا الَّتي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموتَ راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ أكرمنا ولا تهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدْنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثِر علينا، وارضَ عنَّا وأرضِنا.

اللهمَّ اجمعْ كلمة هذه الأمَّة على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، ونيَّاتِها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهـمَّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمسـنا، واجعلْ غَدَنا خيـرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا طرفةَ عَيْنٍ ولا أقلَّ من ذلك.

اللهمَّ انصُرْنا على أعدائك، أعداء الإسلام.

اللهمَّ انصُرْنـا على اليهـود الغاصبيـن المعتديـن، وانصُرْنا على الصليبيّيـن الحاقديـن الكائدين، وانصُرْنـا على الوثنيّيـن المتعصِّبين الظالمين، وانصُرْنا على جميعِ أعدائك أعداءِ الدِّين.

اللهمَّ رُدَّ عنَّا كَيْدَهم، وفُلَّ حدَّهم، وأَذِلْ دولتهم، وأذهبْ عن أرضك سلطانهم، ولا تدعْ لهم سبيلًا على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

(١) كما في الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ أدِرِ الدَّائرةَ عليهم، وسُقِ الوبال إليهم، ونكِّس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأنزلْ عليهم بأسَك الَّذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهمَّ يا مُنزِلَ الكتاب، ويا مُجريَ السَّحاب، ويا هازِمَ الأحزاب، اهْزِمْهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهمَّ انصُرْ إخوتنا المجاهدين في سبيلك في كلِّ مكان، اللهمَّ انصُرْ إخوتنا في فلسطين، اللهمَّ انصُرْ إخوتنا حيثما كانوا من أرض الإسلام، اللهمَّ سَدِّد رميتهم، وقَوِّ شوكتهم، واجمَع على الحقّ كلمتهم، واحرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكْلأْهم في كنفك الَّذي لا يرام، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدِهِمْ صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهمَّ اجعلْ هذا البلد آمنا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائرَ بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على عبدك ورسولك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقِمِ الصلاة إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * *

QaradawiBooks.com

٥
وقفة للأمَّة على رأس العام(١)

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مرَّ بنا عيد الأضحى كما مرَّت أعياد كثيرة، وإنَّما سُمِّي العيد عيدًا لعودة الفرح والسرور فيه، ولكنا نحاول منذ سنين وعقود أن نفرح بأعيادنا كما ينبغي، وأن نُسرَّ بها، وأن تبتسم ثغورنا، وأن يُهنِّئ بعضنا بعضًا بفرحة العيد حقيقة، ولكن لا نجد ذلك.

نفرح بالعيد لأننا في عيد الفطر أكملنا الصيام، ونفرح بعيد الأضحى لأنَّ الحجيج وقفوا بعرفات، وأقبلوا على استكمال حجِّهم يوم الحج الأكبر، ولكنا لا نجد الفرحة الحقيقيَّة.

العيد الحقيقي:

العيد الحقيقي يوم تتحرر أرض الإسلام، العيد الحقيقي يوم يتحرَّر المسجد الأقصى من آسريه، العيد الحقيقي يوم تتَّحد كلمة الأمَّة على الهدى، وقلوبها على التقى، العيد الحقيقي يوم تعلو كلمة الإسلام،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ يناير ٢٠٠٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتحكم شريعة الإسـلام، العيد الحقيقي يوم تصبح هذه الأمَّة حقًّا سيدة نفسها، لا يملك أحد من أمرها شيئًا، هذا هو العيد، ولكن أين هذا العيد؟

كان مَنْ قبلنا يقولون في بعض أعيادهم:

هـذا الزمانُ الَّـذي كُنَّـا نُحَاذِرُه في قولِ كَعْبٍ وفي قولِ ابْنِ مَسْعُودِ
إنْ دامَ هـذا ولم تَحْـدُثْ له غِيَرٌ لم يُبكَ ميتٌ ولم يُفرحْ بمَوْلُودِ[(١)]

قالوا هذا في زمن لم يكن المسـلمون فيه مثـل ما نحن فيه اليوم؛ فماذا يقولون لو عاشوا زماننا؟

كانت عائشة رضي الله عنها تتمثَّل ببيت لَبِيد بن ربيعة الَّذي يقول فيه:

ذَهَبَ الَّذينَ يُعَاشُ فـي أَكْنَافِهِمْ وبقيتُ في خَلفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

فتقول: رحم الله لبيدًا، كيف لو عاش إلى زماننا هذا[(٢)]؟ وقد عاشت في زمان بني أميـة، تغير الحال عن عهد النبوة، وعن عهد الراشـدين، وكان ابن أختها عروة بن الزبير المُحدِّث الفقيه الزاهد الورع يتمثَّل ببيت لبيد بن ربيعة:

ذهبَ الَّذينَ يُعَاشُ فـي أَكْنَافِهِمْ وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأَجْرَبِ

ويقول: رحـم الله لبيدًا، ورحم الله عائشـة، كيف لو عاشـا إلى زماننا هذا[(٣)]؟ يقول هذا وهو في زمن الفتوحات الإسلاميَّة، في المشرق والمغرب

(١) من شعر أبي سهل سعيد بن عبد الله الثكلي. انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي صـ١٧٦، نشر دار المناهل، بيروت.

(٢) رواه عبد الرزَّاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨). وانظر: ديوان لبيد بن ربيعة صـ٢٦، تحقيق حمدو طمّاس، نشر دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٩٢٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

والشمال والجنوب، كان الفاتحون في ذلك الوقت يفتحون الصين؛ بجيش على رأسه مسلمة بن عبد الملك، ويفتحون سمرقند؛ بجيش على رأسه قتيبة بن مسلم، ويفتحون الهند؛ بجيش على رأسه مُحمَّد بن القاسم بن مُحمَّد، ويفتحون الأندلس في إسبانيا؛ بجيش على رأسه موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد؛ كيف لو عاشوا إلى زماننا ماذا كانوا يقولون؟

نحن في الزمن الأمريكي، في الزمن الصهيوني، في الزمن الَّذي تتحكم فيه إسرائيل في رقابنا وبلادنا، تقتل مَنْ تشاء أن تقتل، وتُدمِّر ما تشاء أن تُدمِّر، وتُحاصر ما تشاء أن تُحاصر، وأمريكا تعبث بمقدَّراتنا، تأمر مَنْ تشاء فيأتمر، وتنهى مَنْ تشاء فينتهي، وتصدر أوامرها في بلادنا كأنها أصبحت (عزبة) لها، أصبحت أمريكا متألِّهَة في الأرض، وفي أرضنا خاصَّة، أصبحت لا تُسأل عمَّا تفعل كأنَّها الله، ولا تحاسب على ما تقول.

ودَّعنا العيد، وودعنا السنة الشمسيَّة سنة ٢٠٠٦م. وعادة حينما نتحدَّث عن الحساب الختامي نتحدَّث عنه في بداية السنة القمريَّة، ولكن لا بأس أن نتحدَّث عن ذلك في أوائل السنة الشمسيَّة.

والسنة الشمسيَّة مرتبطة بالحساب الشمسي، أشهُرها الاثنا عشر وضعية، فيها شهر ثلاثون، وآخر واحد وثلاثون، وآخر ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون، والتقويم بها بدأ بميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والسنة القمريَّة مرتبطة بالقمر، وأشهُرها أيضًا وضعيَّة، وضعها الشرع، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]. والتقويم بها بدأ بهجرة الرسول ﷺ.

QaradawiBooks.com

انتهت سنة ٢٠٠٦م. بمآسٍ لا نستطيع أن نتحدث عنها، لا نستطيع أن نتحدث عمـــا حصَّلناه في هذه الســـنة من أربـــاح، وما تكبَّدناه فيها من خسائر، الحساب المدين عندنا ثقيل، رصيدنا مدين وليس دائنًا، ميزاننا شائل خفيف وليس ثقيلًا، لسنا ممَّن ثقلت موازينه.

انتصار الإخوة المقاومين في العراق على التجبُّر الأمريكي:

الحســـاب في تلك السنة خسائر وراء خســـائر، إلَّا شيئًا لا بدَّ لنا أن نذكره وهو انتصار الإخوة المقاومين فـــي العراق على التجبُّر الأمريكي والتألُّـــه الأمريكي، لقد أحبطـــوا مكر الأمريكان، لقـــد ردوا كيدهم في نحورهم، وأعادوا سهامهم المسمومة إلى صدورهم.

كانت أمريكا تحسب أن دخول العراق نُزهة، لن تطول إلَّا شهورًا ثمَّ تُنهي كل شيء، كانت تحسب أنَّ العراقيين سيقابلونها بالأحضان، ســـيلقون عليها الزهور والورود، فلم يقابلوها إلَّا بالرصاص، كانت تحسب الأمر لقمة ســـائغة، وغنيمة باردة، وبيضة مقشورة، فوجدت الأمر غير ما تظن، وجدت الأحرار من الشعب العراقي، مَنْ باع نفسه للأمريكان فهو وشأنه، ولكن الشعب العراقي الحر، المسلم العربي، الأبيَّ الأشـــمَّ: وقف في وجه التألُّه الأمريكـــي، ولم يعط الأمريكان فرصة ليستريحوا.

صحيـــح أنَّ الأمريكان معهم ما معهم من أســـلحة فـــي البر والبحر والجو، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتغلبوا على الشعب العراقي.

انتصر الشعب العراقي على الأمريكان، هذا هو المكسب الَّذي ينبغي أن ننوِّه به، لا ينبغي أن نبخـــس هؤلاء المقاومين حقَّهم، ومثلهم إخوتنا

QaradawiBooks.com

في أفغانستان، الَّذين لم يستسلموا حتَّى اليوم للطغيان الأمريكي، وللسلاح الأمريكي، وللتجبُّر الأمريكي، هذه مكاسب لا ينبغي أن نستهين بها.

الفشل في تحقيق التنمية:

صحيح أنَّ الخسائر أكبر على كل مستوى: على المستوى الداخلي، وعلى المستوى الخارجي، على المستوى المحلي، وعلى المستوى الإقليمي، وعلى المستوى الدولي.

لم نستطع أن نحقق نجاحًا في ميادينا الداخلية المختلفة، لم نحقِّق نجاحًا في تحقيق تنمية لبلادنا، تخرجنا من سجن التخلف إلى باحة التقدم، وعندنا مقوِّمات التنمية ما يجعلنا ننهض بأمَّتنا، ولكن كل التقارير عن التنمية تؤكد: أنَّنا لم ننْمُ كما ينبغي، لم ننْمُ ماديًّا، ولم ننمُ بشريًّا، لم ننمُ إنسانيًّا، ولا يمكن أن نُنمِّي بلادنا حقيقة ما لم نُنَمِّ الإنسان.

وكيف يُنمَّى الإنسان في بلادنا وهو مخنوق؟ كيف يُنمَّى الإنسان وهو يُساق بالعصا؟ إن أمَّة من العبيد لا تستطيع أن تنمو، إنَّما تنمو أمَّة الأحرار، وقد رُزقت هذه الأمَّة ـ أو رُزئت وابتليت ـ بحكام يسومونها الخسف، ولا يسمحون لها أن تتنفس، مثل هذه الأمَّة لا تستطيع أن تحقق تنمية.

ولذلك ترى السجون والمعتقلات في بلادنا تعجُّ بالأحرار الشرفاء، الَّذين أبوا أن يطأطئوا ظهورهم، أو يحنوا رؤوسهم، الَّذين قالوا: لا، بملء فيهم، وقد قيل: يعجبني من الرجل إذا سِيم الخسف أن يقول بملء

QaradawiBooks.com

فيه: لا[1]. وأنظمتنا الحاكمة أكره شيء عليها مَنْ يقول: لا. تريد من النَّاس أن يقولوا دائمًا: آمين. أن يُؤَمِّنوا على دعائها، وأن يصدقوا دعواها، وأن يسيروا في ركابها. لم نحقق تنمية للأسف!

الفشل في معالجة مشكلة الفقر والبطالة:

ولم نعالج مشكلة الفقر، لا تزال نسبةُ الفقر نسبةً عاليةً، لا يزال هناك مَنْ يعيشون على (العيش) الجاف، أو الخبز (الحاف)، لا زال هناك مَنْ يعيش هو وزوجته وأولاده ـ وربما أمه وأبوه ـ في حجرة واحدة، ربما كانت فيمن يسمونه (البدروم)، لا زال هناك فقر في بلادنا، رغم أن بلادنا بلاد زراعيَّة، وفيها المعادن من كل لون، ومن كل نوع، ولكنا لم نزرع ولم نصنع، لا زالت بلادنا متخلِّفة تُحسَب على العالم الثالث أو العالم الرابع إن وُجِد.

لم نعالج مشكلة البطالة، والبطالة موجودة في كل بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة، هناك نسبة عالية من الشباب (٦٠٪) أو أكثر في بلادنا، ولكن هؤلاء الشباب لا يجدون عملًا، هذا ما تقوله التقارير بالأرقام.

الفشل في تحقيق الحرية والديمقراطية:

لم نستطع أن نحقق الحرية والديمقراطية، وأنا لا أجد مانعًا أن نستخدم كلمة (الديمقراطية) لأني أعني بها الشورى، أن يحكم الناسَ مَنْ يريدونه، لا يحكمهم مَنْ يكرهونه. أن يقود السفينة مَنْ يختاره النَّاس قائدًا ورُبَّانًا لها، لا أن يُفرض عليهم حاكم بالقوَّة العسكريَّة، أو يُفرض

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٥)، من قول زياد بن أبيه، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

عليهم من الأجانب ومن القوى المعادية، نريد أن يختار النَّاس حاكمهم، يحبهم ويحبونه، يدعون لـه ويدعو لهم، كما قـال ﷺ: «**خيار أئمَّتكم الَّذين تُحِبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم** ـ أي تدعون لهم ويدعون لكم ـ **وشـرارُ أمرائكـم الَّذين تُبغضونهـم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[1]. ومعظم الحكَّام في بلادنا العربيَّة من الصنف الأخير، يبغضهم النَّاس ويبغضونهم، ويلعنهم النَّاس ويلعنونهم، هذا هو ما نُصاب به في بلادنا.

مرت هذه السنة ٢٠٠٦م. وخسـائرنا أكثر من أرباحنا على المستوى الداخلي، وعلى المسـتوى الخارجي، لا تزال قضايانا الكبرى، قضايانا الأساسـيَّة كما هي، لا تزال قضايانا نائمة لم تصحُ، جامدة لم تتحرك، (محلك سِرْ)، كل قضايانا مأسـاويَّة، عن أي قضيَّة من هـذه القضايا المأساويَّة أتحدث؟!

أأتحدَّث عن أم القضايـا، وكبرى القضايا، ومحـور القضايا: قضيَّة أرض الإسـراء والمعراج، قضيَّة الأقصى، قضيَّة فلسطين؟ أأتحدَّث عن قضيَّة الصومال؟ أأتحدَّث عن قضيَّة السودان؟ أأتحدَّث عن قضيَّة لبنان؟ أأتحدَّث عن قضيَّة العراق؟ أأتحدَّث عن قضيَّة كشـمير؟ قضايانا كثيرة، كل قضايا العرب والمسلمين لا تزال مُجمَّدة مُعلَّقة.

قضيَّة فلسطين:

قضيَّة فلسـطين، وما أدراك ما قضيَّة فلسـطين؟ القضيَّة الَّتي نمسي ونصبح ونحن نمسـك قلوبنا: ماذا سـيجري اليوم؟ ماذا سيحدث من

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

QaradawiBooks.com

مصائب؟ ماذا سيحدث من آلام؟ ماذا سيحدث من قتل ودماء؟ لا تزال هذه القضيَّة كما هي!

أقرب شيء بالأمس إسرائيل تقتحم رام الله، وتقتل أربعة جهارًا نهارًا، وفي غزة اقتتال بين الإخوة بعضهم وبعض، أسفر عن ستة من القتلى؛ يا الله ما هذا الَّذي يجري؟ الفلسطيني يقتل أخاه الفلسطيني!

علامَ تقتتلون أيُّها الناس؟ على أيِّ شيء؟ على السلطة؟ على الحكومة؟ أي سلطة؟ أي حكومة؟ أتظنون أن بأيديكم سلطة؟ أتظنون أنَّ لكم سيادة؟ أتظنون أنكم تحكمون أنفسكم؟ إنَّ عدوَّكم هو الَّذي يتحكَّم في رقابكم، يدخل متى شاء، ويخرج متى شاء، ويحاصر مَنْ يشاء، ويفرج عمَّن يشاء؛ فعلام تقتتلون؟! هل الحكومة أو السلطة غنيمة حتَّى تتصارعوا عليها؟ السلطة غُرْم وليست غُنْمًا، السلطة تُعرِّض للمصائب وللقتل وللاغتيال.

لو كنتم في حالة سَعَة واختيار وعافية لقلنا: يمكن أن تختلفوا. وما يجوز الاختلاف والتفرق في أيِّ حال، التفرق مصيبة وكارثة في كل الأحوال، ولكنَّه في مثل أحوال الإخوة في فلسطين أشد كارثية، أشد مصيبة، أشد هوْلًا، أشد جريمة ونُكرًا، علامَ تقتتلون أيُّها الإخوة؟ علامَ يطلق الفلسطيني الرصاص في صدر أخيه الفلسطيني؟

المفروض أنَّ المحنة والشدَّة تجمع المتفرقين، وتوحِّد المختلفين، وتقرِّب بين المتباعدين، ونحن في محن وراء محن، وشدائد وراء شدائد، الشاعر العربي قديمًا يقول:

نَخَلَتْ له نَفْسي النَّصِيحَةَ إنَّه … عندَ الشدائدِ تذهبُ الأحقادُ(١)

(١) الشعر لعويف القوافي. انظر: الأغاني (١٣٨/١٩)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

عندما تأتي الشدَّة يذهب الحقد، إذا كنَّا جميعًا في شدَّة؛ فليس هناك مجال لأن أحقد عليك وتحقد عليَّ، الكرب يجمع الناس.

وحديثا قال أمير الشعراء أحمد شوقي وهو يخاطب الحمام:

فإنْ يكُ الجنسُ يا ابنَ الطلحِ فرَّقَنا … إنَّ المصائبَ يجمعنَ المُصَابِينَا(١)

أنا غريب وأنت غريب والغربة تجمع، وإذا كان الشاعر يقول:

أجَارَتَنـا إنَّـا غَرِيبَـانِ هَاهُنـا … وكلُّ غريـبٍ للغريبِ نسـيبُ(٢)

فهناك أشدُّ من الغربة، هناك الكُربة، هناك الشدَّة، هناك العدوُّ المتربِّص.

لماذا لا يضع كل منا يده في يد أخيـه؟ أعجزنا أن نتفق على حل؟ أليست لنا عقول نفكر بها؟ ألا يستطيع كلٌّ منا أن يتنازل عن شيء؛ لكي نصل إلى صيغة توفيقيَّة ما بين الجميع؟!

يا إخوتنا في فلسـطين، يا إخوتنا في فتـح، يا إخوتنا في حماس، أناديكم جميعًا، أناشدكم الله أن تكفُّوا عن سفك الدماء؛ حرام حرام أن تُسفَك قطرة دم من فلسطيني برصاصة فلسطينية.

يجب أن تتوجَّه الرصاصات كلها، وتتوجَّه الأسـلحة كلها، وتتوجَّه الأيدي كلها إلى العدو: الَّـذي لا يرعى لكم عهدًا ولا حُرمَة، ولا يرقب فيكم إلًّا ولا ذمَّة، يسفك الدماء، ويهتك الأعراض، وينتهك الحرمات، ويدمِّر البيوت، ويقتلع الأشـجار، ويفعل ما يفعل؛ أفنـدَع له الفرصة، ويقاتل بعضنا بعضًا؟!

---

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) ديوان امرئ القيس صـ٨٣، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

أَمَا سمعتم حديثَ رسول الله ﷺ وهو يقول: «**سبابُ المسلمِ فُسوق، وقتاله كُفْر**»(١)؟ ويقول في حجَّة الوداع: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٢).

يجب أن تنتهي هذه المأســاة أو هذه المهزلة، سموها ما تسمونها، الإســلام يفرض الســلام والصلح بين أبنائه بالقوَّة؛ حينما يكون هناك مجتمع يُحتكم إليه، يقــول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. هذا بعض ما جرى في فلسطين.

قتال رجال المحاكم الشرعيَّة في الصومال:

وأحدِّثكم عمَّا جرى فــي الصومال الَّذي أنهكتــه الحروب، وتجار الحروب، وأمراء الحروب، ودعاة الفتن، حتَّى عاش سنين عددًا لا يشعر بأمن، ولا يشــعر باســتقرار، وفي هــذه الحالة نهض رجــال المحاكم الشــرعيَّة، رجــال مخلصــون، لا يبغون من أحــد جزاء ولا شــكورًا، ولا يريدون عُلوًّا في الأرض ولا فســادًا، ناشدهم بعض النَّاس إن كانوا يســتطيعون أن يجمعوا الناس؛ فنــادوا النَّاس، فاســتجاب النَّاس لهم مختارين طائعين، وجاؤوا يقاتلون معهم، وانضمَّ النَّاس إليهم، وكل بلد دخلوه اســتتبَّ فيه الأمن، وقلَّت فيه الجرائم، وعــاش النَّاس فيه آمنين مطمئنين، ما رأينا هؤلاء الرجال بنوا قصــرًا، ولا ظهرت عليهم النعمة، ولا ظهر عليهم رغد العيش، هم أناس يعيشون على البساطة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولكن الأمَّة المتربصة بأمَّة العرب وأمَّة الإسلام، لا تريد لهذا البلد الطيب الهادئ المسكين: أن ينعم فترة بالأمن والسكينة، فكادوا لهم كيدًا، ومكروا بهم مكرًا كُبَّارًا، وسرعان ما تحرَّكت أمريكا، ولأمريكا من الكيد والمكر والاستخبارات والأدوات ما لها، وحرَّكت أمريكا مَنْ تستطيع أن تُحرِّكهم، حرَّكت الجيش الأثيوبي الصليبي؛ ليغزو الصومال بدباباته وطائراته ومصفَّحاته وأسلحته الثقيلة، وهؤلاء مساكين ليس معهم إلَّا أسلحة محدودة معدودة قليلة في كَمِّها وفي نوعها، ولذلك لم يستطيعوا أن يواجهوا هذا الجيش.

دخل الجيش الأثيوبي الصومال غازيًا، ولكن للأسف وجد هناك مَنْ يرحِّب بالغزاة، ويفتح لهم ذراعيه، ويقول: نحن الَّذين طلبناهم. وما طلبوهم، هم جاؤوا وفرضوا أنفسهم، وما كانوا إلَّا ليفرضوا أنفسهم، ما دامت وراءهم أمريكا، وسقطت المحاكم الشرعيَّة، وفروا أمام هؤلاء.

وتقول واشنطن اليوم كما تقول أديس أبابا: سنتتبعهم ونتعقبهم ولن نتركهم! علام ذلك؟! هؤلاء لم يرتكبوا جرمًا، الشعب اختارهم، ووكَّلهم بالدفاع عن نفسه، ما ارتكبوا جريمة، ما ارتكبوا مظالم حتَّى يُتعقَّبوا ويُعتبروا مجرمين؛ ما هذا؟!

لقد اختلطت المفاهيم، والتبست المعايير، لقد أصبح المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، لقد أصبح الحق باطلًا والباطل حقًا؛ أيُحاكَم المخلصون؟ أيُتعقَّب الأناس الصَّالحون الَّذين لم يرتكبوا شرًّا، أو لم يقصدوا إلى شرٍّ قط؟ هذا ما حدث في الصومال.

قضيَّة دارفور في السودان:

وهناك ما يحدث في السودان، هناك قضيَّة دارفور، لا تستطيع القوى المتربِّصة بالعرب والمسلمين أن تحيا دون أن تعمل، عقولها تتحرك

QaradawiBooks.com

دائمًا في كل شر للمسلمين، لقد عاش السـودان سنين طويلة في مأساة الجنـوب وقضيَّة الجنـوب، وما كلَّفته من شـهداء وتضحيات، وأموال وعتاد: أثَّر على ميزانية الحكومة، وأثَّر على حالة الشعب واقتصاده.

فلما حُلَّت مشـكلة الجنوب هـذه، واتفقوا فيها علـى أمر: بدؤوا يبحثون عن أمر آخر حتَّى لا يهدأ السودان هذا البلد الكبير، فأثاروا قضيَّة دارفـور، وهم يريـدون أن يتدخَّلوا فـي دارفور، لا ليحلوا المشـكلة، ولا ليطفئوا الفتنة، ولكن ليزيدوا الطين بلَّة، ويزيدوا الداء علة، ويزيدوا النار اشتعالًا.

دارفور هذه بلد القـرآن، وقُرَّاء القرآن، ومُعلِّمـي القرآن، كل أهلها حُفَّاظ قرآن، هم الَّذين علَّموا السـودان كلها، وعلَّموا تشاد ومَنْ حولهم القرآن، كيف نقول عن حافظ القرآن ومُعلِّم القـرآن: إنَّه ليس بعربي؟! أثاروا فتنة عرب وأفارقة، الإفريقي الَّذي يحفظ القرآن أليس عربيًّا؟

قلت هذا لأهل دارفور حينما زرتهم في مدينة الفاشر، قلت لهم: أنتم عرب وأفارقة، ونحـن في مصر أفارقة وعـرب، ما الَّذي جعلنا عربًا؟ تعلمنا العربيَّة، كل مَنْ نطـق بالعربيَّة فهو عربي أيًّا كان عرقه، العروق لا قيمـة لها في الإسـلام، كُن ما كنت، ولكـن إذا تكلَّمت العربيَّة فأنت عربي.

هؤلاء أثاروهـا فتنة: عرب وأفارقة، ورعـاة وزُرَّاع؛ إنهم يريدون أن تظلَّ الحـرب قائمة، ولا يريـدون أن يصلـوا إلى نتيجـة، وقد رفض السـودانيون أن تأتي قوَّة من الخارج؛ لأنَّهم لا يأمنـون هذه القوى: أن تؤدِّي إلى شر وفتنة، وقالوا: قوى إفريقية لا بأس بذلك.

QaradawiBooks.com

هؤلاء النَّاس يكيدون للسودان كما يكيدون للبنان، الآن لبنان انتصر في حربه على إســرائيل، كان يمكن أن يظلَّ لبنان كتلة واحدة وشــعبًا واحدًا، ولكنهم يثيرون الفتن بين أبناء البلد الواحد بعضهم وبعض.

غير مرخصة للطباعة

الاقتتال الطائفي في العراق:

وأخيرًا أيُّها الإخوة، إذا أردنا أن نتحـدَّث عن ٢٠٠٦م. فلا بدَّ أن نتحدَّث عن العراق، وما أدراك ما العراق، وما يجري في العراق؟ ما يجري في العراق يجل عن الوصــف، ويعز على التصويــر، ما يجري في العراق لا يســتطيع الإنسان أن يصوِّر حقيقته، ما يجري في العراق من قتل على الهُويَّة، ما يجري في العراق من تهجير للناس من ديارهم في البصرة وفي بغداد.

ما جاءت به المعلومات المســتفيضة من هنا وهناك، عما يجري في العراق: تُشــعر أنَّه على خطر كبير، وأنَّه على وشــك أن تقوم فيه حرب أهليَّة تأكل الأخضــر واليابس، حرب طائفيَّة، وهــذا ما حذَّرت منه من قديم على هذا المنبر، وما حذَّرت منه في برنامج (الشــريعة والحياة)، وما لا أزال أُحذِّر منه.

منذ نحو عشرة أيَّام أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بيانًا يُحذِّر فيه ممَّا يجري في العراق، من أحــداث وفتن لا تكاد تُصدَّق، وقلنا: لا بدَّ لأهل الحل والعقد أن يتدخلوا، لا بدَّ للجامعــة العربيَّة أن تتدخل، لا بدَّ لمُنَظَّمة المؤتمر الإسلامي أن تتدخل، لا بدَّ للأمم المتحدة أن تتدخل.

أقل ما يجب أن تُرسَل لجان لتقصِّي الحقائق: أهذه حقائق؟ إذا كانت حقائق فالأمر خطير خطير خطير، معناه أن هناك حرب إبادة مُبيَّتة للسنَّة، هذا أمر لا يمكن السكوت عليه.

نسخة تجريبية

وطالما نادينا المراجع الشيعيَّة الكبرى، المراجع الدِّينيَّة الَّتي يأتمر النَّاس بأمرها، إذا قالت: افعلـوا. فعلوا، وإذا قالت: اتركوا. تركوا، هذه المراجع هي المسـؤولة، ويجب أن تقول كلمتها، لا يمكن السكوت على هذا!

كذلك نطالب طهران، نطالب إيران، نطالب الآيات الكبرى، نطالب المرشد الأعلى السـيد خامنئي، نطالبهم أن يقولوا كلمتهم، ولا يصمتوا في هذا الموقف، وإلا اتَّهمهم النَّاس أنَّهم متواطئون، أو أنَّهم المُصدِّرون لهذه الفتن، أو أنَّهم هم المموِّلون لمن يفعل هذه الأفاعيل!

لا يمكن السكوت على ما يحدث في العراق، ما يحدث في العراق يؤْذن وينذر بخطر كبير، يمكن أن يُقسِّـم الأمَّة كلها، لأنَّه في وقت من الأوقات لا يحسن السكوت، ولا يحسن الصمت، سنعلنها صريحة، وإذا أعلناها صريحة كان هناك شيء خطير وخطير.

إعدام صدام حسين:

وآخر ما تمخَّض عنه الموقف في العراق هو إعدام صدام حسين يوم العيد، وفي الساعة السادسة صباحًا، أي في وقت صلاة العيد.

أنا لم أكن بعثيًّـا ولا صدَّاميًّا في يوم من الأيام، ولن أكون، ولم أكن متعصِّبًا لطائفة أو مذهب في يوم من الأيام، ولن أكون، ولم أكن يومًا من مثيري الفتن ومشعلي الحرائق، ولن أكون، ولكنِّي لا أستطيع أن أسكت إذا رأيت الباطل، إذا رأيت المنكر جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا؛ كيف أسكت؟!

إن إعدام صدام في يوم عيد الأضحى، وفي سـاعة صلاة العيد: أمر منكر لا يقبله مسـلم بحال من الأحوال، أنا لسـت مـن الَّذين يقولون

QaradawiBooks.com

بعصمة الحُكَّام، الحُكَّام ليسوا معصومين، وخصوصًا الحكام الَّذين اتُّهِموا بمظالم، هؤلاء يجب أن يحاكَموا، لا أمنع من محاكمة صدام؛ بل أطالب بمحاكمة حُكَّامنا جميعًا، على أن يكون الَّذين يحاكمونهم هم شعوبهم، يجب أن تحاكمهم شعوبهم، لا يحاكمهم المحتلُّون لأرضهم.

كنت أود أن يهتم الشعب العراقي قبل كل شيء بمقاومة الاحتلال، وتحرير أرضه من الاحتلال الأمريكي، وتحرير إرادته من الاستعمار الأمريكي الجديد، فإذا حرَّر أرضه وحرر إرادته يحاكم صدَّامًا، ويحاكم غير صدام.

أمَّا أن يصدر الحاكم الأمريكي أمره بإقامة المحكمة، وأن يظل الأمريكيون يراقبون، ويحضر الجنرالات المحاكمات؛ فهذا ما لا نقبله، لا أقبل محاكمة صدَّام تحت سلطان الأمريكان، هذه ليست محاكمة عراقيَّة، ولكنها محاكمة أمريكيَّة.

الأمريكيون يريدون أن يشفوا غليلهم في هذا الرجل، الَّذي لم يستطيعوا أن يلووا عنقه، وأن يثنوا عنانه، الرجل الَّذي ضرب تسعة وثلاثين صاروخًا في إسرائيل لم تنسَ له إسرائيل هذا، الرجل الَّذي دمَّروا مفاعله النووي؛ حتَّى لا توجد قوَّة نوويَّة سلميَّة ولا عسكريَّة؛ إلَّا قوَّة إسرائيل في المنطقة، الرجل الَّذي تبنَّى قضيَّة فلسطين طول حياته.

الرجل الَّذي قال للأمريكان: لا. لم يقبل أن يسير في الركاب، أو يتمسَّح بالأعتاب، كان يستطيع أن يقبل أنصاف الحلول، وأن يتقابل معهم في منتصف الطريق، وأن يظهر اللين، وكان يمكنهم أن يقبلوا هذا، ويرضوا منه هذا، ولكن الرجل رفض، ولذلك أصرَّ الأمريكان على أن يُحاكَم وأن يُعدم، ثمَّ يُنفَّذ حكم الإعدام في يوم العيد.

QaradawiBooks.com

لقد تبرَّأ الأمريكان من هذا، وقال سفيرهم: لقد طلبت من الحكومة العراقيَّة أن تؤجِّل هذا الإعدام أسبوعين، ولكن الحكومة أصرَّت أن تُنفِّذ، وأن يكون التنفيذ يوم العيد.

وللأسف قال بعض زعمائهم الدينيين والسياسيين: إنَّ هذا ليس يوم العيد عندنا، العيد عندنا في الغد، في يوم الأحد وليس في يوم السبت. ما أشأم ما قال؛ العيد عند جمهرة المسلمين هو يوم السبت، وهو العيد في بلاد الحرم وبلاد الحجيج؛ حيث عيَّد النَّاس هناك.

وهبْ أن هذا اليوم ليس يوم العيد عندكم، أليس يوم عرفة؟ وهل يوم عرفة يوم هيِّن؟ إنَّ يوم عرفة أفضل أيَّام السنة، هذا بإجماع المسلمين، ليلة القدر أفضل ليالي السنة، ويوم عرفة أفضل أيَّام السنة، وهو اليوم الَّذي تُوزَّع فيه المغفرة والرحمة، وفيه شعائر العيد، يبدأ تكبير العيد من فجر يوم عرفة.

قتلوا الرجل، وليتهم اكتفوا بالقتل، النَّاس تقول: لا شماتة في الموت. ولكن هؤلاء النَّاس شمتوا في الموت، النَّاس يقولون: يجب أن يحترم الميت أيًّا كان. وقد مروا على النبي ﷺ بجنازة فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفسًا؟**»[1]. يهودي أم غير يهودي، هي نفس إنسانيَّة، النفس الإنسانيَّة تُحترم، وهؤلاء لم يحترموا النفس الإنسانيَّة.

كان الرجل رابط الجأش متماسكًا ثابتًا، أَبَى أن تُغمض عيناه، وأصر أن يُقابل الموت بعينين مفتوحتين، كانوا هم يغطون وجوههم، وهو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

وجهه مكشوف، ورأسه مكشوفة، وقف صُلبًا كالجبل، ونطق بالشهادتين: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشـهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن مُحمَّدًا رسـول الله. ولم يدعوه في الثالثة أن يكمل قوله: أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله. وقطعوا رقبته.

شهد الرجل الشـهادتين، مات على لا إلٰه إلَّا الله، ما معنى أن نسبَّ الرجل ونلعنه ونحن نسـمعه يقول: لا إلٰـه إلَّا الله؟ «**مَنْ كان آخر كلامه لا إلٰه إلَّا الله دخل الجنَّـة**»[1]، الرجل يقول: لا إلٰه إلَّا الله. فكيف نسبُّه ونلعنه ونقول: إلى جهنَّم، إلى جهنَّم؟! هل ملَّكك الله مفاتيح جهنَّم حتَّى تدخل فيها مَنْ تشاء؟! ويتحدثون بأسماء طائفية، ما هذا الَّذي يجري؟!

النبي ﷺ يقول: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[2]. انتهوا إلى الله يحاكمهم ويجازيهم بما عملوا، «**لا تسـبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء**»[3]، «**لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير**»[4]، وهؤلاء يذكرون هذا الرجل بالسوء.

إنَّ ممَّا يخفِّف عن صدام حسين أنَّه في سنواته الأخيرة، كما حكوا عنه الإخوة فـي العراق: أنَّ الرجـل تغيَّر حاله، وأصبـح حريصًا على الصلوات، وعلى قراءة القرآن، وعلى فعل الخيرات، كان يسارع إلى أيِّ شيء فيه نجدة لإنسان، كان يسـاعد في بناء المساجد، ويقول: كل مَنْ

(١) رواه أحمد (٢٢٠٣٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (٣١١٦)، والحاكم (٣٥١/١)، كلاهما في الجنائز، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (١٨٩/٥)، عن معاذ بن جبل.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٤) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وأبو داود الطيالسـي (١٥٩٧)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ١٠١٥، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يريد أن يبني مسجدًا؛ فإن على الحكومة أن تساهم معه بنصف القيمة. وحينما دخلوا عليه في مخبئه السرِّي وجدوا عنده سجادة صلاة ومصحفًا مفتوحًا.

هذا كله يدل على أنَّ الرجل في سنينه الأخيرة قد اتَّجه إلى التوبة، وباب التوبة مفتوح، لا يدَّعي أحد أنَّ الله يغلق باب التوبة عن أحد، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، أي بالتوبة، كل الذنوب قابلة للمغفرة بالتوبة، حتَّى الشرك والكفر، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

والله تعالى تحدث عن الشرك والقتل والزنا فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]. باب التوبة مفتوح حتَّى تطلع الشمس من مغربها.

صحيح أنَّ التوبة لا تُسقط حقوق العباد، ولكن لو علم الله من عبد من عباده أنَّه تاب توبة نصوحًا، توبة صادقة من أعماق قلبه، فهل يرده؟! لا، بل يقبله ويرضي عنه خصومه يوم القيامة بما يشاء، هذا فضل الله عز وجل.

إننا ما كنا نحب أن يحدث هذا من إخوتنا الَّذين أظهروا الإعدام بمظهر طائفي، وكأنَّه انتصار لطائفة ضد طائفة، وكلامهم: إنَّ عيدنا غدًا، وعيدكم اليوم. يُكرِّس هذه النزعة الَّتي لا نحبها، وهذا الموقف يزيد الموقف شدَّة وعناءً وكدرًا، في العراق وما يجري في العراق، هذا الموقف في الحقيقة زاد الطين ابتلالًا، وزاد النار اشتعالًا.

QaradawiBooks.com

نحن كنا نربأ بالإخوة الشيعة في العراق: أن يقفوا هذا الموقف، وأن يستثيروا إخوانهم من أهل السنَّة، حتَّى استثاروا كثيرين ممَّن كانوا لا يحبون صدام، ولا يتعاطفون مع صدام، ولكن هذا الموقف جعل قلوب النَّاس تعطف عليه، ما هذا الَّذي يجري؟ ما هذا الحقد الأسود؟ حتَّى ساعة الموت، حتَّى ساعة الإعدام؟!

نحن نريد لهذه الأمَّة أن تجتمع كلمتها على الهدى، أن تجتمع قلوبها على التقى، أن تجتمع نفوسها على المحبة، أن تجتمع إراداتها على الخير، أن يجتمعوا على ما فيه مصلحة الأمة، أن يُغلِّبوا الأمَّة على الفِرقة أو الطائفة، أن يُغلِّبوا الإسلام على المذهب، أن يُغلِّبوا المصلحة العليا على المصالح الدنيا.

هذا ما نريده لهذه الأمَّة حتَّى تستطيع أن تتغلب على مشكلاتها، وعلى مصاعبها، وعلى جميع أمورها، وتتبوأ مكانتها تحت الشمس، وتستطيع أن تحقق في هذه الحالة ذاتيتها بإقامة شرع الله، وإعلاء كلمة الله في الأرض، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

٦

بين ابتلاء الفرد وابتلاء الأمَّة[(١)]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مضت بضعة أشهر ولم يُقدَّر لي أن أعتلي هذا المنبر الَّذي صار بيني وبينه رابطة ومودة، بين الخطيب ومنبره صلة عميقة، يشتاق إليه، ويحن إليه، يحن إلى جمهوره، إلى تلاميذه، إلى أحبائه.

قـدَّر الله عليَّ أن أُحرم مـن هذا المنبـر الَّذي لم يعد منبـرًا قطريًّا فحسب، ولكنَّه أصبح بفضل الله تعالى ثمَّ بفضل الفضائيَّة القطريَّة منبرًا عالميًّا يُسمع في كل القارات، كل مَنْ يفهم العربيَّة يستمع، ويحاول أن ينصت إلى هذا المنبر، وإلى خُطب هذا المنبر.

قدَّر الله عليَّ أن أُحرم من هذا المنبر بسبب ما ابتُليت به من مرض، أسأل الله تعالى أن يجعله كفَّارة لي، كفَّارة لسيئاتي وذنوبي، وما أكثرها، فكلنا خطَّاؤون، وخير الخطَّائين التوَّابون المستغفرون.

ومن فضل الله تعالى علينا نحن المسـلمين، أنَّه جعـل لنا أنهارًا أو حمَّامات نغتسل فيها، ونتطهَّر من ذنوبنا وسيئاتنا، منها الوضوء والصلاة،

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

والصدقات والصيام، والقيام والحج، والحسنات كلها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وكما قال ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحُها**»[١].

وهناك المصائب المُكفِّرة الَّتي تنزل بالإنسان، والإنسان في هذه الدُّنْيا مُعرَّض لبلايا مستمرة دائمًا، هكذا خلق الله الإنسان، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]. على الابتلاء قام أمر هذا الإنسان، منذ وُلد وإلى أن يموت، حتَّى إن عليًّا رضي الله عنه قيل له: صف لنا الدنيا؟ فقال للسائل: ماذا أصف لك من دار: أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء[٢]؟ أوَّل ما ينزل الإنسان من بطن أمه إلى هذه الدُّنْيا يبكي، ولذلك يقول الشاعر:

لِمَا تُؤذنُ به الدُّنْيا من صُرُوفِها ... يكون بكاءُ الطِّفْلِ ساعةَ يُولَدُ
وإلَّا فما يُبْكِيه منها وإنَّها ... لأفسحُ ممَّا كان فيه وأرغدُ[٣]؟

إيذانًا بأنها دار بكاء ودار آلام، ولذلك كانت هذه الدُّنْيا دار امتحان، ودار ابتلاء، يُبتلى فيها المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر، والمطيع والعاصي، يُبْتَلى بالشر ويُبتلى بالخير، يُبْتلى بالغنى ويُبتلى بالفقر، يُبتلى بالصحَّة ويُبتلى بالمرض، هكذا شأن الإنسان، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

(٢) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٠/٢)، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

(٣) ديوان ابن الرومي (٣٧٤/١) شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما من مسلمٍ يُصيبه نَصَبٌ ولا وَصَبٌ، ولا غمٌّ ولا حزنٌ، ولا أذًى، حتَّى الشوكة يُشَاكُها إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»(١).

لهذا كنا في حاجة إلى الآلام والأسقام في هذه الدُّنْيا لنتخفَّف بها من خطايانا، لنتطهَّر بها من أدران ذنوبنا، لنلقى الله أخفَّ أحمالًا، هكذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك لا ينبغي للمؤمن أن يجزع ولا أن ييئس إذا أصابته المصائب والأمراض، فهذا ليس لكراهية الله له، لو كان الأمر كذلك ما ابتلى الله أنبياءه ورسله وأحب النَّاس إليه، ولذلك جاء في الحديث: «**أشد النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قَدْرِ دِينِه، فإن كان دِينُه صلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ـ خفَّة وضعف ـ ابتُلي على قدر دينه، ولا يزال البلاء ينزل بالعبد حتَّى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**»(٢).

كل إنسان مُعرَّضٌ للبلاء، ونحن المسلمين لا نعتبر البلاء شرًّا، ولا نعتبره نقمة، بل نعتبره رصيدًا لنا في ميزاننا يوم القيامة. بل بعض المسلمين يفلسف البلاء حتَّى يجعله نعمة، يجعل من المحنة منحة، يجعل من المصيبة الَّتي تستوجب الصبر نعمة يشكر الله عليها، هذا ما جاء عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قال: ما أُصبت ببلاء إلَّا وجدتُ لله عليَّ فيه

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثّواب عليه[١].

النعمة الأولى: أنَّ البلاء لم يكن في دينه، وكل مصيبة لا تكون في الدين هي هيِّنة، ولذلك علَّمنا النبي ﷺ أن ندعو فنقول: «**اللهمَّ لا تجعلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنا، ولا تجعل الدُّنْيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ عِلْمِنا**»[٢].

والنعمة الثانية: أنَّ البلاء لم يكن أكبر منه، فكل بليَّة، هناك بليَّة أكبر منها. النَّاس يقولون في أمثالهم: قضاء أخف من قضاء، بلاء أخف من بلاء، من راعى بلوى غيره هانت عليه بلواه. والشاعر العربي يقول:

أَبَا مُنْذِرٍ أفنيتَ فاستبقِ بَعْضَنا حَنَانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بَعْضِ[٣]

فأن يكون الله قد ابتلاك بالأخف والأصغر، وعافاك من الأكبر فهذه نعمة يُقدِّرها المؤمنون.

النعمة الثالثة: أنَّه لم يُحرم الرضا بالبلاء، هناك أناس إذا نزل بهم بلاء سخط على الخلْق، وسخط على الخالق، وغضب على الأرض، وغضب على السماء، ولم يكن له صبر ولا رضا، وهذا شرٌّ عظيم، ولكن المؤمن إذا أصابه البلاء رضي بما قدَّر الله له، وعلم أن تقدير الله له خير من تقديره لنفسه، ورُبَّ ضارَّة نافعة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٢٩/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٣٤)، وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٦)، عن ابن عمر.

(٣) ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمري صـ١٤٢، تعليقة الأشعار المنسوبة إليه، تحقيق مكس سلغسون، نشر مطبعة برطرند، مدينة شالون، ١٩٠٠م.

QaradawiBooks.com

والنعمة الرابعة: أنَّه يرجو ثواب الله على البلاء، هكذا شأن المؤمن دائمًا، يرجو ثواب الله على كل ما يُبْتلى به، قلَّ أم كثُر، صغُر أم كبُر، ضعف أم قوي، إذا احتسب وصبر ورضي كان ذلك في ميزانه يوم القيامة، كان تكفيرًا لسيِّئاته، وزيادة في حسناته، ورفعًا لدرجاته، هكذا شأن المؤمن يرجو ثواب الله على كل ما يُبتلى به.

دخلت عظمة في رجل إحدى النساء الصالحات من السلف الصالح، دخلت من باطنها وخرجت من ظاهرها، فابتسمت، وقالت: الحمد لله. فقال لها بعض جلسائها: أفيك كل هذا الوجع وتبتسمين؟! قالت لهم: يا قوم، إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه[1].

هذا شأن المسلم حينما يُصاب بالابتلاءات في جسده، وفي ماله، وفي أهله، وفي كل ما يعزُّ عليه في هذه الدُّنْيا، الَّتي هي دار الابتلاء حقيقة، مَنْ أراد منها غير ذلك فقد أراد منها غير طبيعتها، كما قال الشاعر الحكيم:

جُبِلَتْ على كَدَرٍ وأنت تَرُومُها صَفْوًا من الأَقْذَاءِ والأَكْدَارِ
ومُكَلِّفُ الأيَّامِ ضدَّ طِبَاعِها مُتَطَلِّبٌ في الماء جَذْوَةَ نَارِ[2]

هذه طبيعة الدُّنْيا، والإنسان مُبتلًى في هذه الدنيا.

ولكن أحب أن أقول لكم أيُّها الإخوة: إنَّ بلاء الأفراد في الدُّنْيا مهما يكبر ويعظم، يخف ويصبح شيئًا هيِّنًا؛ إذا قورن ببلاء الأمَّة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/١٦٧)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

إنَّ ما أصابنــي من أمــراض وآلام أدخلتني المستشــفى، وألزمتني الفراش مدة من الزمن: لم يؤثر في نفســي كما أثرت فيها أحداث أمَّتنا الَّتــي نتابعها ليل نهار، وهي أحــداث تُدمع العيــون، وتدمي القلوب، وتفتت الأكباد، أحــداث تجعل الإنســان في كثير مــن الأوقات يغلق التليفزيون؛ حتَّى لا يرى نشرات الأخبار، لأن كل نشرات الأخبار تحتوي آلامًا لأمَّة الإســلام: في المشــرق أو في المغرب، في الشــمال أو في الجنوب، في بلاد العرب أو في بلاد العجم، فكثيرًا ما يريد الإنسان أن يفر من رؤية هذه المصائب على شاشات التلفزة.

على أنَّ الهرب لا يغني عن الواقع شــيئًا، الواقع يمضي كما هو، أمَّتنا في هذه المراحل الخطيرة لا تخرج من أزمة إلَّا لتقع في أزمة، لا تخرج من محنة إلَّا لتسقط في محنة أشد منها، وما كانت هذه الأمَّة هكذا من قبل.

هذه الأمَّة ســادت الزمن قرونًــا طويلة، كانت هي رائــدة الحضارة وســيِّدة العالم، أقامت فيه حضارة العلم والإيمان، وأسست دولة العدل والإحســان، وأقامت الأمَّة الَّتي تشــهد على النَّاس، علــى الأمم، على البشــريَّة كلهــا، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

كانت هذه الأمَّة سيِّدة في أرضها، بل سيِّدة في الكون كله، تتعبَّد لله وتسود الكون، وبماذا ســادت الأمَّة؟ ســادت بهذا الدين العظيم، بهذا الإسلام الَّذي جعلها الله مؤتمنة عليه، مسـؤولة عنه، ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، هــذه أمَّة مُحمَّد، أمَّة الدعوة، أمَّة الإجابة، أمَّة الإسلام، الله وكَّلها بهذا الدين، ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، هذه الأمَّة هي المُوكَّلة من الله

QaradawiBooks.com

بتبليغ رسالات السماء، والحفاظ على مواريث النبوات، والقيام على الحق في الأرض.

هذه الأمَّة يوم كانت أمَّة مسلمة حقًّا سادت العالم، كانت إذا قالت سُمعت، وإذا دعت أُمِّن على دعائها، لا يستطيع أحد أن يُهين فردًا من أبنائها؛ ما دام هناك خليفة يقول لمن أهان هذا الرجل في بلاد الروم أو غيرها: أطلق سراح هذا المسلم، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك، وآخرها عندي[(١)]. هكذا كانت هذه الأمَّة.

قال أحد قُوَّاد الفرس للمُغِيرة بن شُعْبة: مَنْ أنتم؟ مَنْ أخرجكم من بلادكم أيُّها العرب، وكنتم تأتون إلينا تطلبون المعونات والمساعدات؟ فقال له: نحن قدر الله، ابتلاكم الله بنا كما ابتلانا بكم، فلو كنتم في سَحَابة لارتفعنا إليكم، أو لهبطتم إلينا! هكذا كان المسلم يعتقد أنَّه قدر الله الَّذي لا يُغلب، وقضاؤه الَّذي لا يُرد.

هذه الأمَّة سادت الأمم، لا بالتأله في الأرض، ولا بالاستكبار على الخلق، بل بالزهد في الدُّنْيا والتواضع، فما كان جهاد المسلمين جهادًا من أجل الاستعمار، أو من أجل فتح الأسواق، أو من أجل كسب المال، أو من أجل دنيا، لأنَّ رسولهم علَّمهم أن «**مَنْ قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله**»[(٢)]. وما عدا ذلك فليس في سبيل الله، ولهذا حملوا سيوفهم وانطلقوا في الأرض ليُعلوا كلمة الله، وكلمة الله هي كلمة الحق، وكلمة الخير، وكلمة العدل، وكلمة الإحسان.

هكذا كانت هذه الأمَّة، فلمَّا ضيَّعت الأمَّة سبب عزتها وكرامتها

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ١٤٨.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

وسـعادتها غلبها المُغلَّبون، اجترأ عليها الجبناء، وتعـزَّز عليها الأذلاء، اليهود الَّذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، الَّذين قتلوا الأنبياء، وجرى عليهم مِن المقادير ما جرى.

هؤلاء اليهود الَّذين عاشـوا بيـن ظهراني المسـلمين قرونًا في ذمَّة المسـلمين وحمايتهم، وحينما طردتهم أوروبا المسيحية لم يجدوا كهفًا حنونًا، لم يجدوا لهم بلادًا تفتح لهم صدورها ودورها إلَّا بلاد المسلمين.

فلمَّا تمكَّن اليهود بعض التمكُّن قلبوا للمسـلمين ظهر المِجَنِّ، ولم يجدوا أرضًا يقيمون فيها دولتهم إلَّا أرض العرب وأرض الإسـلام، إلَّا الأرض المقدَّسة، أرض فلسطين.

ومنذ أوائل القرن العشـرين وإلى اليوم لا زلنا مع أبناء صهيون في معارك متَّصلة، معركـة وراء معركة، وحرب وراء حـرب، مَنْ زعم أن حـرب (١٣٩٣هـ) أو (١٩٧٣م). هي آخر الحروب فقـد أخطأ، الحروب مستمرة، والمعارك متَّصلة، مَنْ قال هذا؛ فإنما يُرخي العِنان لأعدائه؛ لأن معنى هذا أنَّه استسـلم، وترك الإعداد للحرب، وهم لم يتركوا الإعداد والاستعداد، هم عندهم ترسـانتهم النوويَّة وأسلحة الدمار الشامل، وهم مؤيَّدون من أقوى قوَّة في الأرض، مؤيَّدون بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي، لا تزال المعارك المتَّصلة بيننا وبين هؤلاء الَّذين غصبوا أرضنا، وسفكوا دماءنا، وشرَّدوا أهلنا، وفعلوا بنا الأفاعيل، ولا يزالون في كل يوم يفعلون.

ثم كانت الخاتمة في هذا الحصار الظالم، الحصار الجائر، الحصار الَّذي لا مبرر له لشعب غزة، الشـعب المناضل، الشعب البطل، الشعب المُضحِّي، الشعب الصابر المصابر المرابط، لا زال هذا الحصار منذ أكثر

QaradawiBooks.com

من ثمانية أشـــهر لهذا الشـــعب، لتجويعه وتركيعـــه وتطويعه وإخضاعه وإذلاله، والشـــعب يأبى أن يذل، ويأبى أن يركع إلَّا لله، يأبى أن يُخضع نفسه أو يحني رأسه أو يطأطئ رأسه إلَّا لربه، راكعًا وساجدًا، قَبِل الجوع ولم يقبل الركوع.

هذا الشـــعب الَّذي يزداد يومًا بعـــد يوم كلَّما عركتـــه المحن، ازداد صلابة، وازداد قـــوَّة، كالذهب الَّذي يدخل النار فيـــزداد صفاءً ولمعانًا، ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ازداد الحصار على هذا الشعب يومًا بعد يوم، حتَّى كانت الأيَّام الأخيرة قطعوا الوقود، وقطعوا الكهرباء عن هذا الشعب، والكهرباء هي ماء الحياة، هي وريد الحياة وشريانها، قطع الكهرباء يعني قطع المياه، أنَّك لا تستطيع أن تشـــغل الماكينات لضخ المياه، وأنك لا تســـتطيع أن تشـــغل ماكينات المجاري، وأنك لا تســـتطيع أن تشـــغل الأجهزة الطبية في المستشفيات، معنى هذا أنَّ الشعب الغزَّاوي الصابر المصابر مُهدَّد في حياته.

ولكن إلى متى يتألم هذا الشـــعب ويتوجَّع ويصبر؟ ما موقفنا نحن العرب ونحن المسلمين من هذا الشـــعب؟ ماذا فعلنا له؟ هناك أكثر من ثلث مليار من العرب، من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر كما يقولون، وهناك أكثر من مليار وراءهم من المســـلمين مـــن المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، من إندونيســـيا إلى المغرب وموريتانيا، هناك العرب والمسلمون ماذا فعلوا لإخوانهم هؤلاء؟

إنهم لو وقفوا وقفة رجل واحد، وقالوا لإسرائيل: لا. وقالوا لأمريكا: لا. لاســـتطاعوا بهذه (اللا) الصارخة المُنكِرة المحتجَّة أن يصمُّوا آذان

QaradawiBooks.com

هؤلاء، ولكنهم لم يطلقوا هذه الصرخة، ربما احتجَّ بعضهم بصوت خافت، والصوت الخافت لا يُسمع هؤلاء، الصوت الخافت ينيم اليقظان، والصرخة القويَّة توقظ النائم، لم نرَ صرخات، ولكن رأينا إمَّا الصمت؛ كأنَّما هو صمت القبور الخرساء، وإما الاحتجاج الخافت الخجول المستحيي.

لو أنَّ العرب ومن ورائهم المسلمون وقفوا مع هذا الشعب، وقالوا لأمريكا، وأمريكا لها مصالح عندهم، قالوا لها: لا، نحن لا نقبل هذا الهوان، ولا نقبل هذا الجوع، ولا نقبل هذا الذل لإخوتنا، لأهلينا وأبنائنا وبناتنا، وأخواتنا وإخواننا. لو قالوا هذا؛ لكان لأمريكا موقف آخر.

إننا في هذا المقام لا نستطيع إلَّا أن نشكر مصر الَّتي فتحت معبر رفح، فتحته في أيَّام الحج، وفتحته في هذه الأيام، ودخل عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الجياع والمرضى، ممَّن يحتاجون إلى الغذاء، ويحتاجون إلى الكساء، ويحتاجون إلى الدواء، ممَّن يحتاجون إلى ضروريات الحياة، نحيي مصر شعبًا وحكومة وقيادة، وقد قال الرئيس مبارك في هذا كلمات نحيِّيه عليها، ونرجو أن يثبت وأن تثبت مصر على هذا الموقف، وألا تستجيب للضغوط الَّتي تطالبها أن تغلق معبر رفح.

يجب على مصر أن تثبت على موقفها، فهذا الموقف هو الَّذي يوجبه عليها دينها، ويوجبه عليها وطنيَّتها، وتوجبه عليها قوميَّتها، ويوجبه عليها موقفها وموقعها من بلاد العرب.

وعلى الدول الأخرى أن تساند مصر، وأن يكون لها موقف آخر، لا يجوز أبدًا أيُّها الإخوة أن يصمت العرب، وأن يدعوا إخوانهم يسقطون وهم يرونهم بأعينهم، يتفرجون عليهم؛ أهذا موقف الأخ من أخيه؟

QaradawiBooks.com

النبـي ﷺ يقول: «**المسـلم أخو المسـلم، لا يظلمُه، ولا يُسـلمُه، ولا يخذله، ومَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[1]. لا يسـلمه لعدوه، لا يتخلى عنه، بل يشـدُّ أزره، ويسند ظهره، ويقوِّي عضده، كما كان هارون لموسـى، ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾ [القصص: ٣٥]، وكما كان يوسف لأخيه، ﴿**أَنَاْ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ**﴾ [يوسف: ٦٩].

إنَّ أخـاك الحقَّ مَـنْ كان معكْ ومَـن يَضُـرُّ نَفْسَـهُ لِيَنْفَعَـكْ
ومَـنْ إذا رَيْبُ الزمـانَ صَدَّعَكْ شـتَّت فيك شَـمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ[2]

هذه هي الأخوة الحقيقيَّة. أين أخوة العروبة؟ أين أخوة الإسـلام؟ هنا تظهر الأخوة الحقيقيَّة، في ساعات الشدائد، في ساعات المحن ينسى النَّاس خلافاتهم، ليس هذا وقت الخلاف، ليس هذا وقت فتح وحماس، المسألة لا تتعلق بحمـاس ولا بالجهاد ولا بفتـح ولا بالفصائل، المسـألة تتعلق بالشعب الفلسطيني كله، يجب أن ينسـى الجميع خلافاتهم، فعند الشدائد تذهب الأحقاد، وتذهب الخلافات، وكما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

فإن يكُ الجنسُ يا ابنَ الطلحِ فرقنا إنَّ المصائبَ يجمعنَ المُصابينا[3]

وأي مصائب أشد من هذه المصيبة تجمع المختلفين؟!

آن لحماس، وآن لفتـح، وآن لأبي مازن، وآن لخالد مشـعل، وآن لهؤلاء جميعًا أن ينسوا شـخصياتهم، أن ينسوا ذواتهم، وأن يفكروا في

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.
(٢) البيتان منسـوبان لسـيدنا علي بن أبي طالب، انظر: شـرح نهج البلاغة لابـن أبي حديد (١١٣/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشـر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
(٣) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٤/٢).

QaradawiBooks.com

فلسطين وحدها، وأن يجتمعوا معًا ليتفاهموا؛ حتَّى يخرجوا من هذا المأزق، هذا هو الَّذي توجبه عليهم الأُخوَّة الفلسطينيَّة، والأُخوَّة العربيَّة، والأُخوَّة الإسلاميَّة، والأُخوَّة الإنسانيَّة، ليس هذا وقت المزايدة، وليس هذا وقت أن يتحدَّى بعضنا بعضًا، في حالة الشدائد تُنسى ذوات الأفراد، ولا يُذكر إلَّا المجتمع الواحد، والأمَّة الواحدة.

اليهود بينهم من الخلافات ما بينهم كما قال الله تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. ولكنهم في المعارك يقفون صفًّا واحدًا؛ فلماذا لا نقف نحن صفًّا واحدًا؟

لماذا نرفض الحوار؟ ما البديل عن الحوار أيُّها الإخوة؟ البديل عن الحوار أن يقتتل بعضنا مع بعض، وهذا ما نرفضه دينيًّا، ونرفضه قوميًّا، ونرفضه إنسانيًّا. الإسلام يجعل هذا من شأن الجاهليَّة، «**لا ترجعوا بعدي كفارًا** ـ أي كأهل الجاهليَّة ـ **يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١)، «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(٢)، «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(٣).

لا نريد أن نتقاتل، بل نريد أن نتحاور، وليس هناك بديل عن الحوار، ولماذا يُرفض الحوار؟ تعالَ يا أخي نتفاهم، قل ما عندك، وأقول ما عندي، هذا هو الَّذي يقتضيه الواجب باستمرار، وخصوصًا في هذه المرحلة.

أدعو الإخوة من الفصيلين الكبيرين: فتح، وحماس أن يلتقيا جميعًا، والقاهرة مفتوحة لهم، يلتقي بعضهم مع بعض ليتفاهموا على وسائل

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

الخروج من هذا المأزق، وليلين بعضهم مع بعض، لا داعي للتصلب والتخشب، حينما كان النبي ﷺ يسوي الصفوف في الجماعة يقول: «**لينوا بأيدي إخوانكم**»[1]. ليستوي الصف ويستقيم لا تقف كالخشبة، ولكن لِنْ مع أخيك، تقدم خطوة أو تأخر خطوة؛ حتَّى يستقيم الصف، «**لينوا بأيدي إخوانكم**».

إنَّ الله تعالى لم يمدح الذل في القرآن إلَّا في موضعين: ذل الإنسان لأبويه، حينما قال: ﴿**وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٤].

والموضع الآخر: ذل المؤمن لأخيه المؤمن، حينما قال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [المائدة: ٥٤]. هؤلاء هم الَّذين ادَّخرهم الله لينصروا الإسلام أيَّام ردة المرتدين، ومروق المارقين: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾، أمَّا أن يتعزز الإنسان على أخيه، ويحني رأسه أمام الأجنبي، ويأخذه بالأحضان، ويفسح له صدره؛ فهذا غير مقبول بحال.

يا أيُّها الإخوة الفلسطينيون، ندعوكم أن تلتقوا، ندعوكم أن تتحاوروا، ندعوكم أن تتفاهموا، ندعوكم أن تنسوا خلافاتكم، ندعوكم في هذا الموقف الحرج أن تكونوا كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، فهذا شأنُ المؤمن كما قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[2]. وهذا شأنُ المؤمنين عند المعركة، كما قال تعالى:

(١) رواه أحمد (٥٧٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (٦٦٦)، والنسائي (٨١٩)، وابن خزيمة (١٥٤٩)، كلاهما في الإمامة، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. عند المعركـة، عند المواجهـة مع العدو لا مـكان لاختلاف، لا مكان لتفرُّق، بل هو مكان التلاحم والتضام والتصاف في صف واحد مستوٍ.

أمَّا أنتم أيُّها المسلمون في كل مكان، يا أبناء الأمَّة المسلمة، كونوا وراء إخوانكـم، شُـدُّوا أزرهـم، احموا ظهرهـم، كونـوا معهم بكل ما تستطيعون، هم يبذلون أنفسـهم وأبناءهم، فلا أقل من أن نبذل لهم أموالنا، أن ندفع لهم ما أمكننا لنغيثهم.

شكر الله لدولة قطر الَّتي سارعت بالإمدادات الإغاثية لإخوتنا هناك، وشكر الله لها سـعيها السياسي والدبلوماسـي لرفع الحصار عن هؤلاء الإخوة.

وكل المسلمون مطالبون دولًا وشـعوبًا، والشعوب مطلوب منها أن تقف بنيَّاتها، النبي ﷺ يقول: «**مَنْ سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشـهداء وإن مات على فراشه**»(١). نحن لا نسـتطيع أن نذهب لنجاهد فعلى الأقل نحمل نيَّات الجهاد، نصطحب نيَّة الشهادة، نسأل الله بصدق أن يرزقنا الله الشهادة، وأن يختم لنا بالشهادة، علينا أن نحمل هذه النيَّة.

وعلينا أن نبذل لإخواننا ما اسـتطعنا، وأنا لا أسمي البذل لإخواننا تبرعًا، كلمة تبرع لا تكفي في هذا المقام، هذا واجب علينا أن نساعدهم، هذا هو الجهـاد بالمال، هذا هـو معاونة الأخ لأخيه، هـذا هو تكافل المجتمع المسلم في السرَّاء والضرَّاء، في السلم والحرب، هذا التكافل مفروض على أمَّة الإسلام.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

QaradawiBooks.com

علينا أيضًا أن نقاطع بضائع أعدائنا الَّذين يقفون ضد قضايانا، وطالما نادينا بهـذه المقاطعة، ولكن في بعض الأحيـان ترتفع موجة الحماس ويقاطع النَّاس بضائع العدو، ثمَّ تهدأ الموجة شيئًا فشيئًا ويتساهل الناس؛ لماذا نتكاسل والمعركة لا تزال مستمرة، ولا تزال حامية الأوار؟ لا بدَّ أن تستمرَّ هذه المقاطعة.

ولا بد أن نكون مع إخواننا بالدعاء، ندعو الله لهم في خلواتنا وفي صلواتنا، وفي سجداتنا، وفي الأسحار، ندعو الله لهم أن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يتمَّ عليهم نعمته، وأن ينشر عليهم فضله ورحمته، ندعو الله لهم، والدعاء سلاح من أسلحة المؤمنين.

هذا هو الواجب علينا أيُّها الإخوة.

بعد هذه الصلاة ستكون هناك كلمات قصيرة موجزة لبعض الإخوة، ثمَّ ننطلق في مسيرتنا، ربما يقول بعض الإخوة: وما فائدة هذه المسيرة؟ هي تعبير عن الغضب على ما يجري، تعبير عمَّا في أنفسنا نحو إخواننا، المسيرات تعبِّر عن إرادات الشعوب ورغباتها في كل أنحاء العالم؛ ما بال بعضنا يُهوِّن من هذه المسيرات؟ نحن لا نقول: إنَّ هذه المسيرة هي كل المطلوب. هي بعض المطلوب، ولكن هناك أشياء مطلوبة منا قبل المسيرة وبعدها ويجب أن نستمر عليها.

إن شاء الله سنقنت قنوت النوازل بعد الركعة الثانية، وأدعو أئمة المساجد في مساجدهم أن يحرصوا على هذا القنوت ما دامت هذه الأزمات مستمرة، ونحن في نازلة مستمرة، ندعو الله أن يرفع البلاء عن المسلمين، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا

QaradawiBooks.com

الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذين آمنوا، ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٧
الابتلاء وحكمته

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، اقتضتها طبيعة الإنسان الذي خلقه الله للتكليف، وأقام حياته على الابتلاء من أول يوم، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، حتى قال الشاعر:

لِمَا تُؤْذِنِ الدُّنيا بهِ من صُروفها يكون بكاءُ الطِّفلِ ساعةَ يُولدُ
وإلَّا فما يُبكيه منها وإنَّها لأفسحُ مما كان فيه وأرغدُ[1]؟!

الابتلاء طبيعة الحياة:

طبيعة الإنسان قائمة على الابتلاء، وطبيعة الحياة التي يحيا فيها الإنسان أنَّها حياة ابتلاء وامتحان، لا تخلو من الأكدار والآلام، فالإنسان فيها بين بلية نازلة، أو نعمة زائلة، أو منية قاتلة، أو مصيبة من مصائب الدنيا تحل بالإنسان في نفسه، أو في عزيز عليه، أو حبيب إليه، هذه طبيعة الحياة!

(١) من شعر ابن الرومي، انظر: الإعجاز والإيجاز صـ٢٢٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

نسخة إلكترونية

QaradawiBooks.com

جُبلت على كَدرٍ، وأنت تريدُها صفوًا من الآلامِ والأكدارِ
ومُكلِّفُ الأيامِ ضدَّ طِباعِهَا مُتطلبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ[١]

لهذا سُئل الإمام علي رضي الله عنه عن الدنيا؟ فقال: ماذا أصف لك من دارٍ: أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء[٢]!

تعرض المؤمن للابتلاء:

الابتلاء كذلك تقتضيه طبيعة الإيمان، فالإنسان المؤمن معرض للبلاء أكثر من غيره؛ وذلك لأنَّه صاحب حق يذود عنه، وصاحب رسالة يدعو إليها، ويدافع عنها. والحق لا بد أن يشتبك بالباطل، والخير لا بد أن يصطدم بالشر، والهدى لا بد أن يصارع الضلال، سنة التدافع، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

خلق الله آدم وخلق إبليس، وخلق إبراهيم وخلق النُمروذ، وخلق موسى وفرعون، وخلق محمدًا ﷺ وأبا جهل، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢]، لهذا كانت طبيعة الإيمان تقتضي أن يُبتلى المؤمن أكثر مما يُبتلى غيره، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

أثر الابتلاء على المؤمن:

الابتلاء طبيعة لا بد منها، لا بد من الابتلاء، والأفراد يُبتلوْن، والشعوب والأمم تُبتلى أيضًا، ولكن المهم من ينجح في الابتلاء،

(١) ديوان أبي الحسن التهامي ص٣٠٨، تحقيق د. محمد عبد الرحمن الربيع، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٢م.

(٢) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٠/٢).

QaradawiBooks.com

ومن يستفيد من الابتلاء، ومن ينتفع بالمحنة التي تنزل به، وبالأزمة التي تمر في حياته؟ المؤمن هو الذي يستفيد من الامتحان، يصهره الابتلاء صَهرًا، فيَصقل معدنه، كما جاء في الحديث: «**مثل المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمَّى؛ كَمَثَل الحديدة تدخل النار؛ فيذهب خبثها، ويبقى طيبها**»(١).

الابتلاء ينفي الخبث عن المؤمن، كما ينفي الكير، وكما تنفي النار خبث الحديد، ولهذا يقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»(٢). هو يستفيد من الخير والشر، من السراء والضراء، من النعماء والبأساء، من الشدة والرخاء، من العافية والبلاء، من العسر واليسر، يستفيد من الحالتين، فهو في حالة الرخاء والنعماء شكور، يقول: الحمد لله. وهو في حالة البأساء والضراء صبور، يصبر على ما أصابه، يستفيد، يأخذ الدروس من المحنة التي تنزل به، يرجع إلى الله ويتضرع إليه، ويقرع بابه ويقول ما قال أبويه من قبل آدم وحواء: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣].

المحن والأزمات وأهمية مراجعة النفس:

المؤمن هو الذي يستفيد من المحنة ومن الأزمة تنزل به، هذا ما يصنعه الفرد المؤمن، وهذا ما تصنعه الجماعة المؤمنة، فالمجتمعات المؤمنة، والشعوب المؤمنة حينما تنزل بها البلايا تراجع أنفسها، وتنظر

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عبد الرحمن بن أزهر.
(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٧٦٩٢)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

QaradawiBooks.com

في أمرها: ماذا فعلت من خير فتحاول أن تستكثر منه، وماذا أصابت من شر فتحاول أن تتداركه ولا ترجع إليه، وتتوب إلى الله تعالى منه.

الأزمات والمحن أمر طبيعي في حياة الأفراد وفي حياة الأمم والشعوب، وأمتنا الإسلامية منذ فجر تاريخها أصيبت بمحن، وأصيبت بأزمات كبيرة؛ كان يمكن أن تقضي عليها، وأن تستأصل شأفتها، ولكنها بالإسلام استطاعت أن تصمد، وأن تقف شامخة كالجبل الأشم، فلم تستطع الحوادث أن تعصف بها؛ بل استفادت منها؛ لأن هذا الإسلام الذي أكرمنا الله تعالى به أصلب ما يكون عودًا، وأقوى ما يكون قوة، وأصفى ما يكون معدنًا حينما تنزل به المحن وتحل بساحته الأزمات.

الأمة الإسلامية وتوالي الابتلاءات والمحن:

انظروا إلى المسلمين في عهد رسول الله ﷺ، نزلت بهم المحن والابتلاءات؛ ولكنهم صبروا عليها، ولم يتزعزعوا، مر النبي ﷺ على أسرة كلها تُعذب في الله: ياسر أبو عمار، وزوجه سمية أم عمار، وابنه عمار رضي الله عنهم، كلهم يعذبون في سبيل الله، ولم يملك النبي ﷺ حينما رآهم يعذبون إلَّا أن قال لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[١]. ولقد استشهدت سمية رضي الله عنها وكانت أول شهيد في الإسلام، واستشهد زوجها ياسر بعدها رضي الله عنه، وصبر عمار حتى أنقذه الله سبحانه وتعالى، وبقي إلى أن انتصر الإسلام، وقال فيه رسول الله ﷺ: «**إنَّ عمّارًا مُلئ إيمانًا، من قرنه إلى قدمه**»[٢].

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣/٣٨٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه ابن حبان في المناقب (٧٠٧٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح. وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/١٣٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

صبر المسلمون في عهد رسول الله ﷺ على أنواع من الأذى حتى مكن الله لهم في الأرض، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]. وأصيب المسلمون بعد ذلك بعد وفاة النبي ﷺ، وكادت عقولهم تطير جزعًا وفزعًا، ولم يحسَبوا أنَّ النبي ﷺ يموت بهذه السرعة وهذه المفاجأة، حتى قال رجل مثل عمر بن الخطاب: والله ما مات رسول الله ﷺ(١).

ولكن الله سبحانه وتعالى هيأ للمسلمين رجلًا وقف على المنبر ـ هذا الرجل هو أبو بكر رضي الله عنه ـ وقف يخطب في الناس ويقول: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. سمعها الصحابة فقالوا: كأننا لم نسمعها من قبل اليوم، وطالما سمعوها وقرؤوها، ولكنهم ذَهلوا عنها، هكذا امتُحن المسلمون بموت النبي ﷺ.

محنة المرتدين ومانعي الزكاة:

ثم امتحنوا مرة أخرى بعد أيام قلائل من موت النبي ﷺ؛ بارتداد العرب، ارتدت القبائل على أعقابها، تنبأ المتنبئون، مسيلمة في بني حنيفة، وسجاح بنت الحارث، وطُليحة الأسدي، والأسود العنسي، كل واحد في ناحية من النواحي، ادعوا النبوة وتبعهم قبائلهم عصبية لهم، حتى قال من قال منهم: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر(٢)!

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

(٢) قال طلحة النمري، وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقْرَباء كافرًا. انظر: الكامل في التاريخ (٢/٢١٦).

QaradawiBooks.com

ثم أولئك الأغنياء أصحـــاب الأموال قالوا: نصلـــي ولا نزكي، إنَّما كانت الزكاة للنبي ﷺ وقد مات، فنحن نقيم الصـــلاة ولا نؤتي الزكاة. ولكن أبا بكر أبى إلَّا أن يقاتل الجميع، وقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لـــو منعوني عقـــالًا ـ حبل بعير ـ كانـــوا يؤدونه لرسول الله، لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي[1]. وجهز أحد عشر لواءً، وقاتـــل المرتدين ومانعي الزكاة حتى ردَّهم إلى حظيرة الإســـلام، وكان هؤلاء بعد أن رجعـــوا وتابوا من أكثر الناس حماسًـــا في حروب فارس والروم، أرادوا أن يُكَفِّروا عن ماضيهم وسيئاتهم؛ فكانوا من أشد الناس وأعظمهم إقدامًا في القتال، وانتصر الإسلام.

محنة الصليبيين:

ثم بعد ذلك عرف الإسلام محنًا وأزمات، من أعظمها محنة الحروب الصليبية، ومحنة الزحف التتاري والمغولي، جاء الصليبيون من الغرب وجاء التتار من الشرق، وقد أثبت التاريخ أنَّه كان بين الفريقين نوع من التحالف الخفي على الإسلام، كما يتحالف أعداء الإسلام دائمًا، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الأنفـال: ٧٣] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الجاثيـة: ١٩]، والكفر كله ملة واحدة، جاء الصليبيون في حملات متتالية، فخربوا ودمروا، وأقاموا لهم في بلاد الإسلام ممالك وإمارات؛ مستعينين بالخونة من بعض أمراء المسلمين!

ظلوا أكثر من مائتي ســـنة، ودخلوا بيت المقدس، وسفكوا الدماء، حتى غاصوا إلى الركب في دماء المســـلمين، واستمر المسجد الأقصى

(١) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متَّفق عليه: بغير هذا اللفظ، رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أسيرًا في أيديهم تسعين عامًا، ولكن الله هيأ للمسلمين أمثال عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، الذي لُقب بالشهيد ولم يُستشهد؛ ولكن لتوقه للاستشهاد لُقب بالشهيد، وكان يشبَّه بالخلفاء الراشدين في عدله وسيرته، وزهده وشجاعته، وهو أستاذ صلاح الدين ومعلمه.

نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي. هيأ الله للمسلمين أمثال هؤلاء؛ حتى طردوا الصليبيين ودحروهم، وكانت معركة حطين، وكانت معركة بيت المقدس، كانت هذه المعارك قد قامت باسم الإسلام، وتحت راية القرآن، هؤلاء القادة استطاعوا أن يجددوا معاني الإيمان الذي خَلُق في القلوب، فجمعوا الناس على هذه المعاني: معاني الإيمان والربانية.

صلاح الدين الأيوبي جمع الحدادين وصُنَّاع السفن وصناع الأسلحة، وحاول أن يصنع منهم شيئًا جديدًا، ولكن مع هذا أيضًا الإيمان، حاول أن ينفخ الروح بين هذه الجنود، وأن يحيي الروح الإسلامية التي همدت في فترة من الفترات، ولهذا كان يمر على الخيام؛ فإذا وجد هناك خيمة من الخيام كل أهلها نيام يقول: أخشى أن تأتي الهزيمة من هنا. وإذا وجد خيمة كل من أو بعض من فيها يصلون، أو يقرؤون القرآن، أو يذكرون الله؛ يقول: من هاهنا يأتي النصر إن شاء الله.

كان صلاح الدين الأيوبي يقرأ صحيح البخاري عند الالتحام بالأعداء بين الصفين، يطلب من بعض شيوخه أو بعض من معه أن يقرأ عليهم من كتاب الإيمان، أو من كتاب الجهاد في صحيح البخاري، ويقرأ هو على بعض شيوخه، هكذا كانوا، ما انتصر هؤلاء إلَّا بالإيمان، الإيمان الذي جددوه في أنفسهم، وفي حياة المسلمين من حولهم.

QaradawiBooks.com

محنة التتار:

وكذلك حينما جاء التتار من الشرق، هؤلاء الذين لم يكن يقف أمامهم شيء، الذين أسقطوا الحضارة الإسلامية والخلافة العباسية في بغداد، وسفكوا الدماء حتى سالت كأنها أنهار، فكانت الميازيب من فوق السطوح تقطر دمًا في الشوارع، ونهر دجلة قد اسودَّ من كثرة المداد الذي سال من الكتب التي ألقيت فيه، مئات الآلاف من تراث المسلمين العلمي أباده التتار، هؤلاء الذين دمروا كل شيء، وكادوا يدمرون الحضارة البشرية كلها، سقطت بغداد، وسقطت الخلافة العباسية أيضًا؛ بمساعدة بعض الخونة الذين ساعدوا التتار الغزاة، سنة ٦٥٦هـ. حدث هذا.

وظن الناس أنَّ الإسلام قد طويت صفحته، وقد تقلص ظله، وسقطت رايته؛ فلن تقوم له قائمة إلى الأبد، ولكن بعد سنتين من سقوط بغداد وقعت معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ، تلك هي معركة عين جالوت، لقد أرسل قائد التتار إلى القائد المملوكي في مصر المظفر سيف الدين قطز، يدعوه إلى الاستسلام؛ وإلا غزاه بجنود تدمر البلاد، وتقتل العباد، وتسفك الدماء، وتفعل كذا وكذا! رسالة تقطر سمًّا كلها، تثير الهول والرعب في القلوب والأنفس!

ولكن هذا الرجل الصالح المظفر سيف الدين قطز؛ حينما أخذ الرسالة لم يبالِ بها ومزقها، وجاء بالرسولين اللذيْن حملا الرسالة؛ فأمر بضرب عنقيهما، هذا مع أنَّ المسلمين لا يقتلون الرسل، فالرسل لا تُقتل في الشرع الإسلامي، ولكنَّه أراد أن يؤكد لمن حوله: أنَّه لا استسلام، لا بد من المجابهة، فأراد أن يعلم من حوله حتى يزيل الرعب من قلوبهم من هؤلاء التتار، وأنَّه لا بد من القتال.

QaradawiBooks.com

ثم أراد أن يبلغ الخبر إلى قائد التتـــار: أن قطز لا يبالي به، ولذلك مزق رســـالته، وقتل رسله، فمن أجل هذا اســـتباح هذا الأمر، وبدأ يعد الناس لحرب قادمة، ومعركة شرسة؛ لا بد فيها من المواجهة والمجابهة للتتار، وكانت هذه المعركة، وكانت في الخامس والعشرين من رمضان ســـنة ٦٥٨هـ. أي بعد ســـنتين فقط من ســـقوط بغداد، التقـــى الجندي الإسلامي بالجندي التتري، التقى الجيشان، التقى الجمعان!

وأراد بعض قادة قطز أن يبدؤوا المعركة في الضحى، وكان اليوم يوم جمعة، فقال قطز: لا، انتظروا حتى يأتـــي الزوال، وتهب الرياح، وتفيء الظلال، ويصلي المسلمون الجمعة في مســـاجدهم، ويدعو لنا الخطباء بالنصر، فلعل رجلًا صالحًا يؤمن على الدعاء؛ فينصرنا الله ﷻ.

وفعلًا بعد صلاة الجمعة بدأت المعركة، وفي أولها انهزم الكثيرون وولوا الأدبار، من الرعب الذي طالما ســـمعوه عن القوة التي لا تُقهر، كان المثل السائر يقول: إذا قيل لك إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق! لم ينهزموا في معركة قبل ذلك، ولذلك جعلت هذه الدعاية الجنود في أول الأمر يفرون، ولكن هذا القائد الصالح أمســـك بالخوذة النحاســـية التي يلبســـها، وألقى بها في الأرض، وصاح صيحته الشـــهيرة: وا إســـلاماه وا إسلاماه وا إسلاماه! أي أنَّ الإسلام في خطر!

وما كاد يقول هذه الكلمة حتى تنبهت العقول والقلوب، فعاد الشارد، وأقبل المدبر، وثبت المتردد، وتشـــجع الجبان، وأقدم المحجم، وتغير اتجاه المعركة، وكان النصر بمشيئة الله تعالى للمسلمين، وهُزم التتار ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

بل أكثر من ذلك أنَّ الإسلام انتصر عليهم مرة أخرى انتصارًا معنويًّا؛

QaradawiBooks.com

فدخل هؤلاء التتار في الإسلام، ثم حسن إسلامهم بعد ذلك، وكان منهم الذين حكموا الهند لعدة قرون. وما يُرى في الهند الآن من آثار مساجد ضخمة، وقلاع هائلة، وتاج محل، وهذه الأشياء التي يذهب الناس إلى الهند ليروها؛ هي من آثار المسلمين في الهند، من آثار التتار المغول الذين أسلموا!

الاستعمار الغربي لبلاد الإسلام:

الإسلام أصيب بأزمات وانتصر عليها، ولا يزال الإسلام ينتصر إذا استفاد المسلمون من المحنة التي تنزل بهم، وعادوا إلى الله ﷻ. في العصر الحالي عندما دخل الاستعمار بلاد المسلمين؛ كان الإسلام هو الذي يحرك المسلمين في كل مكان لتحرير أوطانهم، كان هو القائد والموجه لهم، وهكذا إلى اليوم، حرب تحرير الجزائر التي قدمت مليونًا ونصف المليون من الشهداء؛ إنَّها لم تكن حربًا بين قوم وقوم، ولكن بين الإسلام والصليبية الجديدة، كانت الإذاعات تقول: الحرب بين الفرنسيين والمسلمين!

كان الإسلام هو المحرك لهذا الشعب، حتى استطاع أن ينتصر على الاستعمار الذي استمر مائة وثلاثين عامًا، وهو استعمار متجبر، حاول أن يطمس الهُوية الإسلامية ويغير الشخصية الجزائرية، وأن يلغي الإسلام والعربية، وأن يحول المساجد إلى كنائس! كثيرًا ما ذهبتُ إلى مساجد، فقالوا لي: هذا المسجد كان كنيسة، أو هذا المسجد كان مستشفى، أو هذا المسجد كان ثُكنة عسكرية، الاستعمار يريد أن يلغي الأمة، أن يشطبها من التاريخ، ولكن بالإسلام استطاعت الجزائر أن تصمد.

QaradawiBooks.com

الجهاد الأفغاني:

اليوم هناك الحرب الأفغانية، والجهاد الأفغاني الذي استطاع أن يطرد الروس: القوة العالمية الثانيـــة، والقوة الإلحادية الأولى في التاريخ كله. اســـتطاع هؤلاء البســـطاء من أبناء أفغانســـتان أن ينتصروا على الإلحاد الأحمر، وعلى الأسلحة الإلكترونية، وعلى الجيوش المتطورة. استطاعوا أن يلقنوهم دروسًـــا باســـم هؤلاء المؤمنين المصلين أصحاب اللحى، الإســـلام كان وراء ذلك، ما حدث في الاتحاد الســـوفيتي كان من تأثير الجهاد الأفغاني، التغيير الذي أصاب هذا الاتحاد الســـوفيتي وقلبه رأسًا على عقب كان وراءه الإسلام!

ثورة المساجد في فلسطين:

وما صنعه الفلسطينيون في الأرض المقدسة يسمى بثورة المساجد؛ لأنَّها انطلقت من بيـــوت الله، وكانت النداءات تعلـــو أصواتها من فوق المآذن، ومن مكبرات الصوت في مآذن المساجد، كان رايتها المصاحف، وكان شعارها (لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر)، كان نداء أطفالها:

خـيـبـرْ خـيـبـرْ يـا يـهـود   جيـشُ مُحمـد سـوفَ يعـود

بعد أن قال اليهود يومًا شـــامتين: محمد مات، وخلف بنات. جاءت الانتفاضـــة الإســـلامية، وقادتها حركـــة المقاومة الإســـلامية في أرض فلســـطين، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، إنَّها حركة قامت باســـم الإسلام، وباسم الإيمان اســـتطاعت أن تحول اليأس والقنوط إلى أمل ورجاء، استطاع أشبال الحجارة أن يلقنوا الدروس لهؤلاء العتاة الطغاة، هؤلاء الأطفـــال الرجـــال، الصغار الكبار، الأشـــبال الأســـود، التلاميذ المعلمون، هؤلاء إنَّما حركهم الإسلام، ووجههم الإسلام والإيمان.

QaradawiBooks.com

الأزمات يمكن أن تصنع الرجال وتنشـئ الأبطال؛ إذا قابلها الناس بالإيمان، إذا قابلوها مؤمنين.

أزمات اليوم:

نحن اليوم نواجه أزمة خطيـرة في حياتنا، نحن المسـلمين ونحن العرب، نواجه أزمة لا يدري إلَّا الله ما تكون نتائجها، ربما بعد أيام قليلة تحدث حرب مدمرة لا ندري ما عواقبهـا، حرب تقوم في ديارنا، جرَّها العدوان، وجرها الحُمـق والغرور والطغيان، جرَّها أن أفرادًا يسـتبدون بمصاير الشـعوب، ليـس هناك شـورى ولا حرية، ولا كرامـة للأفراد والجماعات، ولهذا اضطررنا إلى ما نحن فيه اليوم، لا ندري ماذا يحدث غدًا، حرب لن تقوم في أمريكا، ولن تقوم فـي بريطانيا، ولن تقوم في فرنسـا، تقوم على أرضنا، أيًّا كان الظالم والمظلوم، هذه أزمة ينبغي أن تردنا إلـى الله، أن تنبهنا من غفلة، وتُصْحينا من سـكرة، وأن نفيق مما نحن فيه، أرى الناس يعيشـون كما كانوا يعيشون من قبل، إذا لم يستفق الناس فـي الأزمات، إذا لـم ينتبهوا مـن الغفلات، إذا لـم يصححوا مسيرتهم فمتى يصححونها؟!

قمة التحرير والتغيير:

الناس ينبغي أن يسـتفيدوا من هذه الأزمـات: الأفراد والجماعات، المحكومون والحكام، يجب أن يستفيدوا من المحنة، يجب أن يأخذوا منها الدروس والعبرة، أعجبني أن تسمى القمة التي عُقدت في الدوحة، التي انتهت منذ أيام (قمة التحرير والتغيير)، ما أعظمه من شعار، ولكن لا نريدها مجرد شعارات ترفع، ولا كلمات تُقال، أو دعوات تدعى!

QaradawiBooks.com

نريد تغييرًا حقيقيًّا، نريد أن يتغير الناس من داخلهم قبل كل شيء، أول التغيير أن يتغير ما بأنفس الناس، هذا أساس التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي، أن يتغير الإنسان من داخله، هذا ما صنعه النبي ﷺ، وما صنعه الأنبياء، أن يبنوا الفرد بناءً إيمانيًّا أخلاقيًّا، فإنما تقوم المجتمعات بالأفراد، وإنَّما يقوم الأفراد بالإيمان والأخلاق.

وإذا أصيبَ القومُ في أخلاقهم فأقِمْ عليهم مأتمًا وعويلًا[1]

حتى يغيروا ما بأنفسهم:

لا بد من تغيير ما بالأنفس، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، سنة من سنن الله لا تتبدل، وقانون من قوانين هذا الوجود لا يتخلف، تغيير ما بالأنفس هذه سنة قرآنية، إن بعض الناس يقولون: غيِّر الاقتصاد، أو غير الإنتاج، أو غير علاقات الإنتاج يتغير لك التاريخ. ولكن القرآن يقول: غير نفسك، أو غير ما بنفسك يتغير التاريخ!

لا بد أن نغيِّر ما بأنفسنا: من الموت إلى الحياة، من الجهل إلى العلم، من الفوضى إلى النظام، من الضعف إلى القوة، من اتباع الشهوات إلى الانتصار على النفس، من الأثرة إلى الإيثار، من حب الذات إلى حب الآخرين، نريد لهذه الأنفس أن تتغير، أن ننتصر على أنفسنا، هذا ما ينبغي أن نستفيده من الدرس الذي نحن فيه.

محنة كبرى:

نحن الآن في محنة أي محنة، نحن في محنة كبيرة شغلتنا عن كل شيء، اليهود يهاجرون بالآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣).

QaradawiBooks.com

الآلاف إلى فلسطين، ولكن هذا كله نُسي! نسيت قضية فلسطين، ونسيت قضية أفغانستان، ونسيت قضايا كُبرى للأمة الإسلامية؛ لأننا شغلنا بمصيبة لم تكن على بال أحد، ومع هذا فرُبَّ ضارة نافعة، لو استفدنا من المحنة وغيرنا ما بأنفسنا، ونظرنا إلى المتغيرات من حولنا.

العالم يتغير ويتطور، دول تطير من على خريطة العالم ودول تظهر، والمتجزئون يتضامون ويتحدون، الألمانيتان أصبحتا ألمانيا الموحدة، أوروبا ـ على ما بينها من صراعات، وما كان بينها من حروب في تاريخ طويل وأحقاد، واختلافات في اللغة، واختلافات في القومية والعنصرية ـ رأت أن من مصلحتها أن تتوحد!

نحن ينبغي أن نقرأ التاريخ ونقرأ الواقع، ولا نعيش خارج التاريخ، يجب أن نستفيد من المحنة التي نحن فيها، يجب أن يتغلب الناس على أنانيتهم، لا بد أن يكون الناس أسرة واحدة.

الناس في فلسطين اليوم بعد عصر الانتفاضة مختلفون عما قبل ذلك، غيَّرت الانتفاضة ما بأنفسهم، صار الناس يتكافلون في الشدة والرخاء، يوزعون فيما بينهم ما يأتي من أقوات أو معونات، أو أشياء، لا يقول أحدهم: آخذ لنفسي وأُخَزِّن عندي، ولكن يؤتى له بالشيء فيقول: لا، لقد جاءني أخ قبلك وأعطاني، اذهب إلى جيراني وإخواني! أي أنَّ المحنة علَّمت الناس ألّا يعيشوا لأنفسهم، يجب أن يعيش الناس هكذا، نحن مقبلون على أيام عصيبة رهيبة، لا ندري ماذا يكون فيها، فلا بد أن يرجع الناس إلى الله، وأن يقول الناس: يا ربّ جنب الأمة هذه الغمة، اكشف عنها هذه الغمة، واكشف عنها هذه الكربة.

QaradawiBooks.com

الإسلام هو طوق النجاة:

لا بد أن نرجع إلى الله، وأن يظهـــر ذلك في حياتنا الخاصة والعامة: في إعلامنا، في تلفزيوننا، في صحافتنا، فـــي إذاعتنا، في حياة كل منا، لا بد لهذه الأمة أن تتغير، وإلّا ما معنى (قمة التحرير والتغيير)؟! لا بد مـــن التغيير، والتغييـــر لا بد أن يظهر فـــي الحياة كلها، لا بـــد أن نغير ما بأنفسنا، إنَّ الإســـلام هو المنقذ، هو طوق النجاة، هو سفينة الإنقاذ، فلا بد أن نرجع إلى الله؛ لنحيا مسلمين ونموت مسلمين.

وليس الإسـلام بالكلام، فالإسـلام إيمان وخلق، وسـلوك وإيثار، «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

إنَّ المحنة التي نعيش فيها قاسية، ولن يخرجنا منها إلَّا رجعة صادقة إلى الله، يتحرر الإنســـان فيها من ذاتيته، ومن أهواء نفسه، ومن شهوات قلبه، ويكون عبدًا لله ﷻ، يبيع نفســـه لله، ويخلـــص حياته لله، ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أقول قولي هذا، وأســـتغفر الله لي ولكم، فاســـتغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجاب له[(١)]، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل لنا من هذه المحنة منحة، ومن هذا العسر يسرًا، واجعل لنا من هذه الأزمة فرجًا ومخرجًا، اللهم اكشف الغمة عن هذه الأمة، اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، واجعل كملة الإسلام هي العُليا، وكلمة أعدائه هي السُّفلى، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا

(١) سبق تخريجه صـ٧٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الراشــدين، وتب علينا توبة نصوحًا، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٨

دعائم المجتمع الإسلامي[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

منذ أيَّام استقبلنا عامًا هجريًّا جديدًا، وودَّعنا عامًا، ومن حقِّنا ـ بل من واجبنا ـ أن نقف وقفة تأمُّل في هذا الانتقال.

أثر الهجرة في إقامة المجتمع المسلم:

كلما بدأ عام هجري تذكرنا ذلك الحدث العظيم: هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، والَّذي اختاره المسلمون بقيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ليجعلوه بداية لتاريخهم.

عمر بن الخطَّاب هو المؤسِّس الثاني للدولة الإسلاميَّة، فبعد أن توسَّعت ودخلت فيها أمم الحضارات العريقة القديمة: الحضارة الفارسية، والحضارة الآشورية والبابلية، والحضارة الفينيقية، والحضارة الفرعونية، دخلت هذه الأمم في عهد عمر بن الخطَّاب فتوسعت الدولة، فكان هو المؤسس الثاني.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٤ ديسمبر ٢٠١٠م.

نسخة مجانية

المؤسِّس الأوَّل هو رسول الله ﷺ الَّذي أسَّس دولة الإسلام بالمدينة، والَّذي وضع لها أصول التشريع، وأصول التنظيم، وأصول التوجيه والتفكير.

بحث عمر بن الخطَّاب مع المسلمين أن يكون لهم تاريخ كما للأمم الأخرى فكان اختيارهم للهجرة، كانت أمامهم عدَّة خيارات: لماذا لم يجعلوا هذا التاريخ مولد النبي ﷺ؟ أو يجعلوه وفاة النبي ﷺ؟ أو يجعلوه أيًّا من الأحداث الكبيرة مثل فتح مكة أو غزوة بدر؟ لكنهم اختاروا الهجرة؛ لماذا؟ لأنَّ الهجرة هي بداية تأسيس المجتمع الإسلامي والدولة الإسلاميَّة.

كانت الهجرة بحثًا عن مجتمع، عاش الإسلام في مكة أفرادًا، لم يستطيعوا أن يقيموا مجتمعًا، لم يستطيعوا أن يؤسِّسوا دولة، لأن الدولة لا تتأسَّس إلَّا إذا كانت هناك قاعدة صلبة، وأرض حرَّة تستطيع أن تقيم عليها دولتك، وتبني فيها مفاهيمك وحضارتك، أمَّا أن تعيش في بلد أنت مضطهد فيه فكيف تستطيع أن تقيم مجتمعًا؟

كان المسلمون في مكة أفرادًا، ولكنهم في المدينة أسَّسوا المجتمع بقيادة رسول الله ﷺ، حقَّقوا هدف الهجرة، كانت الهجرة بحثًا عن دار الإسلام ـ كما سمَّاها الفقهاء ـ لإقامة مجتمع الإسلام، وأمَّة الإيمان، ودولة العدل، وحضارة العلم والإيمان، أُقيم هذا في يثرب الَّتي سُمِّيت (المدينة).

دعائم المجتمع الجاهلي:

كان هناك مجتمع جاهلي قبل الإسلام، كان يقوم على دعائم، وكانت هذه الدعائم لا تصلح للمجتمع الجديد، ذي العقيدة الجديدة، ذي الفلسفة الجديدة، ذي الأهداف الجديدة.

QaradawiBooks.com

١ ـ الشرك:

كان المجتمع الجاهلـي يقوم ـ أوَّل ما يقوم ـ على دعامة الشـرك، عبادة الأوثان، كان النَّاس يعبدون ما شاؤوا من دون الله ﷻ، ومن ذلك عبادة الأصنام، قال أبو رجاء العطاردي: كنا إذا استحسـنَّا حجرًا نحتناه، فإذا مللناه رميناه وبحثنا عن حجر آخر، فإذا لم نجد حجرًا جئنا بحثيات من التراب وحلبنا عليها من شاة وشكَّلناها فاتَّخذناها إلهًا[1]. هكذا كانوا يشركون ويعبدون الأصنام الَّتي لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تضر ولا تنفع، ولا تملك موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

٢ ـ العصبيَّة:

الدعامة الثانية للمجتمع الجاهلي: العصبيَّـة العمياء، والتعادي بين بعضهم وبعض، والتقاتل من أجل لا شيء، من أجل فرس ظلت حرب داحس والغبـراء بين بني عبس وبني ذبيان، وظلـت قبيلتا بكر وتغلب يتقاتلان أربعين سنة من أجل ناقة البسوس، وكما يقول أحدهم:

وأحيانًـا علـى بَكْـرٍ أَخِينَـا إذا مـا لـم نَجِـدْ إلَّا أخانـا[2]!

كما يقول المثل: أنـا وأخويا على ابن عمي، وأنـا وابن عمي على الغريب! وهؤلاء إذا لم يجـدوا ابن عمهم قاتلـوا أخاهم! كان بعضهم يوصف بأنه كان إذا غضب، غضب له مائة ألف سـيف لا يسألونه: فيمَ غضب؟ من أجل زعيم القبيلة، وأحيانا من أجل واحد من القبيلة، على

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

(٢) البيت للقطامي عُمَيْر التغلبي، كما في ديوان الحماسة لأبي تمام (٢٠٣/١)، تحقيق د. عبد الله عسيلان، نشر جامعة الإمام، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

ظاهر هذه الكلمة: «**انصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[(١)]، قبل أن يُعدِّل رسول الله ﷺ مفهومها، فالعصبيَّة العمياء من دعائم المجتمع الجاهلي.

٣ ـ التظالم:

الدعامة الثالثة للمجتمع الجاهلي: التظالم، الغنيُّ لا يبالي بالفقير، القويُّ يفترس الضعيف، مجتمع من الغابة كمجتمعاتنا المعاصرة، القويُّ يأكل الضعيف، الضعيف الَّذي لا نصير له يضيع، يُسحق بالأقدام في هذا المجتمع، الفقراء لا معين لهم، ليس لهم حقوق، مَنْ يستطيع أن يجعل لهم حقوقًا؟! فكان هناك اقتصاد ظالم في ذلك المجتمع.

٤ ـ الفوضى:

الدعامة الرابعة للمجتمع الجاهلي: أنَّه كانت هناك فوضى، ليس هناك إمام ولا رئيس ولا قائد، كل قبيلة هي مملكة وحدها، لها أميرها، ولها حُكمها، ليس هناك نظام يجمع القبائل، وليس هناك تنظيم خصوصًا التنظيم المكتوب، لا يوجد شيء من هذا في ذلك المجتمع، وقد قال قائلهم:

لا يصلحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سراةَ لهم ... ولا سراةَ إذا جُهَّالهم سادوا[(٢)]

٥ ـ الطغيان:

الدعامة الخامسة للمجتمع الجاهلي هي طغيان القوَّة على الحق، الحق للقوَّة، الضعيف ضائع في هذا المجتمع، كما يقول الشاعر:

تَكلَّم السَّيْفُ فاسكُتْ أيُّها القَلَمُ ... تحكَّم الذئبُ فاخضعْ أيُّها الحَمَلُ

---

(١) رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٣)، عن أنس بن مالك.

(٢) من شعر الأفوه الأودي. انظر: العقد الفريد (١/١١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

ويقول عمرو بن كلثوم في قصيدة شهيرة من المُعَلَّقات:

لنا الدُّنْيا ومَنْ أَمْسَى عليها ... ونبطشُ حين نَبْطِشُ قَادِرِينَا
بُغَاة ظالِمِينَ وما ظُلِمنا ... ولكنَّا سنبدأُ ظَالِمِينَا
ونَشْرَبُ إِنْ ورَدْنَا الماءَ صفْوًا ... ويشربُ غَيْرُنا كدرًا وطينَا
إذا بلغ الفِطَامَ لنا رَضِيعٌ ... تخرُّ له الجبابرُ سَاجِدِينَا(١)

هكذا هي القوَّة، نحن كثرة ومعنا سيوف، كانت القوَّة في هذا المجتمع لمن يملك القوَّة لا لمن يملك الحق، هذه هي دعائم المجتمع الجاهلي.

دعائم المجتمع الإسلامي:

كان لا بدَّ لرسول الله ﷺ أن يهدم أركان هذا المجتمع ويبني على أنقاضه مجتمعًا جديدًا على دعائم غير هذه الدعائم، دعائم تناقض تمامًا هذه الدعائم الخمس.

١ ـ التوحيد:

أول دعائم المجتمع الإسلامي هي عبادة الله وحده، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، لا نعبد شجرًا ولا حجرًا، ولا شمسًا ولا قمرًا، ولا جنًّا ولا بشرًا، لا نعبد إلَّا الله، هكذا جاء مُحمَّد ﷺ يدعو النَّاس جميعًا، ومن ذلك أهل الكتاب، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

(١) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩٠، ٩١.

QaradawiBooks.com

وكان رمز هذه الدعامة المسجد، أوَّل مشروع أسَّسه مُحمَّد رسول ﷺ في داره الجديدة، في دار هجرتـه، لإقامة مجتمعه المنشـود كان بناء المسـجد، بناه هو بنفسـه مع أصحابه، كان يحمل الحجارة، والتراب يحيط به عن يمين وعن شـمال، حتَّى كان بعض الصحابة إذا خشي أن يتكاسل ينظر إلى النبيِّ ﷺ ويقول:

لئـن قعدنـا والنبـيُّ يَعَمَـلُ لـذاك منَّـا العمـل المَضَلَّـلُ[١]

وكانَ الصحابة ينشدون وهم يعملون ويقولون:

نحـن الَّذين بايعـوا مُحمَّدَا على الجهـاد ما بَقِينَـا أبدَا

فيقول النبـيَّ ﷺ: «**اللهمَّ لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخـرة، فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَه**»[٢].

وكان الصحابـة يحملون حجرًا حجرًا، وكان عمار بن ياسـر يحمل حجرين حجرين، ويقول النبي ﷺ: «**إنَّ عمَّارًا مُلِـئُ إيمانًا من قرنه إلى قدمه**»[٣]. القوَّة الإيمانيَّة الروحيَّة لها أثرها في القوَّة البدنيَّة، كما أشـار إلى ذلك النبيُّ ﷺ في مواصلة الصيام، فقال: «**وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربِّي ويسقيني**»[٤].

هكذا أقام الرسـول والصحابة هذا المشـروع الأول: بناء المسجد،

---

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (٩٠/٥)، وانظر: فتح الباري (٢٤٧/٧)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٧٩٦)، ومسـلم في الجهاد والسير (١٨٠٥)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ ١١٣.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

والمسجد هو مكان لإقامة صلاة الجماعة الَّتي جاء بها الإسلام، لا تصلِّ وحدك، صلِّ مع إخوانك المسلمين، تشعرهم بالقوة، وتتعرف عليهم، فكانت صلة الجماعة قوَّة لهذا المجتمع الجديد، أذان وطهارة وتجمُّع على تقوى من الله سبحانه وتعالى، أسست هذه المساجد على تقوى من الله ورضوان، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، هذا المسجد أقامه النبيُّ ﷺ ليكون دارًا للعبادة، ويكون برلمانًا للتشاور، ويكون جامعة للعلم، وندوة للأدب، ومكانًا يلتقي فيه بالوفود الَّتي تأتي إليه، ومنه تنطلق الجيوش للجهاد في سبيل الله.

كان هذا هو المسجد هو المشروع الأوَّل لتأسيس التوحيد، توحيد الله وتوحيد الأمَّة، في المسجد يُصنع توحيد الأمَّة، ليس هناك فواصل بين النَّاس بعضهم وبعض، ليس هناك درجات بين النَّاس بحيث يكون الصف الأوَّل للوزراء، والثاني لوكلاء الوزراء، والثالث لمديري العموم، والرابع لموظفي الدرجة الأولى، وهكذا، لا، ليس فيه شيء من ذلك، بل الَّذي يأتي أولًا يأخذ مكانه في الصفوف الأولى، هكذا كان المسجد يصنع توحيد المعبود وتوحيد العابدين، هذه هي الدعامة الأولى للمجتمع المسلم، توثيق الصلة بالله.

٢ ـ الإخاء:

ثمَّ لا بدَّ من الدعامة الثانية، وهي توثيق الصِّلة بين المؤمنين بعضهم وبعض، هذا المجتمع الجديد، مجتمع المهاجرين والأنصار، الغالبيَّة من الأنصار، فهم أهل الدار، أهل المدينة، وهم الأكثريَّة، وهم الَّذين فتحوا صدورهم، وفتحوا دورهم لإخوانهم المهاجرين.

QaradawiBooks.com

قال الله عن المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. لماذا سمَّاهم الفقراء؟ لأنَّهم تركوا كل شيء في مكة، تركوا كل دورهم وعقاراتهم وتجارتهم وممتلكاتهم، فكان فقرهم لله.

وقال عن الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. تبوؤوا المدينة، وتبوؤوا الإيمان، كأنَّ الإيمان أصبح سكنًا، ويحبون إخوانهم، ولا يحسدونهم على شيء، ويؤثرونهم على أنفسهم.

انظروا إلى هذا المجتمع، هناك مراتب، أوَّل مرتبة: أن تعطي فرض الله عليك الزكاة، المرتبة الأعلى منها: أن تجود بصدقات أخرى غير الزكاة، فالزكاة هي الحق الأوَّل وليست هي الحق الأخير في المال، فهناك الصدقات التطوعيَّة.

وهناك مرتبة أعلى منهما هي الإيثار، أن تجود بالشيء وأنت محتاج إليه، وأن تُفضِّل أخاك على نفسك، تجوع ليشبعَ أخوك، وتتعب ليرتاحَ أخوك، وتسهر لينام أخوك، وتُعرض صدرك لضربات السيوف وطعنات الرماح لتحمي أخاك.

هذا هو مجتمع الأنصار الَّذي قالوا فيه: يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع(١). حينما تريدهم لحرب أو لقتال كانوا أوَّل النَّاس، وحينما

(١) ذكره الخطابي في غريب الحديث (٦٨٢/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

تكون هناك غنائم يكونون آخر النَّاس، هذا مجتمع عظيم، مجتمع المهاجرين والأنصار.

آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، في مثل هذه المجتمعات تكون هناك عُقد بين أهل البلاد والقادمين عليهم، سينافسونهم، سيزاحمونهم، ربما تكون مشكلة، هؤلاء من عرب الشمال، وهؤلاء من عرب الجنوب، هؤلاء عرب قحطانيون، وهؤلاء عرب مستعربة، فربما تكون هناك تناقضات، ولكن الإسلام حلَّ كل التناقضات، وجمعهم تحت عقيدة: لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله، وأصبحوا إخوانًا متحابِّين.

حينما أراد أحد اليهود أن يفرِّق بين الأوس والخزرج، وهذا يقول: يا للأوس. وهذا يقول: يا للخزرج. فسرعان ما سمع النبي ﷺ وجاء إليهم، وقال: «**أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟!**»(١). لم يعد أوس وخزرج، أصبحنا أنصار الله وأنصار رسوله.

وفي هذا نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]. أي: بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أُخوَّتكم متعادين، فعبَّر عن الوحدة والأُخوَّة بالإيمان، وعن التفرُّق والمعاداة بالكفر.

لكي يقوِّي الرسول هذه الروابط أنشأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، المهاجرون أقل من الأنصار، فأراد كل واحد من الأنصار أن يأخذ بعض المهاجرين عنده، خصوصًا في الأيَّام والأشهر الأولى،

(١) رواه الطبري في التفسير (٦/٥٦)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/٩٠)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ولكثرة الأنصار لم يحل النبي ﷺ هذا الأمر إلَّا بطريق القرعة، واحد من المهاجرين يريد خمسة من الأنصار أن يأخذوه، فما نزل مهاجري على أنصاري إلَّا بقرعة.

ثمَّ آخى بين بعضهم وبعض، وراعى الرسول التقارب والتوافق في ذلك، التجار بعضهم وبعض، وأهل العلم بعضهم وبعض، وهكذا، ولذلك آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف المهاجري وسعد بن الربيع الأنصاري كلاهما يعمل بالتجارة.

وقال سعد بن الربيع مقولته الشهيرة، جاء إلى عبد الرحمن بن عوف بعد أن آخى النبي بينهما، وقال: يا أخي عبد الرحمن، إنِّي من أكثر الأنصار مالًا فشاطرني مالي، خذ نصفه واترك لي نصفه، وعندي داران خذْ واحدة منهما وتكفيني الأخرى، ولي زوجتان انظر إلى أوقعهما في قلبك وسمِّها لي أطلقها لك، فإذا انقضت عدَّتُها تزوَّجتَها.

هذا الإيثار العظيم قابله عبد الرحمن بتعفف نبيل، قال: يا أخي، بارك الله لك في دارك، وبارك لك في مالك، وبارك لك في أهلك، إنَّما أنا امرؤ تاجرٌ فدُلَّني على السوق[1]. أنا صنعتي التجارة فدلَّني على السوق وأنا أشتغل وأكفي نفسي، وشكر الله لك، فدلوه على السوق، وكان يسمى (سوق بني قينقاع)، أنشأته قبيلة من اليهود وكانت تسيطر عليه، فدخل عبد الرحمن وزاحم اليهود وفاقهم وكوَّن ثروة من الصفر، فقد ترك كل شيء في مكة، وترك ثروة بعد موته كان فيها كُتل من الذهب قُطِّعت بالفؤوس، وكان عنده أربع نساء صولحت إحداهما فكان نصيبها ثمانين ألف دينار، ربع الثمن، (١/٣٢) من النقود الَّتي تركها فقط.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٥٣)، ومسلم (١٤٢٧)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

كان هذا المجتمع يقوم على المؤاخاة، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**»(١)، ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهكذا قام هذا المجتمع، كله يد واحدة، وجبهة واحدة، «**المسلمون يسعى بذمَّتهم أدناهم وهم يد على مَنْ سواهم**»(٢)، فرمز هذه الدعامة هو المؤاخاة.

٣ ـ الاقتصاد:

الدعامة الثالثة للمجتمع المسلم هي الاقتصاد الَّذي يقوم على التنمية والعدالة، لا يقوم على التظالم، ولا يقوم على الأثرة، أن يقول كل واحد: أنا أحقُّ بمالي، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. وكما قال قوم شعيب له لائمين: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هود: ٨٧]. نحن أحرار في أموالنا.

جاء النبيُّ ﷺ يُعلمهم أنَّ الأمَّة لا بدَّ أن تكون أمَّة قويَّة في اقتصادها بحيث تكتفي اكتفاءً ذاتيًّا، ولا تمد يدها إلى غيرها، فالأمَّة الَّتي تمدُّ يدها إلى غيرها هي أمَّة ضعيفة، سواء كانت تحتاج إلى ذلك في الأمور المدنيَّة أو الأمور العسكريَّة.

الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ١٥]، ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: إشارة إلى الصناعات العسكريَّة،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٦.

غير مرخصة للبيع - نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: إشارة إلى الصناعات المدنيَّة. والمفروض أن يملك المسلمون القدرة على الصناعة المدنيَّة والصناعة العسكريَّة، أمَّا إذا كنت تحتاج إلى غيرك ليمدك بالدبابة والصاروخ والطائرة، بل ويمدك بالقوت؛ فماذا عندك من قوَّة؟ لا بدَّ من الاقتصاد القوي.

أنشأ النبيُّ ﷺ اقتصادًا قويًّا، تعرفون ماذا كان المشروع الثاني الَّذي أقامه النبيُّ ﷺ بعد المسجد؟ كان هو إنشاء السوق، بدل أن يكون بنو قينقاع هم المسيطرين على السوق ـ سوق المسلمين وغير المسلمين ـ أنشأ النبي ﷺ سوقًا، ونظَّمه بنفسه، قال: هنا يكون الإبل، وهنا البقر والغنم، وهنا الخيل والبغال وكذا، وهنا الحبوب والثمار، وهنا الثياب وكذا[(١)].

وكان يخرج إلى هذا السوق ما بين الحين والحين، ويقول للناس: «**قولوا: لا إله إلَّا الله**»[(٢)]. وهكذا ينصح النَّاس، ذهب إلى رجل يبيع الحنطة أو القمح، فوضع يده في كومة القمح وأخرج قمحًا مبلولًا، فقال: «**يا صاحب الطعام، ما هذا؟**». قال: يا رسول الله، أصابته السماء. فقال: «**هلَّا جعلته فوق ليراه الناس**». تخبؤه فيشتريه النَّاس على أنَّه يابس وهو مبلول! «**مَنْ غشَّنا فليس منا**»[(٣)]. وهكذا كان يخرج إلى السوق ما بين الحين والحين ويلقي النصائح، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

---

(١) رواه ابن ماجه في التجارات (٢٢٣٣)، عن أبي أسيد، أن أبا أسيد حدثه، أن رسول الله ﷺ، ذهب إلى سوق النبيط، فنظر إليه، فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثم ذهب إلى سوق فنظر إليه، فقال: «ليس هذا لكم بسوق»، ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه، ثم قال: «هذا سوقكم، فلا ينتقصن، ولا يضربن عليه خراج».

(٢) رواه أحمد (٣٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف جدًّا. والترمذي في الدعوات (٣٤٢٨)، وقال: غريب. وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٥)، وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه في تخريج الكلم الطيب (٢٢٩)، عن عمر.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

كان يقول: «**إنَّ التجار هم الفجار**». قالوا: يا رسول الله، أليس قد أحلَّ الله البيع وحرَّم الربا؟ قال: «**بلى، ولكنهم يقولون ويكذبون ويحلفون ويأثمون**»(١). لكي يروج التاجر سلعته يحلف على أنَّها كذا، وأنَّها اشتراها بكذا، يحاول أن يحسن بضاعته بالحلف الكذب، يجعل الله بضاعته، لا يبيع إلَّا باليمين.

هكذا أنشأ النبي ﷺ السوق، والسوق كناية عن إقامة اقتصاد حر لا يسيطر على اليهود ولا بنو قينقاع، بهذا نصنع اقتصادًا متميِّزًا يعطي الفرد حقَّه، ويعطي المجتمع حقَّه، ليس كاقتصاد الرأسماليين الَّذي يضخِّم الفرد على حساب مصلحة المجتمع، ولا كاقتصاد الشيوعيين الَّذي يضخِّم المجتمع على حساب مصلحة الفرد، ولكن الإسلام يعطي كل منهما حقَّه ويكلفه واجبه بلا طغيان في الميزان ولا إخسار في الميزان، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، هذه هي الدعامة الثالثة.

٤ ـ النظام:

الدعامة الرابعة هي تنظيم المجتمع، أن يخضع المجتمع لنظام لدستور لقانون، ولا يُترك فوضى، وهذا ما صنعه النبي ﷺ، هذا المجتمع يقوم على المؤمنين من المهاجرين والأنصار، وعلى بقايا من المشركين لم يدخلوا في الإسلام بعد، وعلى قبائل من اليهود يسكنون في ضواحي المدينة: يهود بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النَّضير، فأراد أن يحل هذه المشكلة، ما داموا يعيشون في المدينة مع المسلمين لا بدَّ أن يكون هناك اتِّفاق بينَهم.

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والحاكم في البيوع (٧/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن عبد الرحمن بن شبل.

QaradawiBooks.com

ومن هنا عقد النبيُّ بينه وبين هؤلاء اتفاقيَّة واضحة المعالم، نظَّم فيها الحقوق والواجبات في السرَّاء والضرَّاء، في حالة السلم وفي حالة الحرب، كيف يتكافلون؟ كيف يدافع بعضهم عن بعض؟ إذا هاجم المدينة مهاجم ماذا يفعل هؤلاء وهؤلاء؟ نظم هذا الأمر، وأعطى كل طائفة حقوقها واضحة، وهناك إمام، هناك رئاسة عامَّة، قيادة يرجع إليها الجميع هي رسول الله ﷺ.

وكتب هذه الاتفاقيَّة فيما يُعرف بالصحيفة الَّتي يعتبرها كثير من الباحثين دستور المدينة الجديد، أوَّل دستور مكتوب تقريبًا في هذه المنطقة، يتَّضح فيه ماذا ليهود بني عوف؟ وماذا ليهود بني فلان؟ وماذا للمهاجرين؟ وماذا للأنصار؟ كل شيء واضح في هذه الصحيفة، انتظمت الأمور، حتَّى لا يكون هناك مجال للنزاع الدائم والصراع المستمر، هكذا صنع رسول الله ﷺ.

الإسلام جاء بالنظام، حتَّى إنَّ النبي ﷺ يقول: «**إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمِّروا أحدكم**»(١). لا تتركوا الأمر فتختلفوا في كل شيء، لا، بل اجعلوا واحدًا منكم أميرًا، ارضوا به حكمًا بينكم، هذا هو الإسلام، فهذه هي الدعامة الرابعة.

٥ ـ الحماية والأمن:

الدعامة الخامسة تقوم على توفير الحماية والأمن لهذا المجتمع، هذا المجتمع مجتمع له رسالة، وله عقيدة تميِّزه، وله أهداف ربَّانيَّة وإيمانيَّة

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٩)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٤٨): حسن صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وأخلاقيَّة واجتماعيَّة، هذا مجتمع جديد يريد أن يقيم الحق في الأرض، يريد أن يقيم عدل الله في أرض الله، يريد ألَّا يُظلم مستضعف، يريد ألا يُداس فقير، الزكاة تؤخذ من أغنيائهم لتردَّ على فقرائهم، لا يجوز أن يظلم رجل امرأة، ولا أن يظلم حاكم محكوم، ولا أن تعتدي قبيلة على أخرى، لا بدَّ من رعاية الحقوق.

ورعاية الحقوق لا بدَّ لها من دولة قويَّة، أيْ لا بدَّ لها من دولة تملك السلاح، لا يجوز أن تظل عالة على غيرها، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، الإعداد للأعداء الَّذين يتربَّصون بهذه الدولة الجديدة، وبهذا المجتمع الجديد، الَّذين يرفضون مبادئ العدل والإحسان والمساواة والإخاء، هؤلاء سيقفون ضد هذا المجتمع، فلا بدَّ أن يحمي المجتمع نفسه، فلا بدَّ من قوَّة ماديَّة، ومن قوَّة عسكريَّة، فهذا مأمور به، كما أمر الله بالصلاة والزكاة أمر بإعداد هذه القوَّة لإخافة أعداء الله، ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، لتخيفوا هؤلاء، بمجرد أن تملكوا القوَّة سترهبونهم فلا يفكرون في الاعتداء عليكم.

ما الَّذي يجعل النَّاس يعتدون على أمَّتنا في عصرنا هذا؟ أنَّنا فقدنا القوَّة، لم نعد ما استطعنا من قوَّة ومن رباط الخيل، وخيل عصرنا هي الدبَّابات والمصفَّحات والغوَّاصات والطائرات، لم نعد ما استطعنا من قوَّة فطمع فينا غيرنا.

أمر الله أن تُعد القوَّة، وهذه القوَّة مطلوبة من القيادة أن تعدَّها لترهب عدو الله وعدونا، هناك شيء يسمُّونه (السلم المسلح)، وهو أن

QaradawiBooks.com

تكون عندك قوَّة، وعندك سلاح وإن لم تستعمله، لكن كونك تملكه يرهب أعداءك.

مشكلة الأمَّة الإسلاميَّة أنَّها لا تملك القوَّة، الأمَّة الإسلاميَّة تبلغ الآن ـ وفقًا لآخر الإحصاءات ـ مليارًا وستمائة وثمانون مليونًا، مع أنَّهم يحاولون دائمًا أن ينقصوا عدد المسلمين ما استطاعوا، هذه الأمَّة تستطيع أن تفعل الكثير إذا تعاونت فيما بينها، أمَّا إذا تخاذلت وأصبح كل فريق منها يعمل وحده لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا.

الذي ضيَّع أمَّتنا أنَّها لم تعد ما استطاعت من قوَّة ومن رباط الخيل لترعب عدوَّ الله وعدوها تخيفهم، إعداد القوَّة نفسه يرهب أعداءك فلا يمسونك بسوء، أمَّا أن تكون عاريًا لا تملك شيئًا فهذا يُطمع فيك الآخرين.

هذا هو رسول الله:

نحن نقول: إنَّ رسول الله ﷺ بعثه ربَّه رحمة للعالمين، وليكون أمنًا للبشريَّة من أن ينزل بها عذاب الله ﷻ، ولا يمكن أن تؤدِّي الأمَّة رسالتها إلَّا إذا عملت بتعاليم مُحمَّد ﷺ، إلَّا إذا أقامت هذه الرسالة.

مُحمَّد ﷺ كان رحمة للعالَمِين، كل العالَمِين، مسلمين وغير مسلمين، عربًا وعجمًا، بيضًا وسودًا، هو رحمة من الله سبحانه لخلقه، وتزداد هذه الرحمة وتكتمل إذا طبَّق المسلمون الإسلام، إذا عاشوا مسلمين بإسلامهم، أمَّا إذا كانوا في واد والإسلام في واد فهيهات أن يكون لهم شأن.

هذا هو رسول الله ﷺ، بعد الهجرة أقام هذا المجتمع الإسلامي، مجتمع العدل والرحمة، والمساواة والتكافل، وإقامة الحقوق وأداء

QaradawiBooks.com

الواجبات، ومجتمع العبادة لله ﷻ لأن أوَّل شيء أنشأه رسول الله ﷺ هو المسجد، مجتمع يقوم على عبادة الله وعلى الإخاء بين الناس.

هذا هو رسول الله ﷺ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال تعالى في وصف هذا الرسول: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

اللهمَّ اجعلنا من المسلمين الصَّادقين المتَّبعين لرسولك الَّذي بعثته رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على النَّاس أجمعين، اللهمَّ آمين، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كلَّما جاءت ذكرى الهجرة، ذكرنا كيف أقام رسول الله ﷺ دولة الإسلام بالمدينة، هذه الدولة الَّتي نشأت بين دول تعاديها، كل مَنْ حولها يعاديها، حتَّى العرب الَّذين هم قوم رسول الله ﷺ هم أوَّل مَنْ عادى هذه الدولة، أخرجوا الرسول وأصحابه من ديارهم، ثمَّ لم يكتفوا بذلك، بل ناوشوهم في كل حين، كانت غزوة بدر قرب المدينة، وكانت غزوة أحد غزوًا للمدينة في عقر الدار، وكانت غزوة الخندق أكثر وأكثر تجمع ضخم من قريش وغطفان وما حولهما لمهاجمة المسلمين في المدينة.

ولكن الله سبحانه وتعالى نصر عباده المؤمنين، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ونصرهم بعد ذلك في الغزوات الأخرى، ثمَّ أصبح المسلمون بعد ذلك يَغزون ولا يُغزَون.

كان الإسلام دعوة جديدة للعالم كله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وتكفَّل المسلمون بأن يبلغوا هذه الدعوة إلى العالم، إلى الفرس والروم، وإلى كل مكان في العالم، ووقف العالم ضد المسلمين، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى أعزَّ الإسلام، أعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

تعرَّض هذا الإسلام في حياته الطويلة في هذه القرون الأربعة عشرة، نحن الآن في القرن الخامس عشر للإسلام، تعرَّض الإسلام في هذه القرون لمحن وغزوات من الشرق ومن الغرب، من الشمال ومن

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

الجنوب، مــن اليهود ومن النصارى، ومن المجــوس ومن الوثنيين في الشــرق ومن كل مكان، ولكن الله ﷻ نصر هذا الدين، وبقي هذا الدين إلى اليوم، وسيبقى هذا الدين.

ولكن ماذا علينــا نحن أيُّها الإخوة المســلمون؟ علينا أن ننصر هذا الدين، علينا أن نعرف ماذا يتطلَّب منا هــذا الدين، علينا أن نكون لهذا الدين لا عليه، علينــا أن ينصر بعضنا بعضًا، وأن يقــوِّي بعضنا بعضًا، لا أن يحارب بعضنا بعضًا.

نحن أصبحنا في زمننا هذا وقد انتصر علينا اليهود، عاش اليهود أهل ذمَّة عندنا، حميناهم من الإبــادة العالميَّة، كانوا في حمانا في الأندلس، فلمَّا خرجنا من الأندلس تعرضــوا للإبادة، خرجوا من الأندلس وجاؤوا إلى بلادنا الإسلاميَّة.

ثم تنكَّر اليهود لنا، حينما واتتهم القوَّة ووجدوا ضعفًا من المسلمين أقامــوا دولتهم في ديارنا، عُرضت عليهم بــلاد أخرى في قارات أخرى فأبوا إلَّا فلسطين، أن يأخذوا فلسطين من أهلها ويحتلوها، وأن يخرجوا أهلها منها.

وهاهم لا زالوا إلــى اليوم قائمين ظاهرين علينــا، نحن نلهث وراء ما يسمُّونه (السلام) ولا سلام، كل يوم يكسبون أرضًا، وهم الآن يهدِّدون القدس، أصبح العرب والمســلمون أقلية في القــدس، أنا أقصد القدس الشرقيَّة، أمَّا قدس المسجد الأقصى فقد أصبحت مهدَّدة من كل مكان.

ماذا نملك نحن في مواجهتهم؟ هم يتمسَّكون بتوراتهم، ويجب أن نستمســك نحن بقرآننا، إذا قالوا: التلمود. قلنا: عندنا ســنَّة مُحمَّد ﷺ.

QaradawiBooks.com

نحن المسلمين فرَّطنا فيما يجب علينا، ضيَّعنا أرضنا بالتفرُّق، ومع هذا نزداد كل يوم سوءًا، في أكثر من بلد يقاتل المسلمون بعضهم بعضًا. وآن لنا أن نكون أمَّةً واحدةً، ويدًا واحدة على من عادانا، كما قال ﷺ: «**المسلمون يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يَدٌ على مَنْ سواهم**»(١).

ولن نجتمع ولن نكون قوَّة إلَّا بالإسلام، فالإسلام وحده هو الَّذي يجمعنا ولا يفرقنا، ويجعلنا أمَّة واحدة، وقوَّة واحدة، نسند ظهرنا إلى ركن ركين، ونلوذ بحصن حصين، ونعتصم بحبل الله المتين، هذه هي أمَّتنا، أمَّة هي أقوى ما تكون إذا لاذت بالإسلام، إذا اعتصمت بحبل الله المتين، كما قال تعالى: ﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿**وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ**﴾ [آل عمران: ١٠١].

ليس لنا قوَّة إلَّا الإسلام نعتصم به، ونستمسك بعُراه، ولا نحيد عنه، ففيه عزُّنا، وفيه قوَّتنا، وفيه نصرنا من الله ﷻ، ﴿**إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٠].

اللهمَّ لا تجعل انتصارنا إلَّا بك، ولا تجعل اعتصامنا إلَّا بحبلك، ولا تجعل لجوءنا إلَّا إليك، ولا فقرنا إلَّا إليك، ولا ذلَّنا إلَّا بين يديك، اللهمَّ اهدنا واهد بنا، وأعزَّنا وأعزَّ بنا، وانصرنا وانصر بنا، اللهمَّ انصرنا ولا تنصر علينا، وكن لنا ولا تكن علينا، وأعنَّا ولا تعن علينا، واهدنا ويسِّر الهدى إلينا، وانصرنا على مَنْ بغَى علينا، اللهمَّ أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلَّ

(١) سبق تخريجه صـ٥٦.

QaradawiBooks.com

من ذلك، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة، اللهمَّ اجعل بلدنا هذا آمنًا مطمئنًّا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٩

الوحدة الإسلاميَّة وكيف يبنيها الإسلام[١]؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا نجد دينًا من الأديان، أو فلسفة من الفلسفات، أو مذهبًا من المذاهب، أو نظامًا من الأنظمة دعا إلى التوحُّد والترابط والتواصل والتعاون كما دعا إليه الإسلام، ولا نجد أمَّة بلغت من التمزق والتبعثر والتباعد والتشرذم؛ كما بلغته أمَّة الإسلام، الأمَّة في ناحية، وتعاليم الإسلام في ناحية أخرى، مَنْ ينظر إلى الواقع يجد شيئًا يفتت الأكباد، ومن ينظر إلى التعاليم يجد أُفقًا أعلى.

الكون يدعو إلى التعاون:

الإسلام في قرآنه وسنَّته، في عقيدته وشريعته، في حضارته وفي تاريخه، في فلسفته وواقعه: يدعو إلى الوحدة، ويصور لنا الكون كله وحدة متعاونة بعضها مع بعض، الكون كله يرتبط بقانون الجاذبيَّة، هذه الأجرام العظيمة يربطها قانون واحد، ويسيِّرها نظام واحد من الذرَّة إلى المجرَّة، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [الملك: ٣].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

هناك تعاون بين الأرض والسماء، نحن نستمد الضوء والحرارة من الشمس، ولولا هذان ما كانت الحياة، الشمس تمدُّ الأرض بما تمدُّها به، وتمدُّ القمر بالنور، فالقمر جسم معتم، ولولا ما يُسلَّط عليه من ضوء الشمس ما وجدنا له نورًا، ولذلك يقول القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]. الضياء من ذات الشمس، أمَّا النور فهو انعكاس من غيره، فهناك تعاون بين الأجرام الكونيَّة بعضها وبعض.

وهناك تعاون بين المملكة النباتيَّة والمملكة الحيوانيَّة، النبات يستهلك ثاني أكسيد الكربون وينتج الأوكسجين، ونحن نستهلك الأوكسجين وننتج ثاني أكسيد الكربون، ما لا نحتاج إليه يحتاج إليه النبات، وما يفرزه النبات نحتاج إليه نحن، مَن الَّذي نظَّم هذا التعاون بين هذه الممالك، وهي لا تعقل ولا تعي؟ هناك منظِّم نظَّمها، هو الله سبحانه وتعالى، ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

والإنسان يبدأ تكوينه بتلك النطفة الأمشاج، بالحيوان المنوي والبويضة، يمتزج الحيوان المنوي من الرجل والبويضة من المرأة؛ فتصبح بويضة ملقحة، بعد أن كان هناك كائنان يتَّصلان ويصبحان كائنًا واحدًا، وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان كيانًا واحد لا كيانان.

الإسلام يسعى لإيجاد المسلم المتوافق مع نفسه لا الممزق:

وجاء الإسلام بعقائده وعباداته، وقيمه وتشريعاته ليوحِّد الإنسان، حتَّى لا يصبح في الظاهر إنسانًا واحدًا، وفي الداخل أناسي يحارب بعضها بعضًا، وينازع بعضها بعضًا، كالذي حدَّث عنه القرآن فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. عبد له سيِّد واحد، يعرف ما يحبه وما يبغضه، ما يرضاه وما يسخطه، فهو

QaradawiBooks.com

يسعى إلى إرضاء سيده ومستريح إلى هذا الأمر، وهناك عبد له سادة أو عدَّة مُلَّاك، هم شركاء فيه؛ ولكنهم شركاء متشاكسون، يُشرِّق هذا ويُغرِّب هذا، يأمره هذا بشيء ويأمره هذا بضده، فقلبه أوزاع، وهمُّه شعاع، لا يعرف ماذا يفعل وماذا يترك! هذا هو العبد الَّذي له شركاء متشاكسون.

المؤمن عرف أنَّ له ربًّا، وعرف أوامره ونواهيه، ومراضيه ومساخطه، حدد الغاية من حياته، وحدَّد الطريق أو الصراط أو المنهاج، وهو منهاج واحد، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، له غاية واحدة هي رضا الله، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، أوَّل مَنْ ينقاد إلى ما أمر الله به، حياتي لله، ومماتي لله، وصلاتي لله، ونسكي لله.

الغاية معروفة، والصِّراط معروف؛ إنَّها الهداية الَّتي يسألها كل منا ربَّه في كل يوم في صلاته، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

ليس هناك تنازع بين قواه الداخليَّة، فلا يدري ماذا يريد؟!

نحن في الحياة نرى هذا يريد المال، وهذا يريد النساء، وهذا يريد الجاه، وهذا يريد القصور، وهذا يريد كذا، كل واحد له دنيا؛ كما قال أبو نواس:

إنَّما الدُّنْيا طعامٌ وشرابٌ ومنامْ ... فإذا فاتكَ هذا فعلى الدُّنيا السلامْ(١)

(١) نسبه الراغب الأصبهاني لأبي نواس في محاضرات الأدباء (٧٨٤/١ ـ ٧٨٥)، مع تغيير في بعض ألفاظه، نشر دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

هذا ما يريده أبو نواس، فهناك مشارب مختلفة، وأغراض مختلفة يختلف فيها النَّاس، وينازع بعضهم بعضًا، بل الشخص الواحد ينازع نفسه، إنَّه في كل يوم له طلب جديد وهوى جديد، والأهواء كثيرة جدًّا لا تتناهى، مَنْ مشى وراءها تعب تعبًا شديدًا.

أمَّا مَن جعل كلَّ همومه همًّا واحدًا فقد استراح، همُّه أن يرضى الله تعالى عنه، أمَّا إن كان همُّك أن يرضى عنك زيد وعمر فهيهات أن ترضي أحدًا، كما قال الشاعر:

إذا رَضِيَتْ عنِّي كِرامُ عشيرتي فلا زالَ غضبانًا عليَّ لئامُها[(1)]

وقال الآخر:

ومَنْ في النَّاس يُرضي كلَّ نَفْسٍ وبينَ هوى النفوسِ مدًى بعيد[(2)]؟

ولذلك قالوا من قديم: رضا النَّاس غاية لا تُدرك. لا يمكن أن تُرضي كل الأطراف وكل النَّاس، ولذلك بحسبك أن ترضي الله تبارك وتعالى، ولا يضرك ولا يهمُّك رضي عنك العباد أم سخطوا؟ إذا رضي الله عنك أرضى عنك النَّاس، وإذا سخط الله عليك يسخط عليك النَّاس، وإن كنت تسعى في إرضائهم.

وهكذا يسعى الإسلام من البداية إلى إيجاد الشخص المتَّحد، لا الشخص المُمزَّق المُوزَّع، لا، بل يريد الشخص الَّذي أصبح شيئًا واحدًا، ليس أشياء متعددة.

---

(١) من شعر ناصيف اليازجي.

(٢) البيت لأبي العيناء محمد بن القاسم قاله للمتوكل العباسي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٤٧١/١).

QaradawiBooks.com

الأسرة المترابطة:

ثم يبدأ بالأسرة المتوحِّدة المترابطة، ولذلك يسعى أن يرضى كل من الزوجين بصاحبه، لا يُكرَه على ما لا يريد، ولذلك رفض الإسلام أن يجبر الرجل ابنته على مَنْ لا تريد، فضلًا عن أن يجبر ابنه، حتَّى تُبنَى الحياة الزوجيَّة على الاختيار، أو على حريَّة الإرادة.

فإذا بدأت الأسرة تأسَّست من البداية على أركان هي السكون والمودَّة والرحمة، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، المودة والرحمة، وعبَّر القرآن عن ذلك في آية أخرى فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. المرأة للرجل والرجل للمرأة بمنزلة اللباس أو الثوب، فهو ستر، وهو دفء، وهو زينة، وهو وقاية.

يبدأ الإسلام بالأسرة الصغيرة، ثمَّ الأسرة الكبيرة الموسَّعة الممتدة، الَّتي تشمل الوالدين والأبناء والإخوة والأخوات وذوي الأرحام، كما قال تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

يسعى الإسلام إلى أن يوجد أسرة متماسكة، وأسرة متواصلة لا يقطع بعضها بعضًا، وجعل قطع الأرحام من أعظم المعاصي والجرائم في الأرض، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [مُحمَّد: ٢٢، ٢٣].

وفي الحديث القدسي تعهد الله للرحم أن يصل مَنْ وصلها ويقطع مَنْ قطعها، روي البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله خلق الخلق، حتَّى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من**

QaradawiBooks.com

القطيعة. قال: نعم، أَمَا ترضين أن أصل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك»[١]. يصل من وصلها بإحسانه وفضله ونعمه، ويقطع عنه هذه الفضائل كلها إذا قطع رحمه.

المجتمع الحي المتماسك:

الوحدة الَّتي ينشئها الإسلام إذن تبدأ من الفرد إلى الأسرة، ثمَّ إلى المجتمع: المجتمع الصغير، مجتمع الإنسان في قريته، مجتمعه في حيِّه: الجار ذي القربى، والجار الجنب، والجار القريب، والجار البعيد، القريب في المكان، والقريب في النسب، والقريب في الدين، حتَّى البعيد، حتَّى الجار الكافر، أوصى النبي ﷺ بكل جار، ولو لم يكن مسلمًا.

في أحد أعياد الأضحى قال عبد الله بن عمرو لخادمه: لا تنسَ جارنا اليهودي في الأضحية. وبعد قليل يقول له: إيَّاك أن تنسى جارنا اليهودي. وبعد قليل يقول له: إيَّاك أن تنسى جارنا اليهودي. فقال له: قد أكثرت الوصيَّة بهذا اليهودي! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه**»[٢].

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا**» ـ وفي رواية: «**ليس بمؤمن ـ مَنْ بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع**»[٣]. ليس بمؤمن، ليس منَّا، ليس من أمَّة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٠، ٤٨٣١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٦٤٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٥١٥٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٣)، وقال: حسن غريب.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٢/١٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الإســـلام، ليس على نهجنا ولا على طريقتنا مَنْ يعيش لنفسه، مَنْ يفكِّر في أهله وأولاده، ولا يفكِّر فيمن حوله مـــن النَّاس، في جيرانه، يفرض الإسلام هذا التكافل على أبناء الحي، وعلى أبناء القرية الصغيرة، كلهم جيران، ثمَّ يبدأ المجتمع الكبير.

التكافل المجتمعي في الإسلام:

ولذلك قرَّر العلماء ـ أخذًا من الأحاديـــث ـ أنَّ الزكاة تُوزَّع في كل إقليم حتَّى يشبع أهله ممَّا يرون. إن كانوا يرون الغلال أو القمح والذرة والأرز وهذه الأشـــياء: يعرفون أنَّ لهم فيها حقًّـــا، فعندما يأتي الحصاد، ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعـام: ١٤١]، وكذلـــك عندمـــا يرون الإبل والبقر والغنم، وعندما يرون التجارات مـــن حولهم يعرفون أنَّ لهم فيها حقًّا، «**تؤخَذ من أموالهم لتردَّ على فقرائهم**»(١).

ليس من هدي الإســـلام ما كانت عليه الإمبراطوريـــات القديمة في فارس، والروم في الدولة البيزنطية، إنهم كانوا يأخذون الضرائب من أهل القرى النائية، مـــن الفلاحين والحرفيين والزراعييـــن والعمال: يأخذون منهم الضرائب، وينفقونها على حاشية الإمبراطور، وعلى جيشه، وعلى بطانته، وعلى الموظَّفين عنده، وعلى العاصمـــة الَّتي يعيش فيها، بينما أهل القرى مساكين لا ينالهم شيء، وإذا نالهم شيء فهو الفتات.

جاء الإســـلام بهذا التكافل الَّذي يســـعى أوَّل ما يســـعى إلى إشباع الفقراء والمســـاكين وأبناء الســـبيل: الضعفـــاء في المجتمـــع، الفئات المســـحوقة. من كان ضعفه من قلَّة المال فهو مسكين، ومن كان ضعفه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

من فقد الوطن فهو ابن سبيل، ومن كان ضعفه من فقد الأب فهو يتيم، ومن كان ضعفُه من فقد الحريَّة فهو ممَّا ملكت الأيمان.

كل هؤلاء لهم حقوق، وأول الحقوق هي لهؤلاء الضعفاء من النَّاس، ولا ينبغي أن يكون المال دُولة بين الأغنياء منكم، يُتداول بين الأغنياء فقط، أمَّا الفقراء فلا يجدون منه شيئًا، ليس هذا هو المجتمع الإسلامي، وإنَّما هو المجتمع الرأسمالي.

لو كانت هناك عبارة تُحدِّد المجتمع الرأسمالي لقيل: إنَّه المجتمع الَّذي يكون فيه المال دولة بين الأغنياء وليس للفقراء فيه شيء.

التواصل والتعاون في إطار الدولة الواحدة:

ومن المجتمع الصغير إلى المجتمع الكبير، مجتمع الدولة الواحدة أو القطر الواحد، ينبغي أن يشمل التكافل والتضامن والتقارب والتواصل والتعاون هذا المجتمع كله، يعين بعضه بعضًا، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[(١)]، مهما كانت متانة اللبنة وقوَّتها فهي ضعيفة وحدها، تستطيع أن تكسرها بأيِّ طريقة، ولكن اللبنة في وسط الجدار تصبح قوَّة، والجدار مع جملة من الجدران يصبح قوَّة أكبر، ومع عمارة يصبح قوَّة أشد ضخامة ومتانة.

«**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحمَّى والسَّهر**»[(٢)]، وحدة عضويَّة في كيان عضويٍّ واحد، كالجسد الواحد يحسُّ كل عضو

(١) سبق تخريجه صـ ١٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨.

QaradawiBooks.com

فيه بما يتألَّم به العضو الآخر، لا تتنكر الرأس لألم الرجل، ولا القلب لألم الرأس، لا، إذا أصابك ألمٌ تألم جسمك كله، هذا هو دليل الوحدة.

المفروض أن يكون المجتمع مثل الجسد الواحد، يكون مثل البنيان المرصوص، وخصوصًا في حالات الشدائد مثل حالات المعارك، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]. عند المعركة يجب أن يتوحَّد الجميع، الكل في المعركة كأنهم بنيان مرصوص.

وحدة أمة الإسلام الكبرى:

من المجتمع الصغير إلى المجتمع الكبير، ثمَّ إلى الأمَّة، الإسلام يبني بعد ذلك الأمَّة الكبرى، أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة مُحمَّد ﷺ، ونعني بالأمَّة هنا أمَّة الإجابة.

هناك أمَّة الدعوة، وتلك هي العالم كله، لأن الله بعث مُحمَّدًا للعالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فهؤلاء أمَّة الدعوة، أمَّة الدعوة كل الأمم، كل مَنْ يعيش على هذه الأرض هم من أمَّة الدعوة.

أمَّا أمَّة الإجابة فهم الَّذين آمنوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّد نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن منهاجًا وإمامًا، هذه أمَّة الإجابة، مَنْ استجاب لرسول الله ودعوة رسول الله، وآمن والتزم بالإسلام: عقائده وعباداته، وأخلاقه وتشريعاته، وامتثل أوامره واجتنب نواهيه؛ فهذه أمَّة الإجابة.

QaradawiBooks.com

أمَّة الإجابة أمَّة واحدة وإن اختلفت أجناسها، هذا عربي، وهذا عجمي، وهذا هندي، وهذا كردي، وهذا تركي، أجناس مختلفة. أو اختلفت ألسنتها أو لغاتها، أو اختلفت ألوانها؛ بل هذا من آيات الله سبحانه وتعالى في الكون، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]، أمَّة كبيرة، أقاليم عدَّة، هذا من آسيا، وهذا من إفريقيا، وهذا من أوروبا، وهكذا من قارات الدُّنْيا الست، لا يمنع هذا أن يكونوا أمَّة واحدة، تختلف أقاليمهم، وتختلف أجناسهم، وتختلف ألوانهم، وتختلف لغاتهم، وتختلف طبقاتهم، هذا غنيٌّ وهذا فقير، هذا متعلِّم وهذا أمِّي، كلهم من أمَّة مُحمَّد ﷺ.

هذه الأمَّة أمَّة واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. كأنَّه يشير إلى أنَّ العبادة لا تتمُّ، والتقوى لا تكمل إلَّا باتحاد الأمَّة.

يجب أن تكون الأمَّة قوَّة واحدة، والأمَّة واحدة فعلًا: واحدة في عقائدها، واحدة في عباداتها، واحدة في مكارم أخلاقها، واحدة في آدابها، واحدة في تشريعاتها، واحدة في قبلتها، واحدة في مصيرها، هكذا يجب أن تنظر الأمَّة إلى نفسها، أعداؤها ينظرون إليها على أنَّها أمَّة واحدة، وللأسف كثيرًا ما لا تنظر الأمَّة إلى نفسها كذلك!

إدراك الشعوب لمعنى الأمة الواحدة:

الشعوب الإسلاميَّة تعرف أنَّها أمَّة واحدة، وللأسف الحكام كثيرًا ما لا يكونون في صف الأمَّة، لا ينزلون إلى مستوى الشعوب، شعوب الأمَّة الإسلاميَّة يعرفون أنَّهم أمَّة واحدة، خطباء الجمع في كل بلاد

QaradawiBooks.com

المسلمين يدعون للمسلمين في كل مكان: اللهمَّ انصر الإسلام، اللهمَّ أعزَّ المسلمين، اللهمَّ ارفع راية القرآن. يدعون للفلسطينيِّين، ويدعون لكل بلد مسلم.

قام العالم الإسلامي كله ينتصر لغزة، ويواجه هذا الجبروت الصهيوني الَّذي قتَّل مَنْ قتَّل، وعذَّب مَنْ عذَّب في فلسطين، وقام العالم الإسلامي كله بنصرة إخوانهم حينما أصابت الفيضانات باكستان، وقبل ذلك إندونيسيا، وهم يلتقون في الحج حول الكعبة، ليس هناك فرق بين إندونيسي وموريتاني، كلهم يشعرون أنَّهم شعب واحد، وأمَّة واحدة، تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله.

ثم إذا لقيت المسلم في أيِّ مكان تقول له: السلام عليكم. فيقول لك: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تأكل معه فيأكل باليمين، ويقول أوَّل ما يأكل: بسم الله الرحمن الرحيم. وآخر ما يشبع: الحمد لله. عند كل المسلمين آدابٌ واحدة، وشعائر واحدة: كلهم يصلون خمس صلوات، وكلهم يصومون رمضان، وكلهم يحجُّون البيت، ليس هناك أمَّة تجمعها هذه الجوامع مثل أمَّة الإسلام.

أفكار مستوردة فرقت الأمة:

ولكن هناك أشياء دخلت على الأمَّة فرَّقت بينها، هناك مذاهب مستوردة، أفكار مستعارة من أناس آخرين دخلت على الأمَّة فقسمتها إلى يمين وإلى يسار، وإلى تقدُّمي، وإلى رجعي، وإلى ثوري، وإلى راديكالي، وإلى تقليدي وكلاسيكي، وهكذا أشياء ما عرفها المسلمون السابقون، ولكن عرفتها هذه الأمَّة نتيجة ما يسمَّى الغزو الفكري، هناك غزاة لا يغزون الأمَّة بالسيف ولا بالرمح، وإنَّما يغزونها بالفكر وبالثقافة.

QaradawiBooks.com

بعد الحــروب الصليبيَّة الشــهيرة، حينما جاء الصليبيون في تسـع حملات صليبيَّة مشهورة لغزو المســلمين في عقر دارهم، وانتصروا في أوَّل الأمر حينما كان المســلمون متفرقين، وكانوا في غفلة من أمرهم، حتَّى هيَّأ الله لهم رجالًا جمعوهم من شتات، وأحيوهم من موات: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، هؤلاء جمعوا الأمَّة، فلما اجتمعت الأمَّة على قلب رجل واحد يدفعهم الإيمان، وتدفعهم الحماســة لنُصرة لدين الله، وتحرير أرض الإســلام من الغزاة الفرنجة الصليبيِّين: نصر الله هذه الأمَّة.

بعد ذلك فكــر الأوروبيــون أو الفرنجة كما كان يســمّيهم مؤرِّخو المسلمين، نحن لم نسمها (الحروب الصليبيَّة) الَّذين سموها كذلك هم الغربيون، ونحن ســمَّيناها (حروب الفرنجة)، كانت حروب استعماريَّة جاءت بلادنا للاســتيلاء عليها، ورفع الغربيون في هذه الحروب شعار الصليب، وتمسَّحوا بالمسيح.

الغزو الفكري وأثره في وحدة الأمة:

بعد أن فشــلوا في هذه الحروب الصليبيَّة قرروا أن يســتخدموا لغة أخرى غير لغة الســلاح، غير الحرب العســكريَّة، وهي الحرب الفكريَّة والدِّينيَّة؛ فبدؤوا غــزوًا جديدًا تقوده فئتان: فئة دينيَّــة هم المنصِّرون أو المبشِّرون، وفئة فكريَّة وعلميَّة هم المستشرقون، ولا فرق بينهما إلَّا أن هؤلاء يلبسون مسوح الدين، وأولئك يلبســون مسوح العلم، وهناك من المستشــرقين أناس منصفون، ولكــن لا يوجد مــن المنصِّرين منصف واحد، هم يريدون اقتلاع الأمَّة من جذورها الدِّينيَّة.

بدأ الغزو الفكري، وبدأت الأمَّة تنقســم على نفســها يمينًا ويسارًا،

QaradawiBooks.com

واليمين درجات، واليسار درجات، هناك اليمين، ويمين اليمين، ووسط اليمين، ويسار اليمين! وهناك اليسار، ويمين اليسار، ووسط اليسار، ويسار اليسار! ولذلك لا يمكن أن تجتمع الأمَّة على مثل هذه المنظومات من الأفكار.

هذه الدعوات الغازية ليست دعواتنا، هي أجنبيَّة عنا، دعوتنا هي الإسلام، ولا نجاة لنا إلَّا بالإسلام، ولا يجمع أمَّتنا إلَّا الإسلام، ولا يُحرِّك أمَّتنا إلَّا كلمة الإسلام، اعزف على هذه المعزوفات، قل: الثَّوريَّة، وقل: الديمقراطية، وقل: الاشتراكية، وقل: القومية، وقل ما شئت؛ فلن تتحرك الأمَّة.

لن يوحد أمتنا إلَّا الإسلام:

لن يُحرِّك هذه الأمَّة شعر امرؤ القيس، ولا عنترة بن شدَّاد، إنَّما يُحرِّك هذه الأمَّة القرآن، يُحرِّك هذه الأمَّة سنَّة مُحمَّد ﷺ، يُحرِّك هذه الأمَّة أن تقول: يا خيل الله اركبي، يا ريح الجنَّة هُبِّي، يا كتائب الله سيري. تجد الأمَّة وراءك بالألوف والملايين.

نحن ينبغي أن نوحِّد أمَّتنا ولا نسمح أن تتشرذم الأمَّة، وتتبعثر يمينًا وشمالًا كما نرى اليوم، انظر إلى أمَّة الإسلام في كل مكان، أمَّة الإسلام للأسف أصبحت يجفو بعضُها بعضًا، بل يعادي بعضُها بعضًا، بل يقاتل بعضُها بعضًا، حتَّى في البلد الواحد.

كم بلدًا نجد اقتتالًا بين أبنائه بعضهم وبعض؟ العراق، أفغانستان، الصومال، السودان، اليمن، عُدَّ ما شئت من بلاد، مسلمون يقاتل بعضهم بعضًا وهم أبناء ملَّة واحدة، ويقفون إلى قبلة واحدة، وينادون ربًّا واحدًا، ويؤمنون بنبيٍّ واحد، وبعقيدة واحدة، وشريعة واحدة؛ كيف يقاتل بعضها بعضًا؟!

QaradawiBooks.com

هذا مع أنَّ نبيَّهم ﷺ قد أنذرهم وحذَّرهم وبصَّرهم، قبل أن يموت ويرحل ويفارق هذه الدُّنْيا بثمانين يومًا؛ قال لهم في حجة الوداع: «أيُّها النَّاس، **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١). هذا التقاتل ليس شأن المؤمنين، إنَّما هو شأن الكفار كما كانوا في جاهليَّتهم يضربُ بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا.

أمَّا المؤمنون الَّذين جمعتهم الأخوة، ﴿**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ**﴾ [الحجرات: ١٠]، «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه**»(٢)، «**المسلمون يسعى بذمَّتهم أدناهم وهم يدٌ على مَنْ سواهم**»(٣)، ﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿**وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ**﴾ [الأنفال: ٤٦]، كل هذه الآيات والأحاديث تجعل الأمَّة كيانًا واحدًا؛ فكيف تتقاتل الأمَّة بعضها مع بعض، ثمَّ هي تقف عاجزة أمام تحرير المسجد الأقصى؟ لأنَّها إنَّما تكون قوَّة باتحادها، أمَّا إذا تنازعت وتفرقت؛ فلا يمكن أن تكون قوَّة، القوَّة بالاتحاد، الاتحاد يقوي القلَّة، والتفرق يضعف الكثرة.

سبب ضعف الأمة:

النبي ﷺ حدثنا عن أواخر هذه الأمَّة فقال: «**يوشك أن تتداعَى عليكم الأمم كما تتداعَى الأكلة إلى قصعتها**». يريدون أن يلتهموكم كما يأكل الجياع القصاع، كأنكم قصعة من الثريد اجتمع عليها الجياع؛

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٦.

QaradawiBooks.com

فأرادوا ألا يبقوا منها شـيئًا، يلتهمونها، يأكلونهـا! قالوا: أوَمن قلَّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنَّكم غثاء كغثاء السـيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكـم المهابة منكـم، وليقذفن في قلوبكم الوهـن**». قالوا: وما الوهن يا رسـول الله؟ قال: «**حـبُّ الدُّنْيا، وكراهية الموت**»[1]. الوهن النفسـي، هم يعرفون معنى الوهن لغة وهو الضعف، لكنهم يسألون عن سر هذا الوهن: لماذا هذا الضعف في الأمَّة؟ قال لهم: «**حبُّ الدُّنْيا، وكراهية الموت**».

الأمَّة الإسلاميَّة الآن مليار وحوالي ستمائة مليون، ملياران إلَّا ثلث، عدد ضخم، ولكـن أين قوَّة الأمَّة وهـم كثرة؟ «**كغثاء السـيل**». وغثاء السيل: هو ما يحمله السيل من حطب وخشب وقش، وأغصان وأوراق، وأشـياء ليس لها قيمة وليس لها وزن، وليس لها عمق، ولا تسـير في مسار واحد، ترتفع إلى أعلى وتهبط إلى الأسفل، وتذهب يمينًا ويسارًا، هذا غثاء السيل!

الأمَّة الَّتي كغثاء السيل لا قيمة لها، والأمَّة المتَّحدة الهدف، المتَّحدة المنهاج، المتَّحدة القيادة هي الَّتي تسـتطيع أن تفعل شيئًا. أمَّتنا فقدت الهدف الواحد، وفقدت المنهاج الواحد، وفقدت القيادة الواحدة؛ بعد أن ذهبت الخلافة الإسلاميَّة الَّتي كانت تُمثِّل آخر تجمُّع للمسلمين: الخلافة العُثمانيَّة، آخر تجمع تحت راية العقيدة، تحت راية لا إلٰه إلَّا الله، مُحمَّد رسول الله.

هُدمت قلعة الخلافة، هُتكت هذه المظلة، وأصبح المسلمون بعد أن كانوا أمَّة واحدة، لها مرجعيَّة واحدة هي (الشريعة الإسلاميَّة)، ولها وطن

(١) سبق تخريجه صـ٦٨، وفيه: «لا، بل أنتم يومئذ كثير»

QaradawiBooks.com

واحد اسمه (دار الإسلام)، ولها قيادة واحدة اسمها (الخلافة الإسلاميَّة) تمزق المسلمون دولًا وأحزابًا، ورتبًا وألقابًا، كما قال الشاعر:

وتَفَرَّقـوا شِـيَعًا فـكلُّ قَبِيلَـةٍ   فيهـا أميـرُ المؤمنيـنَ ومِنْبَرُ[1]

تمزَّقت الأمَّـة، ولذلك أصبحنا نـرى بأعيننا، ونشـاهد بأبصارنا، ونسـمع بآذاننا في نشـرات الأخبار ما يفتّت الكبـد، ما يفلق الحجر، ما يدْمـي الأعيـن ممَّا يجـري لإخواننا فـي أرض النبـوات، وأرض المقدَّسات، وأرض الإسراء والمعراج، والأمَّة لا تصنع شيئًا، لأنَّ الأمَّة تمزقت، ولذلك علينا أن نعيد كيان الأمَّة من جديد.

لا يعود كيان الأمَّة إلَّا إذا ربطناها بالإسلام:

ولا يعود كيان الأمَّة إلَّا إذا ربطناها بالإسـلام، حينما ترتبط الأمَّة بالإسلام لا يُمزِّقها شيء، ولا يوزِّعها عن عقيدتها وعن أصلها شيء، والأمَّة بهذا الإسلام كل شيء، وبغير الإسلام لا شيء، قل ما شئت من بلاد ومن حُكَّام، وحكومات ومظاهر شـتى؛ فلن تكون الأمَّة شـيئًا مذكورًا، إلَّا إذا وضعت يدها في يد الله، إلَّا إذا اسـتقامت على كتاب الله، إلَّا إذا سارت وراء رسـول الله، فبهذا تنتصر على أعدائها، وتحقِّق أهدافها.

علينا يا أيُّها الإخوة كلنا، كلٌّ منا عليه واجب في تصحيح المسـار، في إعادة هذه الأمَّة إلى حقيقتها، إلى أصولهـا، إلى جذورها، هذه أمَّة الإسـلام إذا حاولنا أن نغيِّر طبيعتها فلن تستطيع أن تترك الإسلام، ولن تستطيع أن تصير شيئًا آخر.

(١) من شعر الْمسَاوِر بن هِنْد بن زُهَيْر، كما في ديوان الحماسة (٢٥٢/١).

QaradawiBooks.com

حــاول محاولون أن يغيِّروا الأمَّــة التركيَّة إلى أمَّة أخــرى عِلمانيَّة، لا علاقة لها بالشريعة، ولا علاقة لها بهذا الدين، ومشوا في هذا الشوط؛ فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة ما قالته كاتبة تركيَّة: كنا أوَّل أمَّة في الشــرق فأصبحنا آخر أمَّة في الغــرب. حاولوا أن يدخلــوا في الاتحاد الأوروبي، ولكنَّه يرفضهم.

الآن عرفت تركيا أنَّها من أمَّة الإسلام، وحاولت الرجوع بالأمَّة إلى الإسلام، وسارت خطوات حكيمة متَّئدة، تريد أن تعيد الأمَّة إلى أصلها، إلى جذورها، وأعتقد أنَّهــا نجحت إلى حد كبيــر، ولا زلنا ننتظر منها المزيد، ولكن كثيرًا من أبناء أمَّتنا لم يتعلموا من تركيا، لا زالوا يسيرون وراء الغرب شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

نســأل الله أن يهدي أمَّتنا إلى الَّتي هي أقوم، وأن يجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التُّقَى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

لي أيُّها الإخوة المسلمون كلمتان قصيرتان:

انتهاكات في القدس:

الكلمة الأولـى عن قضيَّة الأمَّة المركزيَّـة المحوريَّة، الَّتي لا ينتهي الحديث عنها، وسـيظل يُكرَّر ويُكرَّر: قضيَّة فلسطين، هذه القضيَّة الَّتي نراها كل يوم وهي تزداد سـوءًا بعد سـوء، يزداد الصهاينة في إجرامهم وآثامهم وعدوانهم، هم يفكرون الآن في شـنِّ حـرب جديدة على غزَّة المتمردة عليهم، وهم في كل يوم يسـيرون خطوة وخطوات إلى الأمام، في تهويد القدس وتهويد المسجد الأقصى.

جاء بعض الإخوة وكان له حاجة في القدس، وحكى عما يجري في القدس، وعن تحكُّم الصهاينة في مسلمي القدس، يذهب المسلم ليصلي في المسجد الأقصى فيجده شـبه مظلم، ليست فيه إضاءة كافية، يحتاج إلى صبغ أو طلاء ولا يستطيعون أن يصبغوه، ويحتاج إلى كذا وكذا، هذا وأهل القدس يقاسـون ما يقاسـون، لا يُمكنون من بناء بيت لهم على أرضهم، بل يخرجونهم من بيوتهم بدعاوى شتى.

بالأمس عرضـت قناة (الجزيرة) قصـة أم كامل، المـرأة الَّتي أخذ المسـتوطنون نصف دارها بدعوى مـن الدعاوى الكاذبـة، ثمَّ أخذوا النصف الباقي وأخرجوها، هي أبت أن تخـرج، ورموا بأثاث بيتها في الشارع، ثمَّ غرَّموها تكلفة إخراجهم هذا الأثاث، قالوا: عليك ثلاثة آلاف شيكل أو كذا. ودفعتها المسكينة.

QaradawiBooks.com

ولكـــن المرأة أصـرَّت ألا تترك المنطقـــة، قالت: هــذه بلد العرب والمسلمين. وبنت خيمة قريبة من دارها، وكل فترة يأتون لهدم الخيمة، وتحاول هي مع مَنْ يعاونها من إخوانها المسلمين والمسيحيين أيضًا في إعادة بناء الخيمة، وهي تصرُّ على البقاء، تقول: لن أترك خيمتي إلَّا على جثتي، إما أن يصير هذا المكان قبري أو أعود في يوم ما إلى بيتي.

فلسطين لها حق عليكم أيُّها الإخوة.

وحدة السودان:

الكلمة الثانية إلى إخواننا في السودان، وقد سبق أن أطلتُ الحديث في خطبة سابقة من عدة أسابيع عن ضرورة وحدة السودان، وقد سألني سائل في برنامج (الشـريعة والحياة) قائلًا: هل يجوز لمسلم أن يُصوِّت بقبول الانفصال. فقلت: لا، الانفصال جريمة، والوحدة فريضة وضرورة.

نحن يجب أن نسعى إلى الوحدة في كل مكان، وأن نرفض الانفصال في كل مكان، السودان الكبير يجب أن يظل سـودانًا كبيرًا، حرام على المسـلم أن يُصوِّت للانفصـال، وعار علـى غير المسـلم أن يُصوِّت للانفصال، السـودانيون جميعًا يجب أن يظل سودانهم واحدًا، هذا والله في مصلحة الجنوبيين، ومصلحة الشـماليين، ليست هناك مصلحة من التشـرذم والتقطع والتفرق، العالـم يتوحَّد؛ فلماذا نحـن وحدنا الَّذين نتشـرذم ونتفرَّق؟ لماذا لا نقتدي بأوروبا، ولا نقتدي بآسيا، ولا نقتدي بهؤلاء الَّذين يتجمعون؟

لا بد من الوحـدة، هذا ما أوصـي به إخوتنـا السـودانيين الَّذين سيذهبون إلى استفتائهم عن الجنوب: هل ينفصل أو لا ينفصل؟ أنصح

QaradawiBooks.com

السـودانيين جميعًا أن يرفضوا الانفصال، وأسـأل الله أن يهديَهم سواء السبيل، وأن يوفقهم إلى ما فيه خيرهم في الدُّنْيا والآخرة.

اللهمَّ أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا، اللهمَّ لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، وارفـع مقتك وغضبك عنا، ولا تسـلِّط علينـا بذنوبنا مَـنْ لا يخافك ولا يرحمنا، اللهمَّ انصر الإسـلام وأعزَّ المسـلمين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهمَّ انصُرْنا على اليهود الغاصبيـن الظالمين، وعلـى أعوانهم من الحاقديـن الكائدين، والمتعصبين الظالمين، اللهمَّ ردَّ عنا كيدهم، وفلَّ حدَّهم، وأدِل دولتهم، وأذهب عن أرضك سـلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، اللهمَّ مَنْ كادنا فكده، ومَنْ مكر بنا فامكر به، ومن بغى علينا فخذه؛ فإنه لا يعظـم عليك يـا رب العالمين، اللهمَّ إنَّا نسـألك العفو والعافية في ديننـا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اسـتر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيْماننا وعن شـمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للَّذين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

QaradawiBooks.com

١٠

أين نحن من الإسلام؟

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

تحدثنا في الجمعة الماضية عن الجبهات المعادية للإسلام، وكيف اتفقت كلمتها على حرب هذا الدين، اختلفوا فيما بينهم ولكنهم اتفقوا علينا، فالكفر كله ملة واحدة، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

أصبحنا هدفا لكل طامع:

لقد أصبحت ديار المسلمين نهبا لكل طامع، وأصبحت خيرات بلادهم هدفا لكل لص ومستغل، وأصبح دينهم غرضا لكل طاعن. طمع فينا مَن لا يدفع عن نفسه، حتَّى اليهود، أبخل النَّاس بمال، وأحرص النَّاس على حياة. طمع فينا اليهود، وأقاموا دولتهم في قلب أرضنا! لماذا هذا كله؟ لم هذا الحاضر الأليم، ما السبب في ذلك؟ هل حاولنا أن نحلل الأسباب؟ أهذا سببه كما يقول أعداء الإسلام هو الدين، إن ديننا هو السبب؟

QaradawiBooks.com

قوة أمتنا منوطة بتمسكها بالإسلام:

لو كان الأمر كذلك لكان المسلمون الأوائل أشد النَّاس تخلفا وضعفا، لأن تمسكهم بالإسلام كان أقوى، واستمساكهم بعروته كان أوثق، ولكن الواقع يخالف ذلك كل المخالفة. واستقراء التاريخ في مختلف مراحله يبين لنا أنَّ المد والجزر، والامتداد والانكماش، والانتصار والانهزام منوط بمقدار قربنا من الإسلام أو بعدنا عنه، فإذا أحسنا فهم الإسلام، وأحسنا العمل به، وأحسنا الاجتماع عليه، كان المسلمون في أوج القوَّة وقمة الانتصار والعزة، هكذا أنبأنا التاريخ.

وكلما ساء فهمنا لهذا الدين، وساء تطبيقنا له، ولم نحسن الاجتماع على كلمته،

والاعتصام بحبله، أصبحنا في مؤخرة الصفوف!

يوم كان الإسلام إسلاما، وكان المسلمون مسلمين، وكان القرآن منهاجهم، ورسول الله ﷺ إمامهم، يوم تخلقوا بالإسلام حقيقة، كانوا سادة الدُّنْيا، وقادوا البلاد والعباد، بالعدل والإحسان، بالعلم والإيمان، بالقيم والأخلاق. كانت الدُّنْيا كلها تحت سيادتهم، يحكمونها باسم الله! انطلقوا إلى آفاق الأرض؛ لا يبغون مالا، ولا يريدون جاها، ولا يطلبون من أحد جزاء ولا شكورا، إنَّما شعارهم: نحن قد ابتعثنا الله، لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سعة الدُّنْيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

(١) متمثلين بقول ربعي بن عامر. رواه الطبري في تاريخه (٣/٥٢٠).

QaradawiBooks.com

مجد المسلمين في عصور الإسلام الأولى:

هكذا انطلق المسلمون في آفاق الأرض شرقها وغربها، شمالها وجنوبها حتَّى دانت لهم قارات الدُّنْيا القديمة، ووقف الخليفة ينظر إلى السحابة في السماء كأنَّما يتحداها في عليائها، يقول في عزة وفخار: أيتها السحابة، شرِّقي أو غرِّبي، وأمطري حيث شئت فسيأتي خراجك إلى بيت مال المسلمين(١). هكذا كانوا! بلغ مجدهم السياسي إلى هذا الحد.

بلغ مجدهم العسكري، أن بعث عمر بن عبد العزيز إلى ملك الروم، حينما علم أنَّه استذل أسيرا مسلما، وأهانه في دار الأسر، فكتب إليه كلمات موجزة، يغني فيها قليل الكلام عن كثيره: أمَّا بعد، فقد بلغني أنَّك امتهنت مسلما كتب الله له الكرامة، فإذا بلغك كتابي هذا فخلِّ سبيله، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي. ولم يملك هذا الملك إلَّا أن أطلق سراح المسلم(٢).

بلغ من الرخاء الاقتصادي، أن يحيى بن سعيد والي عمر بن عبد العزيز على إفريقية (تونس وما حولها) بعث إليه يقول: لقد جمعت أموالا من الصدقات ـ أموال الزكاة ـ بحثت لها عن فقراء يستحقونها فلم أجد، فماذا أصنع بها يا أمير المؤمنين؟ فبعث أمير المؤمنين إليه يقول: اشتر بها رقابا وأعتقها(٣). حرِّر الرقاب؛ العبيد والإماء، فإذا لم نجد فقراء نحررهم من الفقر والجوع، نحرر الأرقاء، وبذلك كان الإسلام أوَّل من عمل على تحرير الأرقاء في العالم، وجعل لهم مصرفا من مصارف الزكاة الثمانية، في آية:

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٣/٢٨٥).
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ١٤٨.
(٣) المرجع السابق صـ٦٥.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ [التوبة: ٦٠]. وفي الرقاب.

هكذا كانت أمتنا، أمة متماسكة، يغار خليفتها على واحد منها مأسور في الغرب وهو في الشرق، يجيش الخليفة المعتصم جيشه الضخم انتصارا لامرأة شعرت بالهوان فقالت: وا معتصماه. حينما أهانها رجل بكلمة، فقالت: وا معتصماه، أين خليفتي المعتصم؟ فقال لها: لبيك لبيك(١).

الأمة الإسلاميَّة مُمزَّقة:

أين الآن، وأعراضنا تنتهك، وحرماتنا تداس، ومساجدنا تهدَّم، في يافا وغيرها، والمسجد الأقصى يعمل على تغيير طبيعته، والمسلمون والمسلمات في كل مكان يسامون الخسف والهوان، فهل من معتصم؟ هل من عمر بن عبد العزيز؟ هل من إنسان يغار على هؤلاء؟ لا.

إنَّ مشكلتنا نحن المسلمين، أنَّنا ممزقون، إن عندنا إمكانات وطاقات كبيرة، نملك القوَّة العدديَّة، والقوة البشريَّة! القوَّة البشريَّة هي أعظم ثروة، نحن ألف مليون في العالم، ألف مليون يشهدون ألا إلٰه إلَّا الله وأن مُحمَّدا رسول الله، ويصلون إلى قبلة واحدة، ويقرؤون فاتحة الكتاب.

ألف مليون، والكثرة نعمة، امتن الله بها في كتابه فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ٨٦]. جعلكم كثيرًا. نحن نملك القوَّة البشريَّة.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦/٣٨).

QaradawiBooks.com

نملك القوَّة المادِّيَّة:

ونحن نملك القوَّة المادِّيَّــة، القوَّة الماليَّة، القــوَّة الاقتصاديَّة، بلاد المســلمين ليســت فقيرة: ففيها الثروة الزراعية، فيها الثــروة المعدنية: النفط، والغــاز، والمعادن المختلفة، الثروات عندنــا بكثرة، بعضها في باطن الأرض مذخور، وبعضها على ظاهرها منشور. نحن نملك أخصب بلاد الله بقعة، وأطيبها رقعة، في ســرَّة الأرض، في ملتقى القارات، في بلاد الحضارات، نحن المسلمين نملك هذا كله.

عندنا الذهب الأبيض، القطن، عندنا الذهب الأســود، النفط، عندنا أموال بالملايين والبلاييــن، بعضها في الداخل وأكثرهــا في الخارج، يستغلها غيرنا حين لم نحسن نحن استغلالها! نحن أغنياء، عندنا القدرة المادِّيَّة والاقتصاديَّة.

نملك القوَّة الرُّوحيَّة:

ونحن كذلك نملك القوَّة الرُّوحيَّة، القــوَّة الفكرية، القوَّة العقائدية، نحن وحدنا نملك أعظم رســالة في الوجود، رســالة مُحمَّد ﷺ، نحن وحدنا نملك الوثيقة السماوية الوحيدة الَّتي لم يعترها تغيير ولا تبديل، نملك الكتاب الَّذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. القرآن، الَّذي مضى على نزوله أكثر من أربعة عشــر قرنا من الزمان، وبقي كما هو، لم يتغير فيه سطر، لم تتبدل فيه كلمة، لم يتحول فيه حرف، حتَّى بقي بطريقة كتابته من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. نقــرؤه بتجويده وترتيله، وغنِّه ومدِّه كما كان يقرؤه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

QaradawiBooks.com

نملك رسالة الإنقاذ للعالم:

نحن وحدنا نملك رسالة الإنقاذ للعالم، الرسالة الَّتي امتدَّت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدَّت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدَّت عُمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدُّنْيا والآخرة. كما وصفها داعية هذا العصر حسن البنا(١).

نملك الرسالة العظيمة، رسالة الخلود، رسالة الشمول، رسالة التوازن والوسطية، الَّتي لا تميز بين شرق وغرب، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين غني وفقير. الرسالة الَّتي توفق بين الدين والدنيا، وتمزج بين الروح والمادة، وتوفق بين العقل والقلب، وتصل الأرض بالسماء، وتوازن بين حق الفرد ومصلحة المجموع. إنَّها رسالة الله، إنَّها رسالة الخلود، إنَّها رسالة الهداية الباقية.

نحن وحدنا نملك هذه الرسالة، نملك هذه الرسالة بمصادرها الثابتة الباقية الخالدة، بقرآنها، بسنة نبيها، بسيرته العطرة، بهذا التراث العظيم، تراث الإسلام، في الفقه، والتشريع، والعقائد، والأخلاق. نحن نملك هذا كله.

وقفة مراجعة ومحاسبة:

ولكن هل أفدنا من هذه القوى، من هذه القدرات الَّتي نملكها؟ نحن ألف مليون، فهل استفدنا من هذه الألف مليون؟ ألف مليون ممزق، ماذا تصنع، إنَّها كما أشار الحديث الَّذي رواه أحمد وأبو داود، عن ثوبان،

---

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨) صـ١، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م، وانظر: سلسلة من تراث الإمام لجمعة أمين عبد العزيز (١٨١/٥)، نشر دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

عن النبي ﷺ: «**بل أنتم كثير، ولكنَّكم غُثاء كغثاء السَّيْل، ولينْزِعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليَقْذِفنَّ في قلوبكم الوَهْن**». قالوا: وما الوهْن، يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**»[1]. كثرة كغثاء السيل، أرأيتم غثاء السيل؟ ما يحمله السيل من حطب وقش وورق وأشياء غير متجانسة، تطفو على السطح، ولا تنفع بشيء. زبد يذهب جفاء ولا ينفع النَّاس، كثرة، ألف مليون، لم تجتمع كلمتها، لم يلتئم صفها، لم تقف كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

رأينا أهل الأديان الأخرى يحاولون فيما بينهم أن يلموا شتاتهم، أن يجمعوا صفوفهم على ما بينهم من خلاف، المذاهب الدِّينيَّة في المسيحية تكاد تكون أديانا متباعدة، يكفر بعضها بعضا، ومع هذا اصطلحوا فيما بينهم. بل اصطلح المسيحيون مع اليهود، وأصدروا وثيقة منذ سنين تبرئ اليهود من دم المسيح. الشيوعيون والرأسماليون على ما بينهم من خلاف أيديولوجي جعلوا فيما بينهم سياسة التعايش السلمي، وسياسة الوفاق.

وهكذا نجد النَّاس على اختلافهم في الدين أو في الأيدولوجية أو في السياسة يحاولون أن يجمعوا صفوفهم، إلَّا نحن المسلمين، منذ سقطت الخلافة العُثمانيَّة، آخر ظلة للتجمع تحت راية العقيدة الإسلاميَّة، لم يستطع المسلمون أن يقيموا فيما بينهم وحدة، أو على الأقل تضامنا حقيقيا، يجعل منهم أمة واحدة، تقف في الأزمات كالبنيان المرصوص.

إنَّ اليهود يفكرون في هدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان عليه، هل يخافون من الألف مليون؟ جربوا قبل ذلك، أحرقوا المسجد

(١) سبق تخريجه صـ٦٨، وفيه: «لا، بل أنتم يومئذ كثير».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأقصى، فماذا حدث؟ بعض احتجاجات، وبعض المظاهرات، ولم يفعل أحد شيئا. دخل رجل إلى المسجد الأقصى وذبح النَّاس ذبحا وأطلق النار، فماذا حدث؟ ذهبت فلسطين، فماذا حدث؟ قتل المسلمون في أسام في الهند، يقتل المسلمون في بلاد كثيرة، أين الألف مليون، أين الأمة؟

المسلمون أمة واحدة لا أمم شتى:

ربنا سماهم أمة، ليسوا أمما، من يقل: إنهم أمم إسلاميَّة فهو مخطئ، هي أمة واحدة، شعوب إسلاميَّة لأمة واحدة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فهي أمة ربها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد، وعقيدتها واحدة، وشريعتها واحدة، وقبلتها واحدة، ومصيرها واحد، وآلامها واحدة، وآمالها واحدة. أين هذه الأمة؟

لم نستفد من قوتنا البشريَّة:

لم نستفد من عددنا، من قدرتنا البشريَّة، حتَّى في البلاد الَّتي يعيش المسلمون فيها أقليات رأيتهم مختلفين، أرى الأقليات في أنحاء الدُّنْيا تتماسك فيما بينها، يجمعهم الشعور بأنَّهم قلة في مقابل كثرة، ولكن للأسف أجد المسلمين في بلاد يكونون فيها أقليات يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا جدا، حتَّى الَّذين يعملون في الحقل الإسلامي، الجماعات الدِّينيَّة أراهم يهدم بعضهم بعضا، ويعمل بعضهم على نقض بعض، ويتهم بعضهم بعضا، هذه الجماعة تتهم تلك. حتَّى بعض الَّذين يعملون للإسلام يتهمون دعاة الإسلام، وعلماء الإسلام، كيف يكون العمل للإسلام وأنت تكيد لأخيك أو تتهمه؟ متى يفيق المسلمون؟

QaradawiBooks.com

يجب أن نقف صفا واحدا، في مقاومة القوى الإلحادية والتنصيرية في العالم، هناك عدو مشترك، يجب أن ننسى الخلافات الجزئية لنقف صفا واحدا، يجب أن نتجرد من حظوظ أنفسنا، ومن أهوائنا، ومن خلافاتنا الصغيرة، ونقف مع القضيَّة الكبرى، قضيَّة الوجود الإسلامي، قضيَّة أن يبقى هذا الدين أو لا يبقى.

لم نستفد من كثرتنا للأسف، الاتحاد يقوي القلَّة، والتفرق يضعف الكثرة. القلَّة إذا اتحدت قويت، والكثرة إذا تفرقت ضعفت: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. لم نستفد من قوتنا العدديَّة.

لم نستفد من قوتنا المادِّيَّة والاقتصاديَّة:

ولم نستفد من قوتنا المادِّيَّة، الثروات الَّتي نملكها لم نستفد منها، بلاد المسلمين بلاد خصبة زراعية، ومع هذا يستورد المسلمون نحو نصف قوتهم أو أكثر. لو كفَّ الآخرون أيديهم عنا لم نجد ما نأكله، هذا في القوت، فما بالكم بالأشياء الأخرى؟ السلاح الَّذي ندافع به عن أنفسنا، حتَّى الآن لم نصنعه بأيدينا، طالما قلت: إن أمة سورة الحديد، لا تعرف كيف تصنع الحديد! يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فيه بأس شديد إشارة إلى الصناعات الحربية، ومنافع للناس إشارة للصناعات المدنية. ونحن لم نحسن لا الصناعة الحربية ولا الصناعة المدنية. وعشنا عالة على غيرنا في هذا وذاك. كيف ندافع عن أنفسنا، كيف نعيش إذا لم نحسن استغلال ثرواتنا الزراعية ولا المعدنية؟

إن معظم أموالنا أرصدة في بنوك خارجية، هل نملكها حقيقة، هل نستطيع أن نأتي بها متى شئنا، أم هم الَّذين يتحكمون فيها؟ ولماذا لا نستغلها في أرض الإسلام وبلاد المسلمين؟

QaradawiBooks.com

لم نستفد من قدرتنا الاقتصاديَّة. يمكن أن يتكامل اقتصاد إسلامي، لو أنَّ الشعوب الإسلاميَّة أقامت فيما بينها تكاملا، بحيث يقوي كل منهم صاحبه، تكامل في الزراعة والصناعة والتعدين والمؤسسات، حيث يقوم اقتصاد قوي يكتفي بذاته، ويستغني بنفسه، لا يستطيع بلد واحد أو مجموعة بلاد صغيرة أن يعيش وحده في عصر التكتُّلات الضخمة. رأينا أوربا تقيم سوقا مشتركة لعمالقة الاقتصاد من الدول المتقدمة، لم تكتف دولة منها أن تعيش وحدها، ولكنهم فيما بينهم أقاموا هذه السوق، كما أقاموا أحلافا عسكريَّة أقاموا أحلافا اقتصاديَّة، أمَّا نحن فهذا هو حالنا.

لم نحسن الاستفادة من قوتنا الرُّوحيَّة:

القوة الرُّوحيَّة الَّتي نملكها، قوَّة هذا الدين العظيم الَّذي أكرمنا الله به وأتم به علينا النعمة، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. هل عشنا للإسلام؟ وهل عشنا بالإسلام؟ وهل طبقنا الإسلام على أنفسنا تطبيقا حقيقيا؟ هل أحسنا فهم هذا الإسلام؟ لو أحسنا فهم هذا الإسلام لأحسنا فهم أنفسنا، وعرفنا عيوبنا، واشتغلنا بإصلاحها، وغيرنا ما بأنفسنا ليغير الله ما بنا، فإنه يستحيل أن يغير الله أحوالنا ما دامت نفوسنا كما هي، ما دمنا قد تخلقنا بأخلاق وصفات اليهود القديمة.

نحن واليهود:

وصف الله ﷻ اليهود بأنَّهم: ﴿أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة: ٩٦]. أصبحنا نحن الحريصين على الحياة، وتغيروا هم فأصبحوا يجودون بالحياة، بنين وبنات، رجالا ونساء. كانوا بخلاء بالمال، فأصبحوا يجودون بالملايين من أجل إقامة إسرائيل، وبقاء إسرائيل.

QaradawiBooks.com

وصف الله اليهـود بقوله: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]. أصبح هذا الوصف منطبقا علينا نحن. وصف الله المسلمين من أصحاب رسـول الله ﷺ بقولـه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]. أمَّا نحن فكأنما انعكست الآية فينا، فنحن أشداء على أنفسنا رحماء بغيرنا.

أين نحن من الإسلام؟

أين نحن من فهم الإسلام، لو فهمنا الإسـلام لفهمنا أنفسنا، لفهمنا دنيانا، وماذا تسـتحق منا! لفهمنا عصرنا، وماذا يريد منا؟ نحن لم نفهم الدين ولم نفهم الدُّنيا معا. الدُّنْيـا تحتاج منا إلى علم، إلى تكنولوجيا، إلى تقدم حقيقي، ولكن هل فهمنا نحن؟ نحن لا نزال نعيش في أوهام، ولا نزال نعيش في أنانية، كل منا يعيش لنفسه فقط.

انظروا إلـى تلك الأيَّام الماضيـة القريبة، حينما كانـت هناك بقعة الزيت، كان الأولى بالناس أمام هذه الكارثة أن يقرعوا باب الله ويقولوا: ربنا اغفر لنا وارحمنا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. كان على النَّاس أن يتوبوا إلى الله ويسـتغفروه، ولكن النَّاس نسوا ذلك. مع أنَّ المؤمن سـاعة البأساء والضراء عليه أن يرجع إلى ربه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]. ولكن أناسا بدؤوا يفكرون في الرحيل من البلـد، وآخرين بدؤوا يخزنون المياه، قـال لي بعضهم: إن أحدهم اشـترى مائة (كرتونة). وقال لي البعض: بل واحد اشترى ألف (كرتونة) من المياه. لم هذا كله، تريد أن تشرب ويبقى النَّاس ظمأى، ثمَّ استغل التجار هذا فأغلوا الأسعار!

QaradawiBooks.com

أين نحن من ديننا؟ نحن لم نفهم ديننا كما ينبغي، لا تفعل هذا أمة متحضرة من الأمم الكافرة، لا يفعلون مثل هذا، فكيف ونحن المسلمون؟ أين الأخوة؟ أين الإيثار؟ أين من وصفهم الله بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]؟!

يا أيُّها الإخوة، عندنا قدرات، عندنا طاقات، عندنا قوى عظيمة، عندنا القوَّة البشريَّة العدديَّة، ألف مليون، عندنا القوَّة الماليَّة الاقتصاديَّة في أعظم بلاد الله، عندنا بعد ذلك القوَّة الرُّوحيَّة، عندنا عقيدة الإسلام ورسالة التوحيد، وعندنا تراث الإسلام، وعندنا القرآن والسُّنَّة وسيرة مُحمَّد ﷺ. عندنا هذا كله ولكنَّنا لم نستفد منه، لم نحسن الانتفاع به، ولهذا تغلب علينا غيرنا.

تجمع اليهود وتفرقنا:

اليهود تجمعوا على دينهم، وتفرقنا نحن عن ديننا، تجمعوا على باطلهم، وتفرقنا نحن عن حقنا، جاء اليهود من بلاد شتَّى، تركوا أموالهم وعقاراتهم وتجاراتهم، وهم كما تعلمون يعيشون في بلاد مختلفة، أصحاب المال، وأصحاب النفوذ والقدرة، تركوا هذا كله من أجل دينهم، من أجل عقيدتهم، من أجل أرض الميعاد، من أجل وعد يزعمونه وعده الله لهم، ولهذا جاؤوا إلى بلادنا ليقيموا فيها دولتهم.

نحن أولى أن نتمسك بديننا، إذا كانوا يتمسكون باليهودية، فنحن أولى أن نتمسك بالإسلام، إذا حاربونا بالتوراة، حاربناهم بالقرآن، إذا حاربونا بالتلمود، حاربناهم بالبخاري ومسلم، إذا كانوا يحاربوننا تحت اسمه إلههم (يهوه)، نحاربهم بسم الله رب العالمين، إلهنا وإله العالمين.

QaradawiBooks.com

نحن أولى أن نتمســك بديننا، فمتى نفيق من ســكرتنا، متى نرجع إلى ربنا، متى نستمســك بالعروة الوثقى؟ حينما نفعل ذلك ثقوا بأنَّ النصر سيكون لنا، وأن أحدا لا يســتطيع أن يقتلعنا من أرضنا مهما حاول، من تنصير أو تبشير أو غير ذلك لن يستطيع، كل ما علينا أن نعود إلى ربنا، أن نعود إلى أنفسنا، أن نعود إلى ديننا، أن نتوب إلى ربنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

غير مرخص للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

مشروع الصندوق العالمي الإسلامي:

حدَّثتُكم في الأسبوع الماضي عن المشروع الإسلامي الكبير، الَّذي عاهدت الله تعالى على الدعوة إليه، حتَّى يقوم ويستوي على ساقه: (مشروع الصندوق العالمي الإسلامي)، لإغاثة المسلمين حيثما كانوا، لإطعام الجائع، لكسوة العاري، لعلاج المريض، لتعليم الجاهل، لتشغيل العاطل، لتدريب العامل، لإيواء المشرد، لرعاية اليتيم، لنجدة الملهوف. هذا الصندوق ندعو إليه حتَّى يكون موردا للمسلمين في كل مكان، وللإسلام حيثما ارتفع أذانه، للدفاع عن الإسلام أمام الهجمات الشرسة الَّتي يتعرض لها من أعدائه، سواء كانوا ملحدين أو كتابيين أو غير هؤلاء وهؤلاء. دعوت إلى هذا الصندوق، والحمد لله أجد تجاوبا من كل من بلغه هذا الصوت، من كل من يغار على الإسلام، ومن كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

اتصل بي الإخوة من الكويت أوَّل أمس، وقالوا: الحمد لله قد بدأنا في التنفيذ، فتح حساب في بيت التمويل الكويتي لهذا الصندوق، حساب مبدئي بدأ بمليون دولار، دفعها أحد الأخيار الكويتيين، كان قد وعد بها من قبل، وقال: إنَّ النَّاس يريدون أن ينجز هذا المشروع، ونحن الآن نحضر له بتنظيم وصيغة قانونية لهذه المؤسسة الخيريَّة الإسلاميَّة العالمية، أين تكون، وكيف تكون؟ نحن الآن نعد لهذا، ونرى أي بلد إسلامي يقبل أن يقوم فيه مثل هذا المشروع، الَّذي لا ينتسب إلى فرد

QaradawiBooks.com

ولا إلى جماعة ولا إلى هيئة ولا إلى بلد، إنَّما ينتسب إلى الأمة الإسلاميَّة، وهو ملك الأجيال الإسلاميَّة جميعا.

نحن إن شاء الله مستبشرون بالخير، وهنا في قطر تحدثت إليكم في الأسبوع الماضي، وتحدثت في برنامج (هدي الإسلام)، وكل الَّذين سمعوا هذا في قطر يقولون: نحن معك في هذا الأمر. قلت لهم: المشروع ليس مشروعي، هو مشروع المسلمين جميعا. وقد لقيت عددا من النَّاس، وكلهم رحبوا، وقالوا: نحن معك بالمال، والنفس، والرأي، والجهد. وكثير من الشباب أبدوا رغبتهم بالتطوع لهذا العمل.

برقية تأييد من وزير التربية والتعليم:

ومما ينبغي أن أذكره لكم، برقية جاءتني من رجل مسؤول في هذا البلد، هو الشيخ مُحمَّد بن حمد آل ثاني وزير التربية والتعليم، قال فيها:

«فلقد سرنا وأثلج صدورنا ما اقترحتموه فضيلتكم في برنامج (هدي الإسلام)، بشأن إنشاء صندوق مالي لدعم الإسلام، والدفاع عن مصالح وقضايا المسلمين، وإننا إذ نؤيد اقتراحكم هذا، لنشد على أيديكم معاضدة ومؤازرة.

نرجو الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعا لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يسدد على دروب الخير خطاكم، لتظلوا مدافعين عن دين الله، وليبقى الدين دائما عند الله الإسلام. مُحمَّد بن حمد آل ثاني».

هذه برقية نعتز بها.

وقد لقيت الشيخ خالد بن حمد وزير الداخلية، فأبدى استعداده بكل ما يستطيع لتأييد المشروع، ورجال كثيرون. نحمد الله أنَّ المسلمين

QaradawiBooks.com

بخير، إنَّما يحتاجون إلى من يفجر الطاقات، ولعل هذا بداية عمل إيجابي للمسلمين، فقد ظللنا دهورا نجتمع فنتشاكى الهموم، ونتباكى على الأحزان، ولا نتحدث إلَّا على الآلام، ولا نقدم عملا إيجابيا، ولا نتقدم خطوة إلى الأمام.

نرجو أن يكون هذا المشروع بداية خير، وسأحدثكم أولا بأول عما يجدُّ فيه، وحينما نفتح حسابا له، سندعوكم، وسندعو كل مسلم ومسلمة في هذا البلد، الكبير والصغير، والرجال والنساء، سندعوهم إلى المساهمة في هذا المشروع، وستقوم إن شاء الله راية الإسلام في الأرض، وما ذلك على الله بعزيز، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ ـ ٦].

اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا، واجعل غدنا خيرا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

* * *

QaradawiBooks.com

١١
رسالة الأمَّة الإسلاميَّة(١)

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

يا أبناء مدينة القيروان، المدينة التاريخيَّة، المدينة الإسلاميَّة، لتونس، وللمغرب كله، وللأندلس، المدينة الَّتي بناها الفاتح الإسلامي الصالح عقبة بن نافع، الَّذي دخل هذه الأرض، وكانت مليئة بالسباع والأفاعي، والعقارب والدواب؛ فخاطبها وقال: نحن باقون هنا فارحلوا عنا(٢). قالها ثلاثًا، وبعدها رأى النَّاس هذه السباع والأفاعي والعقارب والدواب تخرج من هذه الأرض وتتَّجه إلى غيرها، هذه المدينة الإسلاميَّة المباركة أنتم أهلها.

لقد سعدت بزيارة هذه المدينة مرة قبل ذلك، حينما دُعيت لأشارك في احتفال اختيارها عاصمة للثقافة الإسلاميَّة، ولم يكن لي هناك كلام، كنت ضيفًا، والآن جئت كواحد من أهل البلاد، فأنا منكم ولكم، وبكم

(١) ألقيت في مسجد عقبة بن نافع بمدينة القيروان في تونس، يوم الجمعة ٤ مايو ٢٠١٢م.
(٢) سير أعلام النبلاء (٥٣٣/٣)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وإليكم، جئتُ إلى القيروان، وجئتُ إلى تونس لنتحدَّث بعد الثورة المباركة الَّتي كانت بداية الثورات العربيَّة كلها، كانت ثورة تونس هي القدوة لكل الثورات، والفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، اقتدت بها ثورات أخرى، ولكن تونس لها الفضل، ولها الأوَّليَّة.

جئنا لنحيِّي الإخوة في تونس، ونبارك لهم، ونشدَّ أزرهم، ونقوِّي ظهرهم، ونقول لهم: نحن معكم، وكل العرب معكم، وكل المسلمين معكم، وكل الأحرار الشرفاء في العالم معكم، فعليكم أن تقوموا بما يجب عليكم نحو ثورتكم، بأن تُحيوا رسالة هذه الأمَّة الَّتي ننتسب إليها.

الأمَّة الإسلاميَّة:

ونحن ننتسب إلى أمَّة الإسلام، أمَّة القرآن، أمَّة مُحمَّد ﷺ، الأمَّة الَّتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

الشُّعَبُ الثلاث لرسالةِ الأمَّة:

هذه الأمَّة لها رسالة، كما أنَّ للفرد رسالة، أن يعرف الله ويعبده، ويُزكي نفسه، ويصلح غيره، وكما أنَّ للأسرة رسالة، أن تتبنى المنهج الشرعي في تأسيس عقد الزواج، وتُنجب الأبناء والبنات، وتربيهم على الإسلام، وعلى فعل الخير، وعلى خدمة المجتمع، وكما أنَّ للمجتمع

QaradawiBooks.com

رسالة، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتواصى بالحق وبالصبر، ويتعاون على البر والتقوى.

كذلك للأمَّة رسالة، الأمَّة الكبرى الَّتي تشمل المسلمين جميعًا: لها رسالة حدَّدها الله تبارك وتعالى في آخر سورة الحج بقوله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ**﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

هاتان الآيتان تمثلان رسالة أمَّة الإسلام، يخاطبهم الله بلغة الجماعة: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾. لا يوجد في القرآن: يا أيُّها المؤمن. إنَّما يوجد خطاب للجماعة: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ**﴾، ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ**﴾، ﴿**يَٰعِبَادِيَ**﴾، ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ**﴾، فهو يخاطب المجموع، هكذا يريد الإسلام، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**﴾، الَّذين رضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمَّد رسولًا، وبالقرآن، إمامًا ومنهاجًا.

١ ـ عبادة الله وحده:

﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ**﴾، أي: أقيموا الصلاة، واعبدوا ربكم، هذه هي الشعبة الأولى من رسالة الأمَّة الإسلاميَّة، أن تقيم الصلاة، وأن تعبد الله وحده، لا تعبد أحدًا آخر، الأمَّة الإسلاميَّة لا تعبد إلَّا الله.

وهذا ما نادى به رسول الإسلام الأمم جمعاء: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤]. هذا ما ندعُو إليه الأمم جمعاء: عبادة الله وعدم الإشراك به، لا نشرك مع الله مخلوقًا،

QaradawiBooks.com

لا من رجـال الدُّنْيا من الملـوك والأمراء، ولا من رجـال الدين من الأحبار والرهبان.

ليس هناك رب غير الله، ولا إلٰه غير الله، ولا ملك غير الله، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]، هـو الـرب والملك والإلٰه، لا يُعبَد غيره، ولا يُطاع غيره، ولا يُحكَّم غيره، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، هذه هي الشعبة الأولى من رسالة الأمَّة الإسلاميَّة: عبادة الله وحده.

٢ ـ فعل الخير:

والشـعبة الثانية: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فالشـعبة الأولى تحـدِّد العلاقة بالله، والشـعبة الثانية تحدِّد العلاقـة بالمجتمع، ما هي علاقة الأمَّة بمجتمعاتها؟ هي فعل الخيرات، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾، افعل الخير بكلِّ بما تستطيع، بـكلِّ ما تقدر عليه، بيدك، بلسـانك، بقدمك، بجوارحك، بعقلك، بقلبك، افعل الخيـر، كل الخير، وإذا لم تستطع أن تفعل الخير بنفسك تعاون مع غيرك، وإذا لم تقدر على فعل الخير انْوِ الخير.

ولا تفعل الخيـر فقط، بل ادع إلى الخير كمـا قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وفي الحديث: «**من دَلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله**»[1]. فافعل الخير، وادْعُ إلى الخير.

والخير هو كل ما يصيب النَّاس بنفع، وكل ما يدفع عن النَّاس ضرًّا، وكل ما يُمكِّن النَّاس من أن يحقِّقوا أهدافهم الطيبة، وكل ما يمنع النَّاس

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

من أن ينزل بهم شر في أنفسهم، وأهليهم، وأولادهم، ومَنْ يحبون، هذا هو الخيـر، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. والفـلاح أن تحقِّق ما تحب، وتسلم ممَّا تكره في الدُّنْيا والآخرة.

مطلوبٌ من الأمَّـة أن تعمل الخير في كلِّ مجـال من المجالات: مجـالات الديـن، ومجـالات الدُّنْيا، ومجـالات الفـرد، ومجالات المجتمع، ومجالات الاقتصاد، ومجالات السياسة، افعل الخير في كل جوانب الحياة.

لا تنتظر من غيرك أن يفعل الخير، الأمَّة هي الَّتي تبني نفسها، مهمة الحكومة أن تتيح للناس الحرية والإرادة ليفعلوا الخير، لا تكون ضدهم، بالعكس تفتح الطرق لهم، وتحبِّب أمور الخير إليهم، وتتركهم يفعلونه، الأمَّة هي الَّتي تبني المستقبل بسواعد أبنائها، هي الَّتي تصنع الغد، هذا ما يُراد من أمَّتنـا، خصوصًا بعد أن أتيحت لها الثـورة، وهيَّأ الله لها أن تقيمَ بناءها بنفسـها، افعلوا الخير ـ كل الخير ـ لعلكـم تفلحون، هذه علاقتها بالمجتمع.

٣ ـ الجهاد في سبيل الله:

وأمَّا علاقة الأمَّة بمـن يعاديها، بمن يضمر لها الشـر فهي الجهاد، يقـول الله تعالـى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحـج: ٧٨]. الجهـاد مطلوب من كل مسلم، ليس القتال مطلوبًا من كل مسلم، فللقتال شروطه وأدواته، عندما يُعتدى على الدولة الإسـلاميَّة، على الدين الإسـلامي، على أفراد المسـلمين، على مَنْ كان تحت يد المسلمين من أهل الذمَّة، هنا يكون القتال لدفع هذا العدوان أمرًا مشـروعًا، فـإذا لم يكن هناك عدوان؛ فليس هناك قتال.

QaradawiBooks.com

أمَّا الجهاد فهو مطلوب دائمًا، المسلم مطالَب أن يجاهد في الله في كل وقت: يجاهد نفسه حتَّى تستقيم على الحق، وتستمر على الخير، وتبتعد عن الشر، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]، ولذلك تحتاج إلى جهاد النفس.

وهناك الجهاد في فعل الخير، وفي مقاومة الشر، أن تقف مع الَّذين يعملون بالحق، وينادون بالخير، كن دائمًا مع أهل الحق، لا تكن ضدَّهم، لا تكن مع أهل الباطل، إيَّاك إيَّاك أن تكون ضد أهل الحق.

يريد الإسلام منك أن تحمل الحق، وأن تكون مع الَّذين يدافعون عن الحق، لا تظلم، ولا تكن مع ظالم، فمن كان مع ظالم فهو قد ظلم، ومن كان مع أهل الحق أصبح منهم، فلا بدَّ من الجهاد في سبيل الله.

والنبي ﷺ يقول: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أمَّة قبلي إلَّا كان له من أمَّته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثمَّ إنَّها تخلُف من بعدهم خُلُوف: يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤْمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خَرْدل**»(١). فلا تكن مع الظلمة، مع الَّذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه، مع الَّذين يحرِّفون رسالات الله، لا تكن معهم أبدًا، قاومهم، قل لهم: لا. جاهدهم بيدك، إذا كان هناك جهاد باليد، وطلب الجهاد باليد، وإذا لم تستطع أن تجاهدهم بيدك؛ فجاهدهم بلسانك، قل كلمةَ الحق، لا تخف من قول الحق وإن كان مُرًّا، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، فإذا لم تستطع أن تقول كلمة الحق غيِّر المنكر بقلبك، كما قال

(١) رواه مسلم (٥٠)، وأبو عوانة (٩٨)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

النبي ﷺ: **«من رأى منكم مُنْكَرًا فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يســتطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[١].

كثيرًا ما يتــراءى لنا المنكر في بعض الأشــياء مثل الزنى وشــرب الخمر وقتل النفوس، هــذه من المنكرات يقينًا، ولكــن منكرات كثيرة يمارســها النَّاس ولا ينكرها المســلمون، كالذين يزوِّرون الانتخابات، والذين يفسدون الحياة السياســية، والذين يجورون على النَّاس، والذين يأكلون أموال النَّاس بالباطــل، والذين يضيعون حقــوق الغير، والذين يتركون العمال ولا ينصفونهم، الَّذين لا يُهيِّئون للعاطل عملًا، ولا للجائع خبزًا، ولا للتلميذ مدرسة، ولا للمريض مستشفى، ولا للمحتاج كفالة، هؤلاء يرتكبون منكرات كبيرة، وجرائم فظيعة، ولكنَّنا لا نقاومهم.

والإسلام يأمرنا أن نقاوم كلَّ منكر، ونجاهد في سبيل الله، وألا نكون من الَّذين يخافون أبدًا، وعلام نخاف؟ يخاف النَّاس على آجالهم وعلى أرزاقهم، مع أنَّ أحدًا لا يســتطيع أن يُقدم أجلــك أو يؤخِّره ولو لحظة واحدة، ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]، ولا يســتطيع أحد أن يأخذ من رزقك فَلْسًا واحدًا، أو يأكل منه لقمة واحدة، سيأتيك رزقك رغم أنف النَّــاس جميعًا، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. هذا ما نريد أن نعلمه للأمة.

رســالة الأمَّة الإســلاميَّة: أن نكون مع الله سبحانه وتعالى بالصــلاة والركوع والســجود والعبــادة الخالصــة، لا نعبــد إلَّا إيَّــاه، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، وأن نكون مع المجتمع بفعل الخير، كل الخيــر، نؤمن به، وندعو إليــه، وننويه في

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

أنفسنا إذا لم نستطعه، هذا هو شأن المسلم دائمًا، الخير شيمته، والخير غايته، والخير وجهته، والخير عمله، والخير نيَّته، وأن نكون مع أعداء الإسلام والذين يفكرون في الشر؛ بالجهاد في سبيل الله، ولا نخاف لومة لائم.

هذه هي رسالة الأمَّة المسلمة، ليست رسالة عدوان على أحد، فالأمَّة الإسلاميَّة، أمَّة القرآن، أمَّة مُحمَّد ﷺ لا تعتدي على أحد، إنَّها أمَّة مسالمة، ليست أمَّة عدوانيَّة، لا تعتدي على فرخ صغير، ولا على هرة، وفي الحديث: «**دخلت امرأةٌ النار في هرَّة حبستها، فلم تُطعِمْها، ولم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض**»[1].

ودخل رجل الجنَّة في كلب، كما في الحديث أنَّ رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خُفَّه، فجعل يغرف له به حتَّى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنَّة[2]. فلا يجوز أن تؤذي هرة، أو تؤذي كلبًا.

وقال النبيُّ ﷺ: «**ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء**»[3]. ووصف الله تعالى رسالة النبي ﷺ بأنها رسالة الرحمة فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فكونوا هذه الرحمة، مَثِّلوا هذه الرحمة للعالم كله، كونوا رحمة الله للمسلمين، ولغير المسلمين، للمؤمنين والكافرين، والأبرار والفجار، أنتم رحمة الله بهذا الإسلام.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.
(٢) رواه البخاري في الوضوء (١٧٣)، عن أبي هريرة.
(٣) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وصحَّحه. ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في هذا البلد، وفي هذه المدينة، ويبارك في هذه الولاية، ويبارك في تونس، ويبارك في العرب والمسلمين جميعًا، ويُهيِّئ لهم من أمرهم رشدًا، ويجعل يومهم خيرًا من أمسهم، وغدهم خيرًا من يومهم، إنَّه سميعٌ قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم؛ وادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

غير مخصص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لقد حضرنا من قطر مع إخوة يمثلون بلاد العرب وبلاد الإسلام، فيهم عدد من البلاد العربيَّة، وفيهم من باكستان، وفيهم من الصين، يمثِّلون بلاد الإسلام جميعًا ليزوروا تونس الحبيبة، تونس الشقيقة، تونس بعد أن حرَّرتها الثورة الحرة، الثورة العربيَّة، الثورة الإسلاميَّة، الثورة الإنسانيَّة، الثورة المؤمنة، الثورة الأخلاقيَّة.

جئنا لنَشُدَّ على أيدي إخواننا، ونقول لهم: نحن معكم، وكل العرب معكم، وكل المسلمين معكم، وكل الشرفاء في العالم معكم، كل من يؤمن بالأخلاق والفضيلة والقيم معكم، فسيروا أيُّها الإخوة على بركة الله، معكم ثورات عربيَّة، انتصر بعضها، ومَنْ بقي منها سينتصر إن شاء الله.

انتصرت ثورة مصر، وانتصرت ثورة ليبيا، وانتصرت ثورة اليمن، وستنتصر إن شاء الله، وبعون الله، وبإذن الله ثورة سوريا، سينتصر الحقُّ على الباطل، وسينتصر العدل على الظلم، وسينتصر الإيمان على الكفر، وستنتصر الشعوب على الطغاة الفراعنة الوحوش، بل إنَّ الوحوش لا تقتل النَّاس إلَّا إذا كانت جائعة، وهؤلاء يقتلون النَّاس، وسينصر الله سبحانه وتعالى أهل سوريا على هؤلاء.

كل هذه الثورات معكم أيُّها الإخوة، كلها مع تونس، وثقُوا أنَّ الله سبحانه وتعالى معكم، وأن كل المؤمنين معكم، وكل الأخيار معكم، فكونوا أنتم أيضًا مع إخوانكم، شُدُّوا أزرهم، واسندوا ظهورهم، احموهم من عبث العابثين وإجرام المجرمين.

QaradawiBooks.com

نحن لسنا ضد أحد، لا نعادي أحدًا، نحن نمدُّ أيدينا للناس جميعًا، نحن إخوة لكم، نحبكم فأحبونا، نريد الخير لكم فأريدوا الخير لنا، لسنا أعداءً إلَّا لأعداء الأمَّة، لأعداء الإسلام، لأعداء الله ورسوله، أمَّا كل النَّاس فهم إخوتنا، حتَّى المخطئون منهم، نسأل الله أن يصحِّح لهم خطأهم، وأن يهديهم سبلهم، وأن يردهم إلى رشدهم.

نحن أيُّها الإخوة لا نريد لهذه الأمَّة إلَّا الخير، والخير كل الخير أن يجتمع بعضهم مع بعض، أن يرد أحدهم نفسه إلى أخيه، ويقول له: أنت أخي وأنا أخوك، أنت مني وأنا منك، نحن معًا يجب أن نتواصى بالحق والصبر، يجب أن نتعاون على البر والتقوى، أنا ضعيفٌ بنفسي قويٌّ بأخي، ويجب أن يقوى كل أحد بأخيه، لا أن يضعف بضعف أخيه، أو يُضعف أخاه، إذا أضعفت أخاك فقد أضعفت نفسك، وأضعفت مجتمعك، وأضعفت الأمَّة كلها، وفي هذا شر على الإنسانيَّة.

جاء الإسلام إلينا ليأمرنا بأن نتَّقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أنفسنا، وأن نكون عاملين بالفضائل وبالأخلاق، أخلاقيين في كل ما نعمله، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، والمقصود بالكفار العدوانيون منهم، فليس كل مَنْ كفر بمُحمَّد نكون أشدَّاء عليه، لا، بل هو الكافر الَّذي يؤذي المؤمنين، الَّذي يؤذي النَّاس، ويضمر لهم الشر، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، فنحن ضد الظلم، ولسنا ضد العدل أبدًا.

أسأل الله تعالى أن يُهيِّئ لنا من أنفسنا كل أسباب الخير، وأن يجمع هذه الأمَّة على أسباب الرشد، اللهم قوِّ هذه الأمَّة واجمع كلمتَها على الهدى، وقلوبَها على التُّقى، ونفوسها على المحبة، ونيَّاتها على الخير، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

QaradawiBooks.com

١٢
ضرورة العودة للإسلام الصحيح

غير مرخصة للطباعة

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

طاقات الأمة الإسلاميَّة ومواردها:

تحدَّثنا عن أمتنا المسلمة، وما حباها الله من طاقات، وما وهبه لها من إمكانات، فهي تملك القوَّة البشريَّة: ألفًا ومائتي مليون من البشر!

وتملك القوَّة المادِّيَّة الاقتصاديَّة: ثروات في باطن الأرض مذخورة، وأخرى على ظهرها منشورة، معادن ونفطًا وأراضي خصبة ومياهًا وأنهارًا!

تملك القوَّة الحضارية، تملك الامتداد الحضاري التاريخي، فهذه الأمة تعيش وارثة لبلاد الحضارات كلها، تعيش في مهد الحضارات ومهبط الرسالات، تعيش في منبت المدنيات والحضارات!

ثم هي تملك من الناحية الجغرافيَّة سرة الأرض، أعظم المواقع بين القارات المختلفة!

وهي من ناحية أخرى تملك أعظم قوَّة روحية، تملك الرسالة العظيمة، الرسالة الخاتمة، الرسالة العامة رسالة مُحمَّد ﷺ، الَّتي لن يسعد النَّاس في المشرق والمغرب إلَّا بها.

QaradawiBooks.com

ضعف الأمة رغم هذه الطاقات:

الأمة الإسلاميَّة تملك هذه الطاقات، وتملك هذه الموارد، وتملك هذه القوى المختلفة والمتنوعة؛ ولكنها تعيش وراء الأمم، تعيش عالة على غيرها، يتحكم فيها الآخرون ولا تتحكم في أحد، تجرأ عليها الجبناء، وتعزز عليها الأذلاء، وطمع فيها من لم يكن يدفع عن نفسه، حتَّى الَّذين كانوا في حضانتها وحمايتها مثل اليهود الَّذين طردوا من أنحاء العالم، ولم يجدوا دارًا إلَّا دار الإسلام، ولا كهفًا يأوون إليه إلَّا بلاد الإسلام، حتَّى هؤلاء قلبوا لهذه الأمة ظهر المِجن، وأصبحوا أعداءً لها، وباتوا يصفعون تلك الدولة، ويركلون تلك الأخرى! هذه هي حال المسلمين!

أحداث تدمي القلوب:

واليوم نرى أحداثًا في كل مكان، كلها تُدمي القلوب، كلها تفري الفؤاد، وتقطع نياط الأكباد، أخبار الإخوة في البوسنة والهرسك، أخبار الإخوة في جامو وكشمير، أخبار المشردين في بورما، أخبار المضيَّعين والجوعى في الصومال، أخبار الإخوة المُقَاتلين في الفلبين!

وقبل ذلك كله أخبار الإخوة في فلسطين، في أرض النبوات، في المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، ماذا يصنع بهم اليهود؟ ماذا يصنع بهم الصهاينة؟ قتلى وجرحى كل يوم فماذا صنعت الأمة؟ الألف أو الأكثر من الألف من الملايين ماذا صنعوا؟ لم يصنعوا شيئًا، أصبح أمرنا يقضي فيه غيرنا، كما قال الشاعر قديمًا:

ويُقْضَى الأَمْرُ حينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ... ولا يُستأذنون وهُمْ شُهُودُ[(١)]!

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٣٣٢/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار المعارف، القاهرة، ط١.

QaradawiBooks.com

هذا هو حالنا نحن المسلمين في كل مآسينا وكل قضايانا، يستصرخ المستصرخون، وتستصرخ المستصرخات من أخواتنا وبناتنا! ولكن من يُصرِخ؟ ومن يغيث؟ من يلبي دعوة المستغيث المستصرخ المهضوم المظلوم؟

حينما قالت المرأة قديمًا: وامعتصماه! قال لها المعتصم العباسي: لبيكِ أختاه لبيكِ. وجيَّش الجيوش لنصرتها، وكانت معركة «عمُّوريَّة»، أمَّا الآن فأمرنا كما قال الشاعر العربي السوري:

رُبَّ وا معتصماه انْطَلَقَتْ ... مِلْءَ أَفْوَاهِ الصَّبَايَا اليُتَّمِ
لامستْ أسماعَهم لكنَّها ... لم تلامسْ نَخْوَةَ المُعْتَصِمِ[1]

كم من قائل وا معتصماه! وكم من قائل وا إسلاماه! كم من مستصرخ ومستصرخة! ولكن أين المعتصم الَّذي يغيث ويُصرِخ، ويجيّش الجيوش؟!

الأمة الإسلاميَّة تملك الكثير من القوى والإمكانيات والطاقات؛ ولكنها لا تستطيع أن تستفيد منها، طاقات معطلة وإمكانات لم تستغل، وقوى ضائعة مادِّيَّة ومعنوية، هذه هي حالنا، وأصبحنا نتطلع إلى غيرنا، انشغل النَّاس بالانتخابات الإسرائيلية من الَّذي سينجح؟ أهو شامير أم رابين؟ وشامير كرابين، كلهم سواء.

وَلَيْسَ فيهم مِنْ فتًى مُطِيعِ ... فلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الجَمِيعِ[2]

---

(١) ديوان عمر أبو ريشة (١٠/١)، قصيدة: بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.
(٢) القائل أبو زيد عبد الرحمن بن سعيد الأخضري المالكي في منظومته: الجوهرة القدسية.

QaradawiBooks.com

وهم كاذب:

ومن قريب انشغل النَّاس بمعركة الانتخابات في أمريكا: أينجح بوش أم ينجح كلينتون؟ وما بوش وما كلينتون؟ قد تتغير السياسة الداخلية، أمَّا السياسات الخاصة بنا فليس يرسمها فرد ولا رئيس: الخطوط واضحة، والأسس ثابتة، والإستراتيجية لا تتغير، ماذا يهمنا نجح هذا أو رسب ذلك؟ نحن مشغولون بغيرنا، ويبدو أن عندنا إحساسًا بأنَّ الآخرين هم الَّذين يرسمون لنا السياسة، فلا بدَّ أن نُعنى بمن ينجح ومن يسقط.

كيف تستفيد الأمة من طاقاتها؟

الأمة الإسلاميَّة تملك الكثير والكثير، ولكنها لا تستطيع أن تستفيد من قواها وطاقاتها إلَّا بشرطين:

الشرط الأول: أن تستمسك بعروة الإسلام الوُثْقى، أن تتشبث بالإسلام، أن تحيا بالإسلام وللإسلام، أن يكون الإسلام محور حياتها، أن يكون القرآن دستورا لها، أن تكون السنة منهاجًا لفكرها وسلوكها، أن ترجع إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، أن تكون للقرآن الكريم وللسنة المرجعيَّة العليا في كل ما تدع وما تذر.

هذه الأمة أمة مسلمة لا يمكن أن ترتقي إلَّا بالإسلام، إذا تخلت عن الإسلام تخلت عن أساس حياتها، فأصبحت تمثالًا بلا روح، أصبحت جثة هامدة، إنَّما تحيا الأمة وتنفخ فيها الروح إذا تمسكت بإسلامها، واعتزت به، وغالت به، وقالت إنَّنا من المسلمين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

QaradawiBooks.com

الإسلام هو الَّذي يرفع من قدر هذه الأمة، هو صانع تاريخها، وباني مجدها، والَّذي جعل لها ذكرًا في الأولين والآخرين!

غير مرخصة للطباعة

الأمة بغير الإسلام لا شيء:

ماذا كانت هذه الأمة بغير الإسلام، لم تكن شيئًا مذكورًا في الأمم، الإسلام هو الَّذي جعل منها شيئًا مذكورًا، جعل منها رعاة الأمم بدل رعاة الغنم، ولن تكون هذه الأمة شيئًا مذكورًا فيما بعد بغير الإسلام، رضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الَّذي ذهب إلى الشام بدعوة من بطريرك القدس الَّذي قال: لن أسلم مفتاح القدس إلَّا للخليفة، فذهب عمر، وقابله الأمراء والقادة، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح، وفي الطريق قابلته مخاضة، فإذا بعمر يشمر عن ساقيه، ويخلع نعليه، ويخوض هذا الماء وهذا الوحل، لا يبالي بالمظهر، ولا يبالي بالأُبهة والشكل، فيقول له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين ليتك لم تفعل هذا! هذه بلاد تهتم بالمظاهر، فقال له: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة لجعلته نكالًا لأمة مُحمَّد! يا ابن الجراح إنَّا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلنا الله.

كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، لم تكن لنا قوَّة الفرس ولا قوَّة الروم، ولا حكمة الهند ولا صنعة الصين، لم يكن لنا تشريع الرومان، ولا فلسفة اليونان، كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلنا الله[١].

نسخة مجانية

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٨.

QaradawiBooks.com

من طلب العزة بغير الإسلام أذلَّه الله:

وهذه قاعدة مطردة، إذا طلبت هذه الأمة العزة بغير الإسلام أذلها الله، وقد رأينا في عصرنا من طلبوا العزة من طريق القوميَّة، ومن طلبوها من طريق الاشتراكيَّة، ومن طلبوها من طريق التقدمية والثَّوريَّة، ومن طلبوها من الشرق، ومن طلبوها من الغرب، فماذا جنوا؟ وعلام حصلوا؟ لم يجنوا إلَّا الخراب والدمار والهزيمة والخذلان والتفرق! لم يطعموا النَّاس من جوع، ولم يؤمنوهم من خوف، لا نزال في البلاد المتخلفة الَّتي يسمونها البلاد النامية، لم نصل إلى ما وصل إليه اليابانيون، ولا الكوريون، ولا أهل سنغافورة، ولا أهل تايوان ولا غيرهم، لا وصلنا إلى الغرب، ولا وصلنا إلى الشرق.

ماذا جنى الحكم العِلماني واللاديني في بلاد المسلمين؟ حكم الديمقراطيون الليبراليون، وحكم الاشتراكيون الثوريون، فلم يستطيعوا أن يقدموا شيئًا! هذه الأمة لا تعز إلَّا بالإسلام، لا تنتصر إلَّا بالإسلام، هذا ما جربناه طوال التاريخ!

الفترات المضيئة في حياة الأمة تقترن بالإسلام:

انظر إلى الفترات المضيئة في حياة هذه الأمة ترها الفترات الَّتي اقترب النَّاس فيها من الإسلام، وتمسكوا فيها بالإسلام، وكلما ازدادوا من الإسلام قربًا ـ سواء في الفهم أو في التطبيق ـ ازدادت قوتهم، وانتصروا على عدوهم، وازدهرت حياتهم واخضرت بعد جفاف!

هذا هو منطق التاريخ، من قرأ التاريخ بإنصاف وتأمل بدت له هذه الحقيقة واضحة لكل ذي عينين، فترة النبوة من غير شك، فترة الخلافة

QaradawiBooks.com

الراشدة، فترة عمر بن عبد العزيز، فترة نور الدين محمود الشهيد، فترة صلاح الدين الأيوبي، وهكذا.

نور الدين محمود:

كلما اقترب النَّاس من الإسلام ـ في حسن فهم وحسن تنفيذ ـ كانت حياتهم طيبة، نور الدين محمود الشهيد، ابن عماد الدين زنكي، هذا الرجل التركي الَّذي كان يسير سيرة الخلفاء الراشدين، وكان يتمنى الشهادة ويعيش على أمل الشهادة، ولذلك سمي الشهيد؛ وإن لم يُستشهد في المعركة، نور الدين محمود الشهيد هذا هو الَّذي قال كلمته الشهيرة حينما روى حديثًا مسلسلًا بالابتسام، ومعنى مسلسلًا بالابتسام أنَّ الراوي يقول عندما يروي الحديث: وقد ابتسم رسول الله ﷺ، ويبتسم الصحابي الَّذي روى الحديث، والتابعي الَّذي يروي عن الصحابي يبتسم كما ابتسم الصحابي، وتابع التابعي يبتسم كما ابتسم التابعي، وكل راوٍ يبتسم، فإن من رواية الحديث أن يتفق الفعل مع القول، فيبتسم الراوي عندما يقول: وهنا ابتسم النبي ﷺ، ويبتسم كذلك الرواة واحدًا بعد الآخر، ويسمى هذا الحديث بالحديث المسلسل، مسلسل بالابتسام، وعندما روى نور الدين محمود هذا الحديث، وقد كان الأمراء يروون الأحاديث بأسانيدها، قال له شيخه: ابتسم. أي حتَّى تكتمل صورة نقل الحديث المسلسل، قال: لا أجد الابتسام. قال له: لا بدَّ أن تبتسم؛ هذا هو شأن الحديث المسلسل. قال له: كيف أجد ابتسامًا وثغر من ثغور المسلمين محاصر! وكان الصليبيون يحاصرون دمياط، قال:

والله لا يجدني الله مبتسمًا؛ وثغر من ثغور المسلمين محاصر.

QaradawiBooks.com

انظروا، هذا هو شعور المسلم! نحن الآن نقيم الأحفال والأعياد والزينات والرايات، وننفق الآلاف والملايين، وإخوان لنا يذبحون ويقتلون ويضيَّعون في كل مكان! هذا هو نور الدين محمود: عندما حكم بلاد الشام كان المجرمون والمفسدون كثيرين يعيثون في الأرض فسادًا، ويرتكبون الجرائم، فأراد بعض الناس؛ حتَّى من أهل العلم أنفسهم أن يتدخلوا عند هذا الحاكم العادل ليأخذ على أيدي هؤلاء المجرمين وإن لم تثبت جريمتهم ثبوتًا شرعيًّا بالبينة والحُجة، بالشبهة والظَّنة.

وأوصوا أحد العلماء ـ وهو المُلّا عمر الموصلي، فقد كان من المقربين إليه ـ أن يكتب توصية إلى السلطان يطالبه فيها: ألّا يتشدد في الثبوت الشرعي للجريمة، وأن يأخذ هؤلاء المجرمين بالحزم والعزم والشدة والقسوة، حتَّى يقطع دابر الفساد في الأرض، وبعث إليه الشيخ بتوصيته، فقرأها السلطان وعجب من هذا، وقال:

حاشاي والله أن أعاقب مجرمًا لم تثبت جريمته ثبوتًا شرعيًّا، وحاشاي والله أن أُعفي مجرمًا ثبتت جريمته ثبوتًا شرعيًّا، إنِّي لو أخذت بهذه التوصية لكنت كمن يفضل عقله على علم الله ﷻ، ولو لم يكن في أحكام الشرع كفاية في إصلاح البلاد والعباد لما أنزل الله بها آخر كتبه وبعث بها خاتم رسله. ووقّع عليها وردها إلى الشيخ.

حينما قرأها الشيخ بكى، وقال: سبحان الله، لقد قال السلطان ما كان يجب أن يقوله العالم، كان الَّذي ينبغي أن يقول هذا هو أنا لا السلطان، واستغفر الله.

وهكذا حرص السلطان العادل على أن يعاقب النَّاس حسب حدود

QaradawiBooks.com

الشرع، وبينات الشرع، وبهذا وحده قطع دابر الإجرام والإفساد والظلم والعناد في الأرض، وكانت المرأة تسير وحدها لا تخاف إلَّا الله ﷻ.

صلاح الدين الأيوبي:

هذا هو نور الدين محمود، وأمَّا تلميذه وخريجه صلاح الدين الأيوبي، ذلك القائد الكردي، هذا الرجل كذلك كان من أهل الخير والصلاح، نشر السنة، وحارب البدعة، حارب ما ابتدعه أولئك العبيديون في مصر من مفاسد، حتَّى إن بعض أهل الحديث هاجر من مصر، وحتَّى كانوا يغرون بسب الصحابة ولعنهم، ويقولون: من لعن وسب، فله دينار وإردب.

صلاح الدين الأيوبي جاء بعدهم فأزال هذه البدع والمنكرات، وأقام العدل، ونشر الخير، وفتح المدارس وعلم النَّاس، وغرس فيهم روح الجهاد، وجاء بالصناع من الحدادين والنجارين وأهل الصناعات المختلفة ليصنعوا الأسلحة، ويصنعوا السفن، وهيأ النَّاس لاسترداد بيت المقدس والانتصار على الصليبيِّين، وقد كان! نصره الله عليهم وكانت معركة حطين، ثمَّ كانت معركة بيت المقدس الَّذي استرده بعد أن بقي تسعين عامًا في أيدي الصليبيِّين.

كان صلاح الدين الأيوبي يقرأ صحيح البخاري، أو يقرأ عليه شيخه صحيح البخاري، وهو في المعمعة بين الصفين، يريد أن يستمر الدرس الَّذي كان يلقيه أيَّام السِّلم حتَّى في أيَّام الحرب، يقرأ صحيح البخاري ويدرسه، ولما جاء بعض بطانته يستعديه على بعض النَّاس الَّذين غشوه في معاملة، يريد أن ينتهز قربه من السلطان ليضرب بيد من حديد على ذلك الرجل الَّذي غشه، قال له صلاح الدين: ماذا تريدني أن أصنع لك

QaradawiBooks.com

وللمسلمين قاض يحكم بينهم، والشرع مبسوط للخاصة والعامة، وأوامره ونواهيه ممتثَلة، وإنَّما أنا عبد الشرع وشِحْنته ـ أي شرطيه وجنديه ـ الَّذي ينفذ فقط، والحق يقضي لك أو عليك.

يعني أن قضاة المسلمين مستقلون بالأحكام، والشريعة هي النافذة على الجميع، من كان قريبًا من السلطان أو كان بعيدًا عنه، وقاضي الشرع هو الَّذي يحكم بالعدل على الصغير وعلى الكبير.

الإسلام الشامل:

هذا هو الإسلام الَّذي نريده في حياة المسلمين، نريد الإسلام الشامل، لا أن تأخذ من الإسلام جزءًا وتدع جزءًا، تنتقي من الإسلام ما يروق لك وتدع ما لا يروق لك، نريد الإسلام كله، إسلام العلم والعمل، إسلام الحق والقوة، إسلام العدل والمساواة، إسلام الحرية والشورى، الإسلام في كل جوانب الحياة، هو الإسلام الَّذي نريده.

لا نريد إسلامًا يعاقب المرتشي الصغير ويغمض العين عن المرتشي الكبير، ثمَّ يقال هذا هو الإسلام، من ارتشى بمائة أو مائتين، أو ألف أو ألفين قبض عليه وحوكم، ومن ارتشى بمليون أو مليونين أو بعشرة ملايين أو بعشرين مليونًا فهذا لا يناله القانون، نريد الإسلام الَّذي يعاقب اللص الصغير واللص الكبير، أمَّا أن يؤخذ اللص الصغير فتقطع يده، واللص الكبير الَّذي يسرق الملايين لا تناله العقوبة فهذا ليس من الإسلام في شيء!

رحم الله الحسن البصري، فقد كان في درسه يومًا فسمع ضجة، فقال: ما هذا؟ قالوا: سارق قبض عليه يذهبون به إلى الأمير. فقال الحسن:

QaradawiBooks.com

سارق السر يُذهب به إلى سارق العلانية. الَّذي يسرق في السر والخِفية يذهب ليحكم عليه سارق العلانية، الَّذي يسـرق علنًا جِهارًا نهارًا عِيانًا بيانًا ولا يستطيع أحد أن يمسه بسوء.

نريد الإسلام الحق، الإسلام الشامل، الَّذي يشمل العقيدة الصحيحة، يشمل العبادة الخالصة، يشمل الشريعة العادلة، يشمل الأخلاق الفاضلة، يقيم حضارة شامخة، يربط الأمة بعضها ببعض، هذا هو الإسلام الَّذي نريده، نريد الإسلام الشامل، ونريد الإسلام المتوازن، الإسلام المعتدل، والتوازن والاعتدال ليس صفة نضفيها على الإسلام من عند أنفسنا، أو استجابة لأهواء النَّاس، ولكن هذه طبيعة الإسلام، هو الدين الوسط، والمنهج الوسط للأمة الوسط، هو الصراط المستقيم، ولذلك لا نريد غلو الغالين، كما لا نريد تفريط المفَرِّطين، ومن هنا موقف الأمة وعلمائها العدول، موقف الخلف العدول، الَّذين حدَّث عنهم الحديث الشريف: «**يَحْمِلِ هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»(١).

(١) رواه ابن وضاح في البدع حديث رقم (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.
وانظر كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

الغلو نوع من التحريف لهذا الدين، يجعله دينًا آخر، يخرجه عن وسطيته وتوازنه، وهذا ما نخافه على الصحوة الإسلاميَّة وأبنائها، أن يخرج بعض الغلاة من أبناء هذه الأمة ولعلهم مخلصو النيَّة طاهرو الطوية، ولكنهم يفتقدون حسن الفهم وحسن الفقه، فيلبسون الدين كما يلبس الفرو مقلوبًا، هذا هو الخطر الَّذي نخشاه.

نريد الإسلام الشامل، ونريد الإسلام المتوازن، والمرجع في هذا هو الكتاب والسُّنَّة وفهم السلف الصالح لهذه الأمة دون إفراط ولا تفريط.

إنَّما تنتفع الأُمَّة بطاقاتها وإمكاناتها بشرطين:

الشرط الأول: أن تتمسك بالإسلام جوهرًا وشكلًا في كل مناحي حياتها.

والشرط الثاني: أن تتحد كلمتها، أن يجتمع صفها، أن تقف الأمة صفًّا واحدًا، وقد وحدتها العقيدة؛ فهي أمة القبلة، تصلي إلى قبلة واحدة، ربها واحد، نبيها واحد، كتابها واحد، شريعتها واحدة، ولهذا فأكثر ما يوحد هذه الأمة أن تلتزم بالإسلام، إذا التزمت بالإسلام وحد الإسلام وجهتها، وحد غايتها ووحد طريقتها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تفرق الأمة شيعا وأحزابا:

لم تلتزم الأمة بالإسلام؛ بل تفرقت شيعًا وأحزابًا ومناهج مختلفة، وسار بعضها ناحية الشرق والآخرون جهة الغرب، وكان منهم تقدميون ورجعيون وثوريون وغير ثوريين إلى آخره! الإسلام هو الَّذي يوحد وجهة هذه الأمة، هو الَّذي يجمع كلمتها، هو الَّذي يشعرها بأنها أمة، هو الَّذي يغرس في أنفسها هذا الشعور، بعضها ببعض، حتَّى يكونوا كالجسد

QaradawiBooks.com

الواحد كما صوره رسول الله ﷺ بقول: «**ترى المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالحُمَّى والسهر**»(١)، أي عضو، ولو كان ذلك في إصبع في إحدى الرجلين، يألم الجسد كله، هذا شأن الأمة الواحدة، إذا اتحدت الأمة استطاعت أن تفعل شيئًا، الأمة الممزقة لا تستطيع أن تفعل شيئًا.

اليهود؛ رغم قلة عددهم استطاعوا أن يفعلوا شيئًا، بضعة عشر مليونًا من اليهود قطّعهم الله في الأرض أممًا عقوبة لهم، سميناهم كثيرًا (شذاذ الآفاق)، في كل أفق منهم طائفة، هؤلاء؛ لأنَّهم اتحدوا على غاية، واتفقوا على منهج، ورسموا سياسة، ووضعوا لها خطة، استطاعوا أن يحققوا ما أرادوا، وأقاموا في قلب ديارنا دولة لهم بالوَحدة، اتفقوا على أن يستمدوا من التوراة، وأن يستنبطوا من التلمود، وأن تكون الأحلام التوراتية والتلمودية هي الَّتي تقود سفينتهم.

هذا ما صنعه اليهود، اتفقوا فاستطاعوا؛ رغم قلة عددهم أن يصلوا إلى أهدافهم، ونحن الألف مليون ماذا صنعنا؟ لا نستطيع أن نصنع شيئًا ما دمنا يجافي بعضنا بعضًا، بل أحيانًا يقاتل بعضنا بعضًا، ما دمنا نتقاتل على حدود، ما دمنا نستمع لوساوس الأعداء وهواجس الخصوم!

استخدام عدونا شعار: فرِّق تسُد:

لقد استطاع هؤلاء الَّذين رفعوا من قديم شعار «فرق تسد»، ففرقونا ليسودوا، وقد سادوا، ولا يزال الشعار قائمًا، إنهم أحيانًا يرفعون النّعرات العنصرية، وأحيانًا الإقليمية والوطنية، وأحيانًا الدِّينيَّة، قالوا: عرب وأكراد، أو عرب وعجم، عرب وفرس، عرب وبربر، ثمَّ قالوا: سنة وشيعة، ثمَّ قالوا:

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

QaradawiBooks.com

أصوليون وغير أصوليين، ثمَّ قسموا الأصوليين إلى معتدلين ومتشددين، وهكذا؛ تقسيمات لا تنتهي، يريدون أن يضربوا الأمة بعضها ببعض، والواجب أن يقف الجميع صفًّا واحدًا، حين تكون الأمة في حالة الخطر ينبغي أن تُنسى كلّ النَّعرات هذه، لا إقليمية، ولا عنصرية، ولا مذهبية، ولا طائفية، الكل يقف صفًّا واحدًا للدفاع عن الأمة أمام الأخطار الماحقة، هذا ما يجب أن يشعر به الجميع، لا ينبغي لنا أن نستمع إلى الوساوس، أو نصغي إلى الهواجس، فهي هواجس شياطين لا يريدون بنا خيرًا، إنَّما يريدون بنا مكرًا: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ليتنا نستفيد من التاريخ، ليتنا نستفيد من الدروس، ونعلم أن هذه الأمة لم تصلح بالتفرق أبدًا، إنَّما يصلحها الاتحاد والاتفاق؛ ولو كان هناك خلافات جزئية!

الدعوة إلى الوفاق بين المسلمين:

على أهل العلم أن يدعو إلى الوفاق بين النَّاس، بين المسلمين جميعًا، وبين المتدينين منهم خصوصًا، وبين العاملين منهم للإسلام وفصائل الصحوة الإسلاميَّة بصفة أخص، يجب أن نرفع ذلك الشعار الَّذي رفعه ذلك المجدد الإسلامي الكبير السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

سبب ضياع دولة المسلمين في الأندلس:

المسلمون في الأندلس ضاعت دولتهم بعد أن ظلوا في أوروبا ـ في إسبانيا والبرتغال ـ ثلاثة قرون، أقاموا فيها حضارة رفيعة الذرى من أعظم الحضارات، ثمَّ طردوا من الأندلس! لماذا طردوا من الأندلس؟

QaradawiBooks.com

لأنَّهم فرطوا في الشرطين؛ في الإسلام والتمسك به من ناحية، وفي الوَحدة من ناحية أخرى، والعدو بجوارهم متربص بهم، ولكنهم لم يعتبروا، اكتفوا بهذه الألقاب الفخمة الَّتي سخر منها الشاعر حينما قال:

مِمَّا يُزَهِّدُني في أرضِ أَنْدَلُسٍ ألقابُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَضِدِ
ألقابُ مَمْلَكَةٍ في غيرِ مَوْضِعِها كالهِرِّ يحكي انتفاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ[(١)]!

تفرقوا فضاعت دولتهم، جاء أحد الأمراء إلى أمه يبكي من أن ملكه أوشك أن يضيع، فقالت الأم الحكيمة الراشدة: ابك مثل النساء مُلكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال[(٢)]!

وضاعت الأندلس ١٤٩٢هـ، أي من قبل خمسمائة سنة، ولهذا تجد الإسبانيين خاصة، والأوروبيِّين عامَّة يحتفلون بخروج الإسلام من أوروبا، خمسة قرون مرت على خروج الإسلام من أوروبا، احتفل الإسبانيون بهذا الأمر، حتَّى إنهم في مؤتمر برشلونة، هذا المُجَمع الرياضي الَّذي قام هناك في الأولمبي، كان من ضمن حفلة الافتتاح مسرحية رمزية، تصور الصراع بين الخير والشر، وانتهى هذا الصراع بغلبة الخير على الشر، الشر المهاجم من الخارج، انتصر الخير على الشر، ويقصدون بالشر الإسلام الَّذي جاء من جزيرة العرب، وصفق الحاضرون لهذه المسرحية، وصفقت جميع وفود العرب والمسلمين، ولا يدري الحمقى أنَّهم المقصودون بالشر الَّذي جُسّم أمامهم.

---

(١) ديوان ابن رشيق القيراوني صـ٥٩، ٦٠، جمع عبد الرحمن ياغي، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩م.

(٢) انظر: قصة الحضارة (٧٠/٢٣). ترجمة د. زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر دار الجيل، بيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

هذا ما يصنعه الإسبانيون والأوروبيون، ولذلك ترى الغربيين الآن يخشون أن يعود الإسلام إلى أوروبا، كما بشرتنا الأحاديث، وقد بقي للإسلام بقية في شرق أوروبا، هناك ألبانيا وكوسوفو وهناك البوسنة والهرسك، وهناك المسلمون في بلغاريا، وهناك وهناك، غير الملايين المهاجرة في غرب أوروبا؛ في فرنسا وبريطانيا وألمانيا! إنهم يخشون صحوة الإسلام في أوروبا، يخافون من هذا الخطر خصوصًا في البوابة الشرقية لأوروبا.

الروح الصليبيَّة عند الغرب الآن:

ولهذا فإن أوروبا كلها تصمت أمام المذبحة الوحشية الهائلة الَّتي تدبر لإخوتنا في البوسنة والهرسك، وكأن الغرب قد صُم فلا يسمع، وكأنه أعمى لا يرى، مجنون لا يعقل، ما الَّذي حدث؟

إنَّه الخوف من الإسلام، الصربيون قالوا بصراحة مباهين ومفاخرين: يا أهل أوربا إنَّنا نقدم إليكم خدمة جُلَّى، نحن فرسان الصليب، نحن نحمي أوربا من خطر الإسلام.

هذا ما قالوه، وهذا يدلنا على أنَّ الروح الصليبيَّة لا تزال كامنة في أعماق هؤلاء، نحاول أن ننسى ولكنهم لا ينسون، لا يزالون يذكرون صلاح الدين، ولا يزالون يذكرون عماد الدين زنكي، ولا يزالون يذكرون نور الدين محمود، ولا يزالون يذكرون معارك المنصورة ودار ابن لقمان!

لم ينسوا هذا التاريخ، نحن الَّذين نسينا، ولكنهم أبوا إلَّا أن يُذكرونا، فعسى أن نذكر، عسى أن نتعلم، عسى أن نعي درس التاريخ ودرس الواقع، عسى أن نعود إلى ذاتنا من جديد، نعود إلى مصدر

QaradawiBooks.com

عزنا وفخرنا، نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغيره أذلنا الله.

الأمة الإسلاميَّة ذات قوًى وطاقات وإمكانات هائلة، ولكنها لن تستفيد من هذه كلها إلَّا بشرطين: الرجوع إلى الإسلام كل الإسلام في شمول وتوازن، والوحدة، الاتحاد، أن يكونوا كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

اللهم أصلح لنا ديننا الَّذي هو عصمــة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجمع كلمة المســلمين على الهدى، وقلوبهــم على التقوى، ونياتهم على الجهاد في سبيلك، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصربيين المتوحشين، اللهم عليك بالشيوعيين الملحدين، اللهم عليك بالصليبيِّين المستعمرين، اللهم عليك بالملاحدة الجاحدين، اللهم عليك بجميع أعدائــك أعداء الدين، اللهــم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم اجعــل يومنا خيرًا من أمســنا، واجعل غدنا خيــرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهم أيد إخواننا في فلســطين، وأيد إخواننا في البوسنة والهرسك، وأيد إخواننا في الفلبين، وأيد إخواننا في كشمير، وأيد إخواننا المجاهدين في كل مكان، وخذ بأيــدي إخواننا المضطهدين والممتحنين في ســائر أرض الإســلام، اللهم أيدهم بروح من لدنك، وأمدهم بملأ من جندك، اللهم احرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يضام.

QaradawiBooks.com

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين!

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ونبيِّك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وأقم الصلاة.

* * *

QaradawiBooks.com

١٣

إقامة المجتمع الصالح[(١)]

الخطبة الأولى

غير مرخصة للطباعة

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

جاء الإسلام ليكوِّن الفرد المسلم الصالح، والأسرة المسلمة الصالحة، والمجتمع المسلم الصالح، والأمة الإسلاميَّة الصالحة، والإنسانيَّة الصالحة المتعارفة، المتعاونة على البر والتقوى.

من أهم ما جاء به الإسلام، ونتحدث عنه اليوم: إقامة المجتمع الصالح، والمجتمع هو مجموعة النَّاس الَّذين تجمعهم فكرة واحدة ورباط واحد، قد تجمعهم أرض واحدة أو مكان واحد: رابطة طينية، أنَّهم من أهل هذا البلد فقط.

ولكن هذه الرابطة لا تكفي لإقامة المجتمع الصالح، لا بدَّ أن يكون مع هذه الرابطة شيء آخر يجمعهم، وهي رابطة العقيدة، وليس هناك أعظم من عقيدة التوحيد، ومن الإيمان بمُحمَّد ﷺ نبيًّا ورسولًا، ومن الإيمان بالقرآن مرجعًا ومصدرًا ومنهاجًا، فالإيمان بعقيدة التوحيد هو أوَّل ما يُؤسَّس عليه المجتمع الصَّالح.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٢م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأخوة الإنسانيَّة والأخوة الدِّينيَّة:

ويُؤسَّس المجتمع الصالح كذلك على الأُخوَّة، الَّتي تجمع المجتمعات بعضها على بعض، هناك أخوة عامَّة: أنَّ البشر جميعًا ينتمون من جهة الخلق إلى رب واحد، ومن جهة النسب إلى أصل واحد آدم وحواء، هذه الأخوة العامَّة الَّتي يدخل فيها النَّاس جميعًا، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، هذه هي الأخوة العامة الَّتي تجمع البشر جميعًا.

وهناك أخوة دينيَّة، تجمع أهل العقيدة الواحدة برباط خاص، فنحن نؤمن بقرآن واحد، ونؤمن بنبي واحد، هو مُحمَّد ﷺ، ونؤمن بكتاب واحد هو القرآن الكريم، ونؤمن بعقائد وبعبادات واحدة: نصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة، ونصوم رمضان، ونزكي أموالنا، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلًا، هذه كلها أشياء تجمع بيننا برباط الأخوة.

المجتمع المسلم إذن كما يقوم على العقيدة والإيمان: يقوم على الإخاء بين أهل الإيمان: الَّذين آمنوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمُحمَّد نبيًّا ورسولًا. هم الَّذين انعقدت بينهم رابطة الأخوة الدِّينيَّة. والأخوة الدِّينيَّة تعني أنَّهم يعتقدون أنَّ الله تعالى ربهم، وأنَّه مُحييهم ومميتهم، وأنَّه هو الَّذي يرزقهم بكل شيء، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وأنَّه هو الَّذي يتولَّاهم في سرِّهم وعلانيتهم، في ليلهم ونهارهم، في صيفهم وشتائهم.

هذه العقيدة هي أساس الأخوة الدِّينيَّة، إذا اتحدوا على هذه العقيدة، وآمنوا أنَّهم جميعًا إخوة؛ فالمسلمون تجمع بينهم أُخوَّة دينيَّة خاصة.

QaradawiBooks.com

عناصر الأخوة:

ومن العناصر الأساسيَّة لهذه الأُخوَّة المحبة، أن يحب بعضنا بعضًا، أن يحب كل واحد أخاه، كما قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[١]. وما دام يحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ فهو أيضًا يكره له ما يكره لنفسه.

ومن عناصر الأُخوَّة الأساسيَّة أيضًا: المساواة بين النَّاس، أنت أخي وأنا أخوك، لا تستكبر عليَّ ولا تستعلي عليَّ، نحن من طينة واحدة، وعجينة واحدة، ومن أسرة واحدة، فلماذا يستعلي بعضنا على بعض ويعتقد أنَّه أعظم من الآخر وأفضل منه، كلنا إخوة متساوون، النَّاس سواسية كأسنان المشط الواحد، ليس بينهم تفاضل من جهة الأخوة.

وكذلك من عناصر الأُخوَّة الأساسيَّة: التعاون، معنى أن تكون أخي وأنا أخوك أن تعاونني وأعاونك، وتساعدني وأساعدك، وتشدَّ أزري وأشدَّ أزرك، وإذا نزلت بك نازلة كنتُ معك، وإذا نزلت بي نازلة كنتَ معي، هذا معنى الأُخوَّة: أن يتعاون بعضنا مع بعض، أن نكون معًا في الشدائد، يسند بعضنا الآخر، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضًا**»، هكذا قال النبيُّ ﷺ، وشبَّك بين أصابعه[٢].

وكما قال أيضًا: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّى**»[٣]. المسلم يحسُّ بما يحسُّ به أخوه، خصوصًا إذا أصابه ألم أو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

مرض، كل الأعضاء تحس بهذا المرض، هناك وحدة عضوية بين المسلمين، هم كيان واحد، جسد واحد، هكذا يعلمنا النبي ﷺ.

ويقول النبي ﷺ: «**لا تَحَاسَدُوا، ولا تباغضوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا يَبِعْ أحدُكم على بَيْعِ أخيه، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا. المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمُه، ولا يخذلُه، ولا يحقره، التقوى هاهنا** - وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات - **بحسْبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[1].

«**لا تحاسدوا**»: لا يجوز أن يحسد بعضنا بعضًا، نحن إخوة فكيف تحسد أخاك على ما وصل إليه، بحسبك أن تغبطه، تُسرُّ بما أُوتي من الخير، وتتمنَّى أن يكون لك من الخير مثله، أمَّا أن تحسده حسدًا؛ بمعنى أن تتمنى أن يزيل الله النعمة منه، فهذا لا يجوز.

«**ولا تباغضوا، ولا تدابروا**»، كما لا يجوز أن يبغض بعضنا بعضًا؛ بل ينبغي أن يحب بعضنا بعضًا، لأنَّ كلًّا منا عون لأخيه وسند لأخيه، بحسبه عندما تنزل به حرب من الحروب، أو نكبة من النكبات، أو شديدة من الشدائد أن يجد أخاه بجواره، فالبغض والكراهية ليست من الإسلام في شيء.

«**ولا تناجشوا، ولا يَبِعْ أحدكم على بيع أخيه**»: التناجش: هو أن يتظاهر بأنه يريد أن يشتري السلعة ولا يشتريها، يدخل السوق يحاول أن يزيد في السعر وهو لا يشتري، فيجعل السوق تغلي من ارتفاع الأسعار، لا ينبغي أن تبيع أخوَّة أخيك من أجل جنيهات معدودة، هذا لا يجيزه

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) (٣٢)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام أبدًا، الإسلام يحب أن تظل الأسعار رخيصة بين النَّاس، أن يستطيع النَّاس شراء سلعهم بسهولة، ولذلك حرَّم الاحتكار، «**لا يحتكر إلَّا خاطئ**»[1]. والخاطئ هو الآثم؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

«**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه**»: لا يظلمه في شيء من الأشياء أبدًا، «**ولا يخذله**»: إذا كان هو يريد أن يبيع الشيء بثمن جيد؛ فلا تدخل لتبخسه، وتجعل سلعته تنخفض أكثر مما تستحق، لا ينبغي أن يخذل المسلم أخاه.

«**ولا يحقره**»: لا يعتقد أن أخاه أحقر منه، وأقل منه، وأدنى منه، وفي المقابل يعتقد أنَّه أعظم من أخيه، وأفضل منه، وأعلم منه. لا ينبغي لمسلم أن يعلي نفسه على أخيه المسلم مهما كان، ربما كنت أعلم منه، ولكن ربما كان هو أفضل منك عند الله، قد تكون أعلم، ولكن ربما لا تعمل بعلمك، ربما كان هو رجلًا عاميًّا وبسيطًا وله قلب طيِّب، ويحب النَّاس، ويقدِّم لهم الخير، وأنت ربما لا تفعل ذلك، فربما كان أفضل منك عند الله.

لا تظن في نفسك أنَّك أفضل من أيِّ إنسان؛ لأنك لا تعرف العاقبة، لا تعرف ما يجري لك غدًا، لا تعرف علامَ تموت، أتموت على الخير أم تموت على الشر؟ كل أحد يجهل قدر نفسه، فالمسلم لا يحقر أحدًا أبدًا، ولذلك جاء في هذا الحديث: «**بحسب امرئ مسلم من الشر أن يحقر أخاه المسلم**». هذا ليس شأن الإنسان المسلم. والنبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنَّة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبْر**»[2]. مثقال ذرة من كبر يُحرِّم عليك الجنَّة، الجنَّة لا يدخلها إلَّا

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

المتواضعون، «**مَنْ تواضع لله رفعه**»[1]، وطابت نفسه، وأصبح أهلاً لأن يدخل الجنَّة، هكذا علمنا النبي ﷺ.

ووضع النبيُّ ﷺ يده على صدره، وقال: «**التقوى هاهنا**». يشير إلى صدره، من وسائل التربية الصحيحة استعمال الإشارات، فالنبيُّ يشير إلى صدره، ويقول: «**التقوى هاهنا**». بدلًا من أن يقول: التقوى في القلوب. يشير إلى صدره، وإذا كانت الكلمة خطيرة يكررها ثلاث مرات: «**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا**»[2].

التقوى في القلب، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[3]، القلب هو محل نظر الله إليك، فاهتم بقلبك، سيدنا إبراهيم يقول: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧، ٨٩]. والقرآن يقول: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٣]. هؤلاء هم أهل الجنَّة.

النبي عليه الصلاة والسلام يُنبِّهنا إلى حقيقة المجتمع المسلم، المجتمع المسلم مجتمع المحبَّة، مجتمع الألفة، مجتمع السلام، مجتمع التعاون، مجتمع التكافل في السرَّاء والضرَّاء، في النَّعماء والبأساء، في الشدَّة والرخاء، في السلام والحرب.

ينبغي أن يجتمع المسلمون ليبحثوا وينظروا فيما يحتاجه إخوانهم، إخوانك في سوريا يحتاجون الآن إلى كل شيء، إلى المطعم، إلى

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٨)، وأحمد (٧٢٠٦)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢١٧.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) (٣٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المشرب، إلى الملبس، إلى المركب، إلى الدواء، إلى السلاح، إلى الإيواء، إلى كل شيء، هم في سوريا تحاربهم الدولة الفاجرة الباغية الَّتي تقتلهم بطائرات (الميج)، بالمدفعية الثقيلة، براجمات الصواريخ، بالبوارج الحربية، تقتلهم بكل قوَّة لديها، حتَّى أنَّها تقتلهم في الشوارع والحارات والبيوت، عن طريق الشبيحة أو البلطجية، إخوانك هؤلاء يحتاجونك فلا بدَّ أن تكون معهم.

هذا ما صوَّره لنا النبي ﷺ في هذا الحديث القيم، الَّذي ذكرناه قبل قليل، وقال فيه: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**». ليس مباحًا لك أن تعتدي على دم أخيك، تقتله بغير ذنب، وتقول: لم أكن أقصد. ولماذا تدع نفسك تقتل إنسانًا بغير حق؟ ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢].

قتل نفس واحدة كقتل أهل الأرض جميعًا، المسألة ليست هينة، تستهين بقتل امرئ مسلم، النَّاس يخرجون في مصر، في مظاهرات، ويأتي أناس يقتلون النَّاس بغير حق، بماذا يستحق المرء القتل؟ أن يقتل غيره فيستحق القتل قصاصًا، ولا بد أن يحكم القضاء عليه بذلك، لا ينبغي أن يقتل النَّاس بعضهم بعضًا بأيِّ سبب، فدم المسلم على المسلم حرام.

وكذلك مال المسلم على المسلم حرام، لا يجوز أن تخرج باسم المظاهرات وتدمِّر أموال الناس: تحرق السيارات، وتحرق بيوتًا، وتُحرق ممتلكات عامَّة أو خاصَّة، الَّذين أحرقوا مثلًا دُور الإخوان المسلمين في مصر لماذا تحرقونها؟ أتنتقم من أهلها في دورهم؟ لا يجوز لمسلم أن يدمِّر على أحد داره وممتلكاته، مهما كان بينه وبينه، نحن الآن في عصر ديمقراطي شوري، فمن ارتكب خطأ يجب أن يُعاقب عليه بحكم القانون،

QaradawiBooks.com

لا نعاقب عليه بأنفسنا، هذا سر الفساد في الأرض، أن يصبح النَّاس هم الَّذين يقتصون لأنفسهم بأنفسهم.

تدمر دُور الإخوان المسلمين؟! كان يمكن للإخوان المسلمين أن يضعوا حرَّاسًا، ومن يريد الاعتداء عليهم يقتلونه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، فهم لا يريدون أن ينتشر الفساد في الأرض، نحن قمنا بثورة لينتهي الفساد، الَّذي كان يغمر البلد كلها. كان البلد فسادًا في فساد، وطغيانًا في طغيان، ودائمًا يقترن الفساد بالطغيان، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١١ ـ ١٣]. لا نريد الطغيان ولا الفساد، نريد الخير والصلاح لأمتنا، هذا ما يريده الإسلام.

الأخوة الوطنية القومية:

الإسلام يريد أُخوَّة للناس جميعًا، أُخوَّة دينيَّة للمسلمين، وأُخوَّة وطنية وقومية لغير المسلمين، ربما تقول لي: أنتم أيُّها المسلمون في مصر إخوة متحابون، فماذا يفعل الأقباط؟ نقول: الأقباط أيضًا إخوة للمسلمين، هم إخوة لهم في الوطن الواحد، في القومية: أنَّهم عرب يتكلمون بلسان العربيَّة، فمَنْ تكلَّم العربيَّة فهو عربيٌّ. فهم يجتمعون في الأُخوَّة الوطنية والأُخوَّة القومية، وهذا ما ذكره القرآن.

ذكرت لكم في بعض الخطب أنَّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]. إلى أن قال: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]. لم يقل: قال لهم

QaradawiBooks.com

أخوهم شعيب. لأنَّ شعيبًا لم يكن منهم، لم يكونوا قومه، كان من بلد آخر من مدين، ولذلك في مدين قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]. فهنا قال لهم: يا قوم. أمَّا هناك فلم ينادِهم: يا قوم. لأنَّهم لم يكونوا قومه، فهناك أُخوَّة قوميَّة، وهناك أُخوَّة وطنيَّة تجمع الجميع في وطن واحد، ويجب أن يقوم الجميع على بناء هذا الوطن.

إنَّ الَّذي نعيب عليه أهل مصر الآن أنَّهم يجمعهم الغضب المشترك، الكل غضبان، هذا غضبان على هذا، وهذا غضبان على هذا، وهكذا!

مَن الراضي؟! لا أحد راضٍ، المسلم يغضب على غير المسلم، وغير المسلم يغضب على المسلم، والمعارضون يغضبون على المؤيِّدين، والمؤيِّدون يغضبون على المعارضين، لماذا يغضب الناس؟! حينما جاء رجل إلى النبي ﷺ يطلب منه وصية جامعة موجزة تدخله الجنَّة، فأوصاه بكلمة واحدة، قال: «**لا تغضب**»(١). كلمة واحدة: ابتعد عن الغضب. الغضب جمرة من النار يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، ابتعد عن الغضب، عن أسباب الغضب.

قد يغضب الإنسان فيدعو على نفسه، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، ويدعو على زوجته، ويدعو على أولاده، ويدعو على خدمه، ويدعو على كل مَن يحب، وربما كان ذلك في ساعة إجابة فأجيب دعاؤه، لا يجوز أن تغضب وتدعو في ساعة الغضب، كما لا يجوز أن تُطلِّق امرأتك في ساعة الغضب، ولا يجوز للقاضي أن يقضي بين اثنين وهو غضبان، الغضب شر!

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولذلك أنا أدعو أهــل مصر أن يرضوا، أن يطمئنــوا، أن يدَعوا هذه الحالة الغضبيَّة الَّتــي تجعلهم لا يفرقون بين الحــق والباطل، ولا بين الهدى والضــلال، وينظرون إلى الأمــور نظرة فيها كثير من الســطحية والظنية، ولا يتعمقون في الحقائــق ويتروون فيها، أدعو أهل مصر كلهم أن ينظــروا في الأمور نظــرة متأنية، كمــا قال النبــي ﷺ: «**العجلة من الشــيطان، والأناة من الله**»(١). كان الكفار يســتعجلون دائمًــا بالعذاب، والقرآن يقول لهم: لا تعجلوا. والنبي يوصينا بألا نعجل أبدًا.

نوصي أهل مصر بالأناة والتَّــروِّي، وخصوصًا أنَّنا مقبلون غدًا على استفتاء، والاستفتاءات والانتخابات يجب أن ننظر فيها بعقول مطمئنة، ليس بالعقول الغاضبة، الغضب لن يؤهِّلنا أن نــدرك الحق من الباطل، الغضب يُزيِّن لنا الشــر فنأتيه. انظر إلى الأمر بتُــؤدَة وحكمة، بأناة أهل الحق والخير. فأنصح أهل مصر أن يتركوا حالة الغضب، وأن ينظروا في أمورهم في حالة طمأنينة وسكينة ورضا؛ فيهديهم الله إلى الَّتي هي أقوم، إلى الَّتي هي أصوب.

كما أوصي أهل مصر أن يدَعوا الخوف، أهل مصر الآن يخاف بعضهم من بعض للأســف، وقد كان وصل أهل مصر إلى حالة من الطمأنينة من الأمان أيَّام الثورة العظيمة الثمانية عشرة الَّتي ارتفعوا فيها إلى مستوى عالٍ جدًّا، وأصبحوا يُحب بعضهم بعضًا، ويؤثر بعضهم أخاه على نفسه، كان كل واحد يحاول أن يُعرِّض نفســه للخطر ليفدي أخاه: مســلمًا كان، أو

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠١٢)، وقال: هذا حديث غريب. وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفه من قبل حفظه. والطبراني (١٢٢/٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٠٣)، عن سهل بن سعد الساعدي.

QaradawiBooks.com

مسـيحيًّا، كان الكل شـيئًا واحدًا؛ فلماذا لا نعود إلى هـذا العهد؟ لماذا أصبح بعضنا يخاف من بعض؟ لا يمكن لحالة الخوف أن تمكننا من أن ندرك ما يجب علينا، الخائف لا يستطيع أن يدرك الحق من الباطل.

إنَّ الأمن نعمة عظيمة، الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]. وحينما أقبل أهل يوسف، أبوه وزوجة أبيه وإخوته عليه في مصر قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. الأمن نعمة عظيمة، ولذلك كانت الجنَّة دار الأمن، ليس فيها خوف، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩]، ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]، دار أمـان مطلق، لماذا يخاف أحدنا من أخيه؟ لماذا لا يأمن بعضنا بعضًا؟

هذا ما نريده من الإخوة في مصر جميعًـا، أن ينظروا إلى الأمر في هدوء كامـل، في طمأنينـة، ليس فـي حالة خوف وذعـر واضطراب، فلا نستطيع في ظل هذا أن نفكر تفكيرًا حقيقيًّا.

ثم أدعو المصريين أيضًا أن يدَعوا حالة الكِبْر، لا يستكبر أحدنا على أخيه، كل واحد معتقد للأسـف أنَّه أفضل من الآخر، وكل حزب معتقد أنَّه أفضل من الحـزب الآخـر، وكل مجموعة معتقدة أنَّهـا أفضل من المجموعة الأخرى؛ لماذا؟ نحـن كلنا أبناء وطن واحـد، الَّذي يعرف الفضل هو الله، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، يوم القيامة يُعرف التقي من غير التقي، أمَّا عندنا فالكل سواسية.

ينبغي ألا يستعلي بعضنا على بعض، وألا يعتقد بعضنا أنَّه هو الَّذي معه الحـق، وأنَّ الآخرين هم الَّذيـن معهم الباطل، ويجـادل في هذا، ويقاتل من أجل هذا! لماذا نتقاتل يا قومنا؟! الَّذين خرجوا يوم الأربعاء

QaradawiBooks.com

ومعهم المولوتوف، ومعهم الأسلحة النارية، ومعهم الأسلحة البيضاء: السكاكين، والسيوف، وقاتلوا الناس؛ لماذا هذا؟! لماذا تقاتلون إخوانكم؟! لماذا ترفعون السيوف عليهم؟! لماذا ترمونهم بالنار؟! لماذا قتلتموهم بالخرطوش والرصاصات الناريَّة الحيَّة؟! قُتل عدد من الإخوان ثمانية أو سبعة، واحتسبوهم عند الله ﷻ!

والله إنَّ الإخوان مظلومون أيُّها الإخوة، ظلمهم النَّاس ظلمًا شديدًا، ظُلموا في عهد عبد الناصر والسادات ومبارك، ستُّون عامًا والإخوان يُضرَبون ويُقتَلون ويُسجَنون، هم الَّذين تحملوا عن مصر خلال هذه السنين كلها، وصبروا ما صبروا، وكان لهم النصيب الأكبر في هذه الثورة، وأنا أعلم ذلك جيدًا، هناك أناس كثيرون من الإخوان غير معروفين: كان لهم نصيبهم مع سائر أهل البلد؛ فلماذا يخاصمهم الناس؟

الناس خائفون من الإخوان! الإخوان يا جماعة ليسوا وحوشًا، هم بشر من البشر، لن يأكلوكم، الإخوان يريدون أن يطبقوا شرع الله، لماذا تخافون من شرع الله؟ هناك أناس خائفون يقولون: إنَّ الإخوان يريدون دولة دينيَّة. والله ما نريد دولة دينيَّة، ولا يريد أحد دولة دينيَّة، الدولة الدِّينيَّة مرفوضة عندنا، هذه دولة عرفها الغربيون المسيحيون؛ فيما يُسمى العصور الوسطى، كانت دولة ثيوقراطية يحكم فيها الكهنة باسم الله، ومن خالف حكمهم يعتبر مخالفًا لحكم الله.

ونحن نريد دولة مدنيَّة، الدولة المدنية هي دولة الإسلام، صحيح هي دولة تحكم بشرع الله، ولكنها دولة مدنية يحكمها المدنيون، وليس المشايخ وأصحاب العمائم فقط، لا، بل يحكمها كل النَّاس، فيهم ذوو

QaradawiBooks.com

العمامة، وفيهم ذوو الطربوش، وفيهم حاسرو الرؤوس، كل النَّاس يحكم بعضهم بعضًا؛ لماذا التخوف من الإخوان، واعتبار أنَّهم إذا حكموا البلد سيقتلون النَّاس، ويأكلون الأموال؟ مَنْ قال هذا؟!

أي إنسان يعرف الله، ويعرف الإسلام، ويعرف حكم الله، ويعرف أنَّ الله هو الَّذي سيحاسب النَّاس في الدُّنْيا وفي الآخرة، مَنْ يعرف هذا كيف يؤذي النَّاس، وكيف يعتدي على الناس؟ هذا أمر لا يُعقل أبدًا.

يا أيُّها النَّاس، يا أيُّها المصريون، يا أيُّها المسلمون، يا أيُّها المسيحيون، يا أيُّها الليبراليون، يا أيُّها العلمانيون، يا أيُّها الماركسيون، يا أيُّها الإسلاميون، يا أبناء مصر جميعًا: اتقوا الله في بلدكم، اتقوا الله في شعبكم، اتقوا الله في تاريخكم، اتقوا الله في أمتكم، اتقوا الله، كونوا عادلين، كونوا مُقسطين، جاء الإسلام ليفرض العدل على النَّاس، جاء بالقسط للناس جميعًا، مسلميهم وغير مسلميهم، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، غير المسلمين الَّذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم، ولم يساعدوا على أن تتركوا أوطانكم، لم يساعدوا أعداءكم، هؤلاء مسالمون لكم، هم منكم وأنتم منهم، لا ينهاكم الله أن تبروهم وتقسطوا إليهم.

وكلمة (البر) هي الكلمة الَّتي استعملها الله تعالى في أعظم الحقوق بعد حق الله، وهو حق الوالدين، معروف بر الوالدين، ثمَّ هو يستعملها مع غير المسلمين، لا ينهاكم الله أن تبروهم: تحسنوا إليهم، وتعطوهم حقوقهم، وتزيدوهم على حقوقهم أكثر مما يستحقون، هذا هو البر، وأمَّا القسط فهو العدل، أن تعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، لا تنقص

QaradawiBooks.com

منه ذرة، ولا تبخسه شيئًا، هذا ما يأمر به الإسلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

جاء الإسلام بالعدل للجميع، وبالخير للجميع، لمن تحب ولمن تكره، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

أدعو قومي، أدعو إخواني، أدعو أبنائي في مصر وفي خارجها، ففي خارج مصر بدأت الانتخابات، وهي مستمرة غدًا أيضًا، أدعو الجميع أن يدلوا بأصواتهم، لا يجوز لأحد أن يبخل بصوته، سواء كان بنعم أو بلا، أنا أؤيِّد (نعم)، أقول هـذا والله من قلبي، لا من أجل حكومة، لا يهمني مُحمَّد مرسي، ولا يهمني حزب الحرية والعدالة، ولا يهمني الإخوان، إنَّما يهمني مصر، البلد العربي الكبير، أعظم بلد عربي، وأقدم بلد عربي نهضة، هناك حوالي مائة مليون مصري في الداخل والخارج، هؤلاء لا يجوز لنا أن نغفل أمرهم.

لا بد أن تعطي صوتك بنعم أو بلا، أنا أؤيِّد (نعم)، ولا أؤيد (لا)، لأن (لا) أيُّها الإخوة فيها خسارة كبيرة، مصر الآن كل يوم تخسر، كل يوم تتأخَّر، كل يوم تتدهور، كل يوم تنزل قيمة العملة، كل يوم نؤخِّر عملنا، لا نعمل لنبني البلد، لا نعمل لتتقدم البلد، لا نعمل لكي تعلو قيمة العملة، لا نعمل لكي نجذب الاستثمارات من الخارج، هناك أموال كثيرة تنتظر استقرار مصر، منها عشرون مليارًا في قطر مستعدة تدخل للعمل في مصر، نُشغِّل العاطلين وما أكثرهم، كلَّما تأخرنا في العمل زادوا في عطلهم وزادوا في بطالتهم، وزاد الأمر على مصر ثقلًا.

QaradawiBooks.com

لماذا لا نسـعى أن نبني مصر؟ هذا في يدنـا إذا قلنا: نعم. حتَّى لو كانت لنا ملاحظات في شأن الدستور، أنا شخصيًّا عندي ملاحظات في شأن الدستور، ولكن أنا أنظر إلى الأمر نظرة كليَّة، الدستور في مجموعه دستور رائع، لم ترَ مصر مثله أبدًا، عندي بعض الملاحظات عليه، ولكن أقول: ممكن بعد ذلك أن تُعدَّل. والرئيس مُحمَّد مرسـي قال: يمكن أن تخصَّص جلسة في أوائل الجلسـات في مجلس الشعب لننظر فيما يراه النَّاس حول هذا الأمر. هذا أمر ممكن لنا.

لا ينبغي أن نؤخِّر بناء مصـر، والخروج بمصر من الوحل الَّذي هي فيه، من الوهدة الَّتي هي فيهـا. من يقدر على هذا ولا يفعل فحرام عليه والله، نريد أن نشـغل العاطلين، نريد أن نطعم الجائعين، نريد أن نخرج بمصر إلى حالة تسـتطيع بها أن تكون بلدًا عظيمـة، ويمكن لمصر أن تكون بلدًا من البلاد العظيمة إذا بدأت تبني نفسها بنفسها، أمَّا إذا أخَّرت هذا؛ فهي تزداد كل يوم بؤسًا على بؤس، وفقرًا على فقر، وانحطاطًا على انحطاط، وهذا لا يرضاه مصـري مخلص أبدًا، والله لا نرضى ذلك لهذا البلد العظيـم، فاتَّقـوا الله يا أهـل مصـر، المؤيـدون والمعارضون، المسيحيون والمسـلمون، الإسـلاميون والليبراليون، كلهم مطالبون أن ينظروا في شأن هذا البلد.

أسـأل الله تبارك وتعالى أن يوفق الجميع إلى الهـدى، وإلى ما فيه الخير لمصر وللبلاد العربيَّة والإسلاميَّة، ربَّنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا؛ إنَّك على كل شيء قدير، وادعوا الله يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة:

دعوة لمناصرة سوريا:

بعد أن تحدَّثنا عن إخوتنا في مصر الَّذين يجب أن نشدَّ أزرهم، وأن نكون معهم، مَنْ كان من المصريين هنا من أصحاب الصوت الانتخابي فليذهب ليُعْطِ صوته، وليتقِ الله فيه، وأنا أدعوه مخلصًا ـ من كل قلبي والله ـ أن يقول: نعم لهذا الدستور. لأن هذا هو الَّذي فيه خلاص مصر، ولا يجوز لمصر أن تُؤخَّر.

ثم أتحدث عن إخوتنا في سوريا، اليوم هو يوم النصرة لسوريا، اليوم هو الأوَّل من شهر صفر، والرابع عشر من شهر ديسمبر، هو يوم النصرة للإخوة في سوريا بعد أن أسَّسوا ائتلافهم المبارك إن شاء الله، (الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية)، وأصبح رئيسهم أخانا العالم أحمد معاذ الخطيب، وهو عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومعه عدد من الإخوة الأخيار، ومعه إخوة من الجيش السوري الحر، الَّذي يعمل بكل قوَّة لاسترداد سوريا، وهو استرد معظم سوريا، وسيستردها كلها إن شاء الله.

صحيح أنَّ الآخرين معهم طائرات (الميج) تضرب الأحياء السكنية، وتقتل النَّاس بغير حساب، بالمئات يوميًّا، ولكن هذا لن ينفعهم عند الله، لن تنفعهم روسيا، بدأت روسيا الآن تغيِّر موقفها جزئيًّا.

ولن تنفعهم إيران، إيران الَّتي تقاتل بنفسها، وتقاتل برجالها، وتقاتل برجال حزب الله اللبناني، وتقاتل بأموالها، وتقاتل بكل ما تستطيع حتَّى

QaradawiBooks.com

لا ينتهي الحكم الظالم في سوريا، والحكم الظالم في سوريا قد انتهى، لم يعد يصلح للبقاء، قتل النَّاس، حوالي خمسين ألفًا قُتلوا، وهناك آلاف مفقودون، لا يعرف النَّاس أين هم، وهناك أناس محبوســون ومعتقلون لا نعرف أين هم، قتل هذا الحُكْم مَنْ قتل من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، الأطفال الرضَّع والصغار، قتل من هؤلاء مَنْ قتل.

ولن يدع الله سبحانه وتعالى هؤلاء الطغاة، ســيأخذهم أخذَ عزيز مقتدر، سينزل الله عليهم بأســه الَّذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، الَّذين قست قلوبهم، ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، سيقطع الله دابر هؤلاء.

يجب على العرب في كل مكان، وعلى المسلمين في أنحاء العالم، وعلى الأحرار والشــرفاء في الدُّنْيــا كلها: أن يقفوا بجــوار إخواننا في ســوريا، الآن يقف معهم البريطانيون والفرنســيون والألمان، وكثير من الأوروبيِّين، والأمريكان أيضًا، وكان الواجب أن يقفوا معهم من البداية، وكان الواجب على مجلس الأمن: أن يوقف هذه الطائرات الَّتي تضرب الشعب السوري، نريد أن يقفَ الجميع وقفة رجوليَّة، ينصرون فيها هؤلاء المظلومين المقتولين، الَّذين يُقتَّل أبناؤهم وبناتهم في كل مكان، وإنهم لمنتصرون إن شــاء الله كما قال القرآن: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣].

ولا زلنا ندعو إخواننا في الجيش السوري أن يتركوا هذا الجيش، كل من عنده عقيدة وإيمان بحقوق هذا الشعب: يجب أن يترك هذا الجيش القاتل؛ مهما كلفه هذا ولو قُتل، ســيُقتل في سبيل الله، سيُحسب شهيدًا عند الله، يترك هذا الجيش القاتل وينضم إلــى الجيش الحر ليقاتل عن

QaradawiBooks.com

بلده، يقاتل عن شعبه، يقاتل عن أمَّته، يقاتل عن إخوانه وأخواته، يقاتل عن أقاربه وأرحامه، يقاتل عن كل محق.

ندعو السوريين جميعًا إلى أن يقفوا مع أهل الحق، وأن يطاردوا أهل الباطل، وأن يستعيذوا بالله من شرِّهم، وأن يدعوا الله عليهم، ادعوا الله على هؤلاء الظالمين، ادعوا الله في صلواتكم وخلواتكم على هؤلاء المتجبرين في الأرض، المستكبرين على خلق الله، الَّذين يسفكون الدماء كأنها دماء بعوض أو صراصير، هؤلاء لا يخافون خالقًا، ولا يرحمون مخلوقًا، ادعوا الله عليهم، وأنا أدعو الله معكم، وأسأل الله أن يُعجِّل بأخذهم، أن يأخذهم أخذًا أليمًا شديدًا كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته**». ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] »[(١)].

اللهمَّ هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهمَّ لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهمَّ هيِّئ لإخواننا في مصر من أمرهم رشدًا، اللهمَّ وفقهم لما تحب وترضى، اللهمَّ وفقهم إلى خيار أمرهم، اللهمَّ وفقهم إلى أن يخوضوا المعركة بالعدل والقسطاس المستقيم، اللهمَّ انصر إخوتنا في سوريا يا رب العالمين، اللهمَّ انصرهم على الجبارين الظالمين، اللهمَّ انصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

بنجلاديش، وانصر إخوتنا في ميانمار، وانصــر إخوتنا المضطهدين في كل مكان، اللهمَّ اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنًّا ســخاءً رخاءً وســائر بلاد المسلمين، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا؛ إنَّك على كل شيء قدير، ربَّنا اغفرْ لنــا ولإخواننا الَّذين ســبقونا بالإيمان، ولا تجعل فــي قلوبنا غلًّا للَّذين آمنوا؛ ربَّنا إنَّك رؤوفٌ رحيم.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

١٤

المسلمون في عالم اليوم

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حال المسلمين اليوم:

كنتُ أتحدَّث أوَّل أمس عن محاضرة عن المسلمين في عالم اليوم، وانتهى بنا المطاف إلى أنَّ المسلمين في عالم اليوم ضائعون، هالكون، مستضعفون في الأرض، يخافون أن يتخطفهم النَّاس، بل هم يتخطفهم النَّاس، غلبهم كلُّ مُغلَّب، تجرأ عليهم الجبان، وأعزَّ عليهم الذليل، واستقوى عليهم الضعيف، واستنسر عليهم البُغاث، أصبحوا لقمة في فم كلِّ آكل، ونهبة لكل ناهب، أعراضهم تُهتك، دماؤهم تُسفك، ديارهم تُدمَّر، لا حرمة لهم ولا ذمام، هكذا رأيناهم في كلِّ مكان، في آسيا، في إفريقيا، في أوربا، استضعف المسلمون، هكذا وصلنا إلى حال المسلمين من هذه الناحية.

ومن ناحية أخرى فقد وجدنا أنَّ المسلمين متخلفون في عالم اليوم، ليس لهم نصيب في الحضارة، لا ناقة لهم في حضارة العالم ولا جمل، يستهلكون ولا يُنتجون، ويستوردون ولا ينشئون، هذا هو حال هذه الأمة

QaradawiBooks.com

في الزراعة والصناعة، في الصناعة المدنية، والصناعة الحربية، المسلمون عالة على غيرهم، لا يستطيعون أن يصنعوا السلاح الَّذي يدافعون به عن أنفسهم!

سبب التخلف:

لمَ هذا؟ من الَّذي أوصل المسلمين إلى هذا الدرك، لقد كانوا في يوم من الأيَّام في طليعة الأمم، كانوا الأمة القائدة الرائدة، كانوا أصحاب الحضارة الأولى، بل أصحاب الحضارة الوحيدة، كانوا هم ملاك الحضارة، كانت الدُّنْيا كلهم تتعلم منهم، من الَّذي أخَّر المؤمنين؟ التعبير الصحيح من الَّذي أخَّر المسلمين؟ لأنَّهم لو كانوا مؤمنين لم يتأخروا، من الَّذي أخَّر المسلمين وجعلهم في ذيل القافلة، وكانوا في مقدمتها؟ من الَّذي أنزلهم في القاع وقد كانوا في القمة؟ ما السبب؟

السؤال الَّذي يسأله النَّاس بعد هذه المحضرات، بعد هذه الدراسات، سؤالان، من المسؤول؟ وما السبب؟

من المسؤول عن هذا التخلف؟

من المسؤول؟ كل واحد يريد أن يلقي العبء عنه، عوام النَّاس يقولون: المسؤولون هم العلماء، والعلماء يقولون: المسؤولون هم الحكام، والحكام يقولون: المسؤول هو الاستعمار، كل واحد يريد أن يزيح التبعة عن نفسه! الكلُّ مسؤول.

العلماء مسؤولون أكثر من غيرهم؛ لأنَّ العلم حمَّلهم مسؤولية البيان والبلاغ، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، لا ينبغي أن ينبذوا هذا الميثاق وراء ظهورهم، أو يشتروا به ثمنًا قليلا، فبئس ما يشترون.

QaradawiBooks.com

وأكثر من العلمـــاء الحكام، فهم الَّذين يحملـــون العبء الأكبر، هم الَّذيـــن يســـتطيعون أن يوجهوا الأمـــة، وأن يصوغوا عقلهـــا، ويصوغوا مشاعرها، بواســـطة التعليم الَّذي يصحب الطفل منذ نعومة أظفاره، في الحضانـــة، في المدرســـة الابتدائية، فـــي المرحلة الإعداديـــة والثانوية والجامعة، يستطيعون بواسطة العلوم والتربية أن يكوِّنوا عقول ثروة الأمة البشـــريَّة، ويســـتطيعون بواســـطة الإعلام وأجهزته الجبـــارة، الَّتي تؤثر بالكلمة المســـموعة والمقروءة، والصورة المرئية، تستطيع بواسطة هذه الأجهزة أن تؤثـــر بالناس، هذه الأجهـــزة الَّتي أصبحت تـــراوح النَّاس وتغاديهـــم، وتصابحهم وتماســـيهم، وتدخل عليهم بيوتهـــم، تؤثر في الصغير والكبيـــر، في الرجل والمرأة، في القـــارئ والأمي، في الخاص والعام، في الحضري والبدوي، الحكام يســـتطيعون أن يؤثروا أكثر من غيرهم؛ ولذلك كانت مســـؤوليتهم أكبر، وفي الآثار: «صنفان إذا صَلَحا صلُح النَّاس، وإذا فســـدا فسـَد الناس: الأمراء والعلمـــاء»[1]. ليس هذا بحديث ولكنَّه أثر، ومعنـــاه صحيح، لو صلح هـــذان الصنفان: العلماء والأمراء، لانصلح حال الأمة! ورحم الله الشاعر الَّذي قال:

يا أيُّهـــا العلمـــاءُ يا مِلـــحَ البَلَدْ ... ما يُصْلِحُ المِلْحَ إذا الملحُ فَسَدْ[2]؟!

وليس العلماء وحدهم هم علماء الدين، هنـــاك الآن علماء التربية، علماء الثقافة المختلفة، وأســـاتذة الجامعات، وخبـــراء الإعلام، وخبراء التعليم، أصبح هؤلاء جميعًا يؤثرون، لم يعد صوت المسجد وحده هو الصوت المؤثر، كل هؤلاء مسؤولون.

---

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٨/١)، عن عبد الله بن المبارك، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) البيت يُنسب إلى مسروق بن الأجدع، انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٦٣/٣)، تحقيق د. بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

الأمة كلها مسؤولة:

والأمة كلها مسؤولة، الكل مسؤول، لا ينبغي لأحد أن يقول: وماذا أصنع؟ الرأي العام يؤثر، النَّاس يقفون موقفًا سلبيًّا، نرى النَّاس يطلبون فيما يطلبه المستمعون، أو ما يطلبه المشاهدون، يطلبون: الأغاني الخليعة، والمشاهد الرخيصة، ما رأينا أناسًا يطلبون محاضرة قيمة تُذاع أو تُعاد، ما رأينا رأيًا عامًّا يضغط على أجهزة الإعلام! ويطالبها بكذا وكذا، النَّاس يقفون للأسف موقفًا سلبيًّا!

المسؤولية تقع على الجميع: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِه**»(١).

قال لي يومًا أحد الموجهين في أجهزة الإعلام: إنَّنا إذا حذفنا مشهدًا من فلم معين فيه خلاعة ومياعة أو نحو ذلك، اتصل بنا عدد من النَّاس يقولون: لقد شاهدنا هذا الفيلم في المحطة الفلانية، أو البلد الفلاني، فلماذا تفعلون ذلك؟! أقول: هنا أشياء فيها مشاهد لا تليق، لا يقبلها دين، ولا يقبلها عرف، ولا تقبلها أخلاق، وينكرها آلاف النَّاس، ولكن أحدهم لا يرفع سماعة الهاتف، ويقول: يا مسؤول التليفزيون، يا مسؤول البرامج، يا مسؤول المصنفات، لماذا عرضتم هذه المادة؟ لا يفعل أحد هذا! إنَّها الأغلبية الصامتة، الكل مسؤول: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه**».

الكل مسؤول، المسؤولية علينا جميعًا، ولذلك يجب على كلِّ إنسان أن يراجع نفسه ويحدد مسؤوليته: من المسؤول؟ وما السبب في تخلفنا وضياعنا واستضعافنا، لكل من في الأرض، حتَّى اليهود أحرص النَّاس

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

على حياة! أصبحوا يعبثون بأرواحنا، بمقدساتنا، وحرماتنا، وأرضنا، ونذهب ورائهم لنحصل منهم على شيء، فلا يعطوننا إلَّا السراب.

الأُمَّة الإسلاميَّة تملك أسباب القوَّة والتقدم:

من المسؤول؟ عرفنا من المسؤول، كلنا مسؤولون، ما السبب في ضياع هذه الأمة وتخلفها واستضعافها؟ هذه الأمة تملك الكثير من أسباب القوَّة، وأسباب التقدم، وأسباب الريادة، تملك الأمة الكثير، وأنا إذا تحدَّثت عن الأمة، فأنا أعني الأمة الإسلاميَّة، الأمة الَّتي أنتمي إليها، وأباهي بها، هي الأمة الإسلاميَّة، هي الأمة الَّتي جعلني الله تعالى عضوًا فيها، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه الأمة تملك الكثير.

أولًا: القوَّة البشريَّة:

تملك أوَّل ما تملك القوَّة البشريَّة، المسلمون اليوم أكثر من ألف مليون، أو ألف ومائتا مليون، أو ألف ومائتان وخمسون مليونًا، قوَّة بشريَّة ضخمة، تستطيع أن تفعل الكثير بهذا العدد، والشاعر العربي قديما يقول:

وإنَّما العزَّةُ للكاثرِ[1]

كانوا يفخرون بالكثرة، يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ملأنا البرَّ حتَّى ضاقَ عنَّا وذاك البَحْرُ نملؤه سفينًا[2]

والله سبحانه يُقر ذلك حين يذكر في معرض الامتنان بالنعمة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

---

(١) الرسائل السياسية للجاحظ صـ٤٢٧.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أمة كثيرة العدد، بعض الَّذين يكتبون في شروط الحضارة، والانبعاث الحضاري، يجعلون من الشروط الَّتي يجب أن تتوفر، وجود كثرة عدديَّة، لا تستطيع أمة صغيرة أن تنهض وحدها إلَّا بمعونة غيرها، لكي تنهض صناعة لا بدَّ من سوق كبيرة للتوزيع والاستهلاك.

فنحن نملك القوَّة البشريَّة! للأسف: كثير ممن يتحدثون باسم هذه الأمة، يعتبرون أن هذه مصيبة، أن كثرة العدد مصيبة ينبغي أن نحاصرها ونطاردها، ونعمل على تحديد نسل هذه الأمة، مع أن مَن كتب من الغربيين، اعتبروا أن من أسباب قوَّة الأمة الإسلاميَّة، أنَّها أمة ولود، تتكاثر بسرعة!

الغربيون الآن يشكون من العقم، ويشكون من قلة النسل، يعطون على الولد الأوَّل مكافأة كبيرة، وعلى الولد الثاني مكافأة أكبر، وعلى الولد الثالث مكافأة أكبر وأكبر، وهذا على خلاف ما نفعل نحن! نحن عندنا قوَّة بشريَّة هائلة، عندنا أكثر من خمس العالم، إذا وجد خمسة؛ فعلى الأقل واحد منهم مسلم.

ثانيًا: القوَّة الاقتصاديَّة:

ونملك كذلك القوَّة المادِّيَّة، القوَّة الاقتصاديَّة، لسنا فقراء، عندنا مال كثير، كنا في مقابلة أحد الحكام العرب قريبًا من أجل قضيَّة البوسنة والهرسك، فقال الرجل: بصراحة نحن أغنى الأغنياء في العالم، ولسنا فقراء، وهذا صحيح، عندنا أموال، ولكنَّنا لم نحسن استخدامها، معظم أموالنا في خارج ديارنا، هل نملكها ملكية حقيقية؟ أم أنَّ غيرنا يتحكم فيها عند اللزوم، ويتصرف فيها كيفما يشاء، كما فعلت أمريكا والغرب بأرصدة إيران، وأرصدة العراق وغيرهما، إذا اختلفنا معهم تحكَّموا فينا، لماذا لا تعمل هذه الأموال في ديارنا؟! لماذا لا تعمل في الرقعة الإسلاميَّة العريضة.

QaradawiBooks.com

عندنا البترول، ويكاد بترول العالم ينفد كله بعد سنين، ويبقى بترول العرب والمسـلمين، عندنا معادن شتى: المنجنيز والحديد، والفوسفات واليورانيوم، وغير ذلك، لا أملك الإحصائيات الآن، وإلا لقرأتها عليكم، عندنا الكثير.

عندنا أرض زراعية هائلة، السودان وحده يملك حوالي مائتي مليون فدان صالحة للزراعة، وقد بدأ مشكورًا ومقدورًا بالزراعة بالفعل، وأنتج وصدّر، عندنا المقدرة على أن نكون أهـل زراعة، وأهل صناعة، وأهل تعدين، الإمكانات المادِّيَّة موجودة.

ثالثًا: العمق الحضاري والبعد التاريخي:

عندنا كذلك العمق الحضـاري، والبعد التاريخي، لسـنا أمة ظهرت بالأمـس، أو قبـل الأمس، أو اليـوم، نحن أمـة لها عمقهـا الحضاري والتاريخي، نحن أصحاب الحضارة العربيَّة الإسـلاميَّة، ونحن أصحاب الحضارات الَّتي سبقت الإسلام، فقد نشـأت أيضًا في هذه الوديان وهذه الأراضي: الأراضي الإسـلاميَّة، والديار الإسـلاميَّة، نشـأت حضارات الفراعنة، وحضارات الفينيقيين، وحضارات الآشوريين، وحضارات العرب الأقدمين، فـي اليمن وغيرها، وحضـارات الهند والصيـن، وحضارات الفرس، كل ذلك نشأت في ديار الإسـلام الحالية، نحن إذن لسنا دخلاء على الحضارة، هذا العمق الحضاري، التاريخي الثقافي له أثره.

رابعًا: القوَّة الرُّوحيَّة:

نحن فوق ذلك كلـه، نملك القوَّة الرُّوحيَّة، مع القوَّة البشـريَّة، والقوة الاقتصاديَّة، والقوة التاريخيَّة! نحن نملك القـوَّة الرُّوحيَّة في العالم، نحن نملك أعظم رسالة في هذا الوجود، رسالة الإسلام، نحن وحدنا الَّذين عندنا

QaradawiBooks.com

الكلمات الأخيرة من الله للبشـــر، غير محرفة ولا مبدلة، كل الكتب حُرِّفت وبُدِّلت، كلُّ الرسالات مُسخت ونُســـخت، إلَّا رسالتنا، رسالة الإسلام، إلَّا كتابنا الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. عندنا كتاب لا يغسله الماء، ولا تُحرقه النار؛ لأن النار لو أحرقت أوراقه، فهناك ملايين الصدور تحفظه في كل مكان، عندنا قرآن عظيم، هو دستور هذه الأمة.

خصائص رسالة الإسلام:

عندنا الرسالة الوســـطية الَّتي تصل الأرض بالســـماء، وتربط الدُّنْيا بالآخرة، وتصل الخلق بالخالق، ولا تتيح فرصة لهؤلاء الدجاجلة، الَّذين يزعمون الوســـاطة بين الله وبين عبـــاده، أو يبيعون الجنَّـــة، أو صكوك الغفران، أو يصدرون قرارات الحرمان.

عندنا العقيدة السهلة، الواضحة، اليسيرة، المبرهنة، الثابتة، عقيدة التوحيد.

عندنا قرآن تفسره سنة واضحة، قام لها جهابذة حفظوها وغربلوها، ونقوْها من كل دخيل.

عندنا الســـيرة جامعة طاهرة عاطرة، تبين معالـــم حياة النبي ﷺ من الميلاد إلى الوفاة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]

النصرانية واليهودية عاجزة عن إنقاذ البشريَّة:

ليس هناك رسالة تستطيع أن تنقذ البشـــريَّة الحائرة، القلقة المعذبة، مما هي فيه إلَّا رسالة الإســـلام، المسيحية النصرانية، أعجز من أن تقوم بهذا الدور، وقـــد فقدت كتاب الله من قديم، وإنَّمـــا عندها أناجيل ألفها البشـــر، أربعة أناجيل من بين نحو ســـبعين إنجيلًا أو أكثر، واختلط بها

QaradawiBooks.com

التوحيد بالشـرك، ووقفت في عصورها التاريخيَّة ضـد العلم والفكر، والحرية والتقدم، فتاريخها مثقل بالظلم والظلام.

الرسالة الوحيدة المنقذة هي رسالة الإسـلام، وإذا كانت النصرانية عاجزة، فاليهودية أعجز، فليسـت اليهودية دين دعوة ولا انتشـار، دين مغلق على أصحابه، دين بني إسرائيل، حتَّى الرب عندهم رب إسرائيل، إنَّه ليس ديـن العالم، الديـن العالمي هـو الَّذي بُعـث صاحبه رحمة للعالمين، وأنزل كتابه ليكون للعالمين نذيرًا، هو الإسلام.

النصرانية عاجزة، واليهودية أعجز، وقد ظهرت في بعض الأيَّام نحلة تقول: إنَّ الأديان لن تصلح، ونحن الَّذين ننقذ العالم، معنا سفينة الإنقاذ، تلك هي الماركسية الشُّيوعيَّة، واليوم قد ذهبت ريحها، هذه الَّتي زعمت أنَّها سـترث الأديان كلَّ الأديان، وزعمت أنَّ الديـن ـ كل دين ـ أفيون الشـعوب، لقد ذهبت، وظهر أنَّها هي الأفيون، وهـي المخدر، وليس وراءها خير لا في الدُّنْيا، ولا في الآخرة، ليس هناك إلَّا الإسلام.

سبب التخلف والضعف:

نحن المسـلمين نملك القوَّة الرُّوحيَّة، بجوار هـذه القوى، ما دمنا نملك هذا كله، فما الَّذي أخرنا، وما الَّذي أضعفنا؟

ليس الأمر إذن طبيعة الرسـالة، ولا طبيعة المكان الَّذي نعيش فيه؛ لأنَّه مكان الحضارات، قبل الإسلام وبعد الإسلام! ولا طبيعة الإنسان، ليس إنسان الشرق أقل من إنسـان الغرب، لقد ذهبت هذه النظريَّة الَّتي قال بها بعض الغربيين يومًا: إنَّ الجنس الآري هو سيِّد العالم، ويجب أن يحكم العالم، وعلى أساسـه قام هتلر يقول: إنَّه ينبغي أن يحكم العالم

QaradawiBooks.com

كله، وكانوا يقولون: قودي يا بريطانيا واحكمي! ذهب هذا كله، وثبت بالعلم أن هذه خرافة، ليس هناك جنس أفضل من جنس، ولا عنصر أفضل من عنصر، وهذا ما يتفق مع عقيدتنا، ما أثبته العلم، هو الَّذي يثبته الدين، ما دام النَّاس جميعًا أبناء لأبٍ واحد، وعبيدًا لرب واحد، «**إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب**»[1]. هذا هو المنطق، وهذا ما عبر عنه شاعر مسلم بقوله:

إذا كان أصلي من تُرابٍ فكلُّها بلادي، وكلُّ العالَمِينَ أقاربي[2]!

لماذا إذن تأخَّرَ المسلمون؟ لماذا استضعف المسلمون؟ لماذا أُكل المسلمون؟

الإنسان في هذه الأرض هو الَّذي صنع الحضارة القديمة، هذا الإنسان نفسه هو الَّذي خرج من جزيرة العرب ليفتح الفتوح، لا فتوح استعمار ولا استغلال؛ ولكن ليفتح الأرض بالعلم والإيمان، والعدل والإحسان؛ ليقيم دين الله في الأرض لمصلحة النَّاس، هذا الَّذي عبر عنه ذلك الصحابي، الَّذي لم يتخرج في جامعة، أو يتعلم في مدرسة، إلَّا مدرسة النبوة المُحمَّدية، ربعي بن عامر، الَّذي قال لملك الفرس ـ حينما سأله: من أنتم؟ ـ: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[3]!

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٦.

(٢) القائل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، كما في وفيات الأعيان (٢٤٤/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

QaradawiBooks.com

هذه أمة مبعوثة:

لخص هذا العربي البسـيط أهداف الإسلام الكبرى، فلسفة الإسلام الكلية، في هذه الكلمات الموجزة، بعثنا الله، ابتعثنا الله.

هذه الأمة مُبتعثةٌ برسالة، كما أنَّ رسولها ﷺ أيضًا مبعوث، فهي مبعوثة برسالته، وهذا ما ينبغي أن يغمر شعور كل واحد فيها، إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، لا يُعبد أحد، ولا يُعبد بشـر، ولا يُعبد حجر، ولا يعبد شجر، ولا يعبد بقر، كل الأصنام ينبغي أن تحطم، كل الأوثان ينبغي أن تطرح، ولا يعبد إلَّا الله.

لنخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدُّنْيا إلى سـعتها! جاء الإسـلام يوسـع على النَّاس دنياهم، لم يجئ ليحرِّم عليهم الطيبـات، أو زينـة الله الَّتي أخـرج لعباده، بل جـاء يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهـم إصرهم والأغلال الَّتي كانت عليهم، يريد بهم اليسـر، ولا يريد بهم العسر، ما جعل عليهم في الدين من حرج، ولو شاء الله لأعنتهم، ولكن ما كان ليعنتهم، إنَّما جاءهم بالرحمة، كما قال ﷺ عن نفسه: «**إنَّما أنا رحمةٌ مُهداة**»(١).

من ضيق الدُّنْيا إلى سعتها، وهذا ما شهدته الحضارة الإسلاميَّة، سعة فـي الحياة، رغـدًا في العيـش، أمنًا في كل مـكان، ازدهـارًا في كل المجالات، وكل ذلك شهد به التاريخ.

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ثم قال ربعي بن عامر: ونخرجهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام: الأديان الَّتي جارت عليهم، جارت على الفرد، وجارت على الأسرة، وجارت على المجتمع!

جارت على الضعيف لحساب القوي، على الرقيق لحساب السادة، على المرأة لحساب الرجل، على الفقير لحساب الغني، على المحكوم لحساب الحاكم!

جارت على الإنسان، وأحيانًا جارت على بعض قواه، جارت على عقله من أجل وجدانه، أو على جسمه من أجل روحه، كتلك الديانات الَّتي ذهبت إلى أنَّ النفس لا ترقى إلَّا بتعذيب الجسد!

جاء الإسلام يخرج النَّاس من هذا كله، من جور الأديان والفلسفات والمذاهب، إلى عدل الإسلام الَّذي يعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، ويضع كل شيء في موضعه، «**إنَّ لربِّكَ عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**»[1].

من يقدم هذه الرسالة وكيف؟

هذه هي رسالة الإسلام، الدُّنْيا كل الدُّنْيا، الغرب والشرق في حاجة إلى رسالة الإسلام، ولكن من يقدم هذه الرسالة إلى العالم؟ المسلمون، كيف يقدمونها إلى العالم إذا لم يعملوا بها بأنفسهم؟ إذا لم يحكموها في حياتهم، إذا لم يتخذوا هُدَاها منهاجًا لهم، وقرآنها دستورًا لحياتهم، كيف يقدمونها إلى العالم؟

(١) رواه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، عن أبي جحيفة السوائي.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

لقد وجد من أبناء المسلمين من يتطاول على الإسلام نفسه، من يتطاول على العقائد والعبادات، والأخلاق والشرائع، حتَّى القطعي منها! وهذا ما جعل الخطباء في مصر بعد الزلزال يقولون هذا بصراحة: لقد ارتفعت أصوات الملاحدة، وعلت رؤوسهم، وتكلموا ضد دين الله، فكان ما كان، هذا ما حدث منهم، ولا نريد أن ندخل في الزلازل: هل هي عقاب أم غير عقاب، ولكن في بلاد من بلاد المسلمين يحدث مثل هذا! يحدث هذا في مصر بلد الأزهر! صحيح أن هؤلاء قلة لا وزن لهم ولا قيمة لهم، كل ما جعل لهم وزنًا وقيمة، أن لهم مساحات في صحف يكتبون فيها، أمَّا جمهور النَّاس وعامة النَّاس، فهم مع الإسلام، الإسلام هو صاحب السطوة وصاحب القوَّة، هو الَّذي يحرك الجماهير، هذا ما رأيته في كل بلد ذهبت إليه!

المشكلة في أناس صُنعت عقولهم في بلاد أخرى، في بلاد الغرب والشرق، وأصبحوا يملكون الأزِمَّة، وأصبحوا يقولون على الله بغير علم، وأصبحوا يتطاولون على القرآن بغير حق، هذه هي مشكلة هؤلاء النَّاس، هؤلاء النَّاس الَّذين يسخرون من الحجاب، لا أقول حتَّى من النقاب، لا، بل يسخرون من الحجاب نفسه، إذا امرأة غطت رأسها، فهذا علامة تخلف، بل في بعض البلاد يعتبر هذا جريمة، لو دخلت فتاة المدرسة أو الجامعة بهذا الزي، فإنه زيٌّ طائفي، يحارب ويعاقب عليه، هذا ما نراه في بعض بلاد المسلمين! فلا عجب أن يتخلف المسلمون، وأن يُستضعفوا من غيرهم.

أمة الإسلام قابلة أن تنهض:

إنَّ الأرض الإسلاميَّة قابلة لأن تنهض، المشكلة ليست مشكلة المكان، ولا مشكلة الإنسان في طبيعته، الإنسان في طبيعته يمكن أن ينهض وأن يتقدم، وقد رأينا من المسلمين من الَّذين يعيشون في الغرب،

QaradawiBooks.com

ممن يسمونهم العقول المهاجرة، من تبوَّأ مكانه بين عمالقة العالم ونوابغه، واعتُرف له بالسبق والريادة في ميادين شتَّى، ميادين فيزيائية، وكيمائية، وجيولوجية، وطبية، وهندسية، وغيرها.

ليس المسلمون بطبيعتهم أغبياء، ولا يمكن أن يكون الإسلام هو الَّذي ردهم من الذكاء القديم إلى الغباء الآن، فهم الَّذين صنعوا الحضارة الأولى، المشكلة: هي البعد عن الإسلام الحقيقي، البعد عن الإسلام في الفهم، البعد عن الإسلام في الإيمان به صدق الإيمان، البعد عن الإسلام في التطبيق، في حسن العمل بالإسلام، وحسن العمل للإسلام.

لا بد من الرجوع إلى الإسلام إيمانًا وفهمًا وتطبيقًا:

إذا كنا نريد أن نتبوأ مكانتنا حقًا، فلا بدَّ أن نرجع إلى ديننا، كما رجع إليه سلفنا، سلفنا الصالح، خير القرون، الَّذين فهموا الإسلام فأحسنوا الفهم، وآمنوا به فصدقوا في الإيمان، وعملوا به فأتقنوا العمل، عملوا به في أنفسهم، ثمَّ قدموه إلى الدُّنْيا قارورة دواء، ومضخة إطفاء، ونور ضياء، فاهتدوا به وهدَوا العالم، وهذا هو شأن أمتنا إذا عرفت حقيقة رسالتها.

يا أيُّها الإخوة، الإسلام وحده هو طوق النجاة، الإسلام وحده هو سفينة الإنقاذ، لا إنقاذ بغيره، ولا نجاة بغيره: ولا هداية بغيره: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم وادعوه يستجب لكم.

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعد:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجاب له[(١)]، ولعلَّها تكون هذه الساعة

اللهم أصلح لنا ديننا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة، اللهم إنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا. وارض عنا وأرضنا.

اللهمَّ انصُرْ إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في أريتريا، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر، اللهم أيدهم بملأ من جندك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك الَّتي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يضام، اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالشيوعيين الملحدين، اللهم عليك بالصليبيِّين المستعمرين، اللهم

(١) سبق تخريجه صـ ٧٣.

QaradawiBooks.com

عليك بأعدائك أعـداء الدين، اللهـم رد عن المسـلمين كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهـم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٥

مسؤوليَّة الكلمة[١]

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كنتُ ودَّعتكم في خطبة الجمعة الماضية، وقلت: لعلَّها آخر جمعة في هذا الموسم. وكنت طلبت في تلك الخطبة من الإخوة المشاهدين في كل مكان ممَّن يسجلون هذه الخطب أن يبعثوا إليَّ بما يكون عندهم من هذه الخطب المُسجَّلة على الفيديو، وكان ذلك نتيجة خطأ موظف في التليفزيون مَسحَ بعض الخطب.

ولكن جهات معيَّنة استغلت هذا الكلام وحرَّفته عن مواضعه، وجعلت منه قصَّة أخرى، وهذه مشكلة في أمانة الكلمة، ينبغي أن يكون الإنسان أمينًا على الكلمة الَّتي يقولها، والكلمة الَّتي يسمعها، لا يجوز للإنسان أن يُلقي الكلام على عواهنه، ولا أن يُطلق لسانه كالمنشار آكلًا هابطًا وآكلًا صاعدًا، لا، الكلمة أمانة ومسؤوليَّة، لا يجوز للإنسان أن يتصرف في الكلام ويُحرِّفه عما قيل لأهداف شتى.

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

أمانة الكلمة:

المسلم يرعى الله في الكلمة، الكلمة أمانة، إذا كان لك هدف فلا تدخل أهدافك الدنيويَّة والماديَّة والشخصيَّة في تحريف الكلام، فهذا قد يسيء إساءات بالغة إليك، ويسيء إلى النَّاس من حولك، ويسيء إلى دول.

ولذلك كانت مسؤوليَّة أهل الكلمة الَّذين صناعتهم الكلمة، الصحفيون، الإذاعيون، الخطباء، الدعاة، الإعلاميون في أيِّ لون من ألوان الإعلام، مقروءًا كان أو مسموعًا أو مشاهدًا، كانت مسؤوليتهم عن الكلمة مسؤوليَّة كبيرة.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يسمع كل كلمة تنطق بها، لا يغيب عن سمعه شيء، كانت امرأة تُكلِّم النبي ﷺ في ركن من أركان المسجد، تحاوره في أمر زوجها وقد ظاهر منها، فنزل قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

الله تعالى يعلم السر وأخفى:

إنَّ الله يعلم السرَّ وأخفى من السر، ما تتكلم به مع صديقك مناجيًا في إسرار لا في إجهار يسمعه الله، وما في نفسك ممَّا تخفيه عن جليسك وصديقك يعلمه الله، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

كان المشركون يتحدث بعضهم مع بعض عن مُحَمَّد وأصحابه فينزل القرآن يهتك سترهم، ويفضح أمرهم، فيقول بعضهم لبعض: إذا تجالستم وتناديتم فلا تعلنوا ولا تجهروا حتَّى لا يسمعكم إله مُحَمَّد فيُنزل وحيه على مُحَمَّد يفضحنا. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤]. أسر أو اجهر الله يسمع ويرى ويسجل.

QaradawiBooks.com

يقــول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

إذا أراد بعض النَّاس أن يسر إلى صاحبه أمرًا يقول له: للحيطان آذان. يخشى مَنْ يتسمع إلى الأسـرار من وراء الحيطان، ولا يخشى من رب الأرض والسموات الَّذي يسمع السر والنجوى، ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

الحفظة الكرام الكاتبين:

الله يسمع ويســجل عليك بواســطة الحفظة، قلم التسجيل الإلٰهي يحصي لك أو عليك، كل كلمة تنطقها، خيرًا أو شـرًّا، جهرًا أو سـرًّا تُسجل لك أو عليك، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخـرف: ٨٠]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطـار: ١٠ ـ ١٢]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، أيُّ قــولٍ هنــاك رقيب وعتيد يكتب ويُسجِّل ويحصي.

ووجدوا ما عملوا حاضرا:

ثم لا يضيــع هذا الَّذي يُســجَّل، لا يُلقى في ســلة المهملات، لا تأكله الحشرات، هو محفوظ لك أو عليك حتَّى يأتي يوم فتقرؤه فيه بنفسك، ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثيــة: ٢٩]، نستنســخه،

QaradawiBooks.com

نكتبه، نسجله، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

كان الفلاسفة القدامى يظنون أنَّ كلماتنا وأفعالنا تذهب بمجرد الانتهاء منها لأنَّ الأعراض لا تبقى زمنين، وأنَّ الأصوات والأفعال من الأعراض، الآن تبين من القرآن أنَّ كل شيء موجود، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]، سيرى الإنسان عمله، سيسمع ما كان يقوله، ويرى ما كان يفعله كأنَّما هو شريط مسجَّل له يحتوي حياته كلها، مسيرة الحياة أقوالًا وأفعالًا وتصرفات كلها سيجدها أمامه.

على المسلم أن يحافظ على كلماته:

من أجل هذا يجب على الإنسان أن يحافظ على كلامه، هؤلاء الإعلاميون الَّذين يُهوِّلون الأمور، يجعلون من الحبة قُبَّة، ومن النملة فيلًا، أو يختلقون الأشياء من عدم، أو يصطادون في الماء العكر، أو يُعكِّرون الماء الصافي ليصطادوا فيه، لا يعلمون أنَّهم مسؤولون أمام الله عن كلمة يكتبونها أو يقولونها، الكلمة الشفهية والكلمة المُحرَّرة.

ولعلَّ الكلمة المكتوبة والكلمة المُحرَّرة أشد خطرًا، العرب يقولون: القلم أحد اللسانين. اللسان المعروف، ولسان آخر هو القلم، امتنَّ الله على الإنسان بنعمة اللسان، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٠]، امتنَّ على الإنسان بنعمة البيان، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]، علَّم الإنسان البيان ليُفصحَ به عن نفسه، ويُعبِّر به عن ذاته، هذه نعمة من الله ﷻ.

QaradawiBooks.com

شكر الله على نعمة البيان:

ولكن الإنسان لم يشكر الله على هذه نعمة البيان، بل استخدمها في غير ما خُلقت لـه، الله علَّمك البيان لتنطق بالحـق، لتُعبِّر عن حاجاتك ومشـاعرك، لتُعبِّر عن نفسـك، لتذكر الله ﷻ، لتُكلِّم النَّاس بما تحتاج إليه، ولكن النَّاس اسـتخدموا اللسـان فيما يضر ولا ينفـع، فيما يهدم ولا يبني، فيما يُعصى الله به، لا فيما يُطاع به.

بدل أن تقول الكلام الطيب تقول الكلمة الخبيثة للأسـف، والكلمة الطيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، والكلمة الخبيثة لا تُثمر إلَّا خبيثًا؛ فلماذا تستبدل بالطيب الخبيث؟

عليك أنْ تقول كلمـة الحق، الكلمة النافعة الَّتـي تنفعك في الدُّنْيا وتنفعك في الآخرة، وخصوصًا الكلمة قد تموت أنت وتبقى هي بعدك، رُبَّ كلمة يكتبها كاتبها في صحيفة أو في كتاب، أو يُسـجِّلها فتبقى في شـريط من بعده، يموت وقد أكله الدود، وأكله التراب، ونسيه الناس، لكن كلماته باقية، مات الشـخص ولم تمت ذنوبـه، طوبى لمن مات وماتت ذنوبه معه، وويل لمن مات وبقيت ذنوبه من بعده.

يموت الإنسان وتبقى كلماته:

كم من أُناس ماتـوا وتركوا وراءهم كتبًا مُضلِّلة، تظل سـيئاتهم من بعدهم، تظل خطاياهم تعمل عملها، كم من أشرطة ساقطة وخليعة يموت أصحابها أو تموت صاحباتها وهي لا تزال تُتداول بين الناس، سـيِّئات مسـتمرة ما دام النَّاس يتأثرون بهـا، هناك معاصي قاصـرة، ومعاصي متعدية، هنـاك معاصي تموت بموت أصحابها، ومعاصي مسـتمرَّة من

QaradawiBooks.com

بعدهم، فينبغي للإنسان أن يخشى الكلمة، وخصوصًا الكلمة المكتوبة، وقد قال الشاعر الصالح:

وما مِـنْ كاتـبٍ إلَّا سـيَبْلَى ... ويبقـي الدَّهْـرُ ما كتبتْ يَـدَاهُ
فلا تَكْتُـبْ بِكفِّـكَ غير شـيء ... يَسـرُّكَ فـي القيامـة أن تَـرَاهُ[1]

ما من كاتب إلَّا سيموت ويأكله الدود، ويبقى طول الدهر ما كتبت يداه، مات هو وبلي وفني، ولكن ما كتبه باقٍ، إمَّا خيرًا أو شرًّا، هناك أناس نستفيد من كتبهم، وندعو الله لهم، وحتى لو لم ندعُ فما دمنا نستفيد من كتبهم وعلمهم فهذا أثر باق ممتد لهم، كما جاء في الحديث: «**إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[2]. فالكتب النافعة يستفيد أصحابها منها في قبورهم باعتبارها عملًا صالحًا ممتدًّا لهم، والكتب السيِّئة يتضرر أصحابها في قبورهم بها لأن شرهم مستمر والعياذ بالله.

فلا تكتـب بِكفِّـك غير شـيءٍ ... يَسـرُّك فـي القيامـةِ أن تَـرَاهُ

قدر الكلمة في الإسلام:

إنَّ النَّاس يستهينون بالكلمة، والعرب يقولون: رُبَّ كلمة سلبت نعمة. ويقولون: رُبَّ حربٍ شبَّت من كلمة. من أجل كلمة تشبُّ حرب بين قبيلتين أو بين شعبين أو بين أمَّتين، الكلمة لها خطورتها، ولذلك

(١) ذكرهما من غير نسبة نشوان الحميري في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١٩٨٢/٣)، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري وآخرين، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) رواه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأحمد (٨٨٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يقول النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرجلَ ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله عليه لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جهنَّم سبعين خريفًا**»[١]. سبعين سنة من أجل كلمة لا يهتم بها، لا يلقي لها بالًا.

قالت السيِّدة عائشة كلمة عن إحدى ضرائرها فيها نوع من الاحتقار لها، قالت: ما يعجبك من فلانة إنَّها. وأشارت بيدها إلى أنَّها قصيرة، فقال لها النبيُّ ﷺ: «**يا عائشةُ، لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه**»[٢]. وهي نصف كلمة، نصف جملة، ما يعجبك من فلانة إنَّها، كلمة تُعكر بحرًا واسعًا، هذه خطورة الكلام.

ولذلك ينبغي للإنسان المؤمن أن يحرص على لسانه فلا يتكلَّم إلَّا بخير، «**رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم**»[٣]، «**مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ**»[٤].

أكثر خطايا الإنسان من اللسان:

كان سيِّدنا عبد الله بن مسعود يُلبِّي على الصفا في حجٍّ أو عمرة، وهو يشير إلى لسانه ويقول: يا لسانُ، قل خيرًا تغنم أو اسكتْ عن شرٍّ

(١) رواه أحمد (٧٩٥٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٧٧/٤): في إسناده محمد بن إسحق وهو مدلس. عن أبي هريرة. ورواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨) بدون ذكر السبعين خريفًا.

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٨٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٥٥)، عن خالد بن أبي عمران.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تسلم من قبل أن تندم. فقال له بعض أصحابه: أهذا من عندك أم سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أكثر خطايا ابنِ آدم في لسانه**»(١).

ولذلك كان النبيُّ ﷺ ينصح أصحابه بحفظ ألسنتهم، حينما جاءه سفيان بن عبد الله يقول له: يا رسولَ الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. فقال: «**قل: آمنتُ بالله، ثمَّ استقمْ**»(٢). أشار إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]. استقاموا على كلمة التوحيد وأدوا إليها حقها، قال: يا رسولَ الله، فما أتَّقي؟ ما الشيء الَّذي أحذره وأتَّقِيه؟ فأومأ الرسول ﷺ إلى لسانه وقال: «**هذا**»(٣).

وكذلك قال لصاحبه معاذ بن جبل بعد أن أوصاه عدَّة وصايا بالصلاة والصيام وقيام الليل والصدقة وكذا وكذا، ثمَّ أشار إلى لسانه وقال له: «**يا معاذ، كُفَّ عليك هذا**». كان عليه الصلاة والسلام يُعلِّم بالإشارة التوضيحيَّة، فقال معاذ: يا رسولَ الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلَّم به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وهل يَكُبُّ النَّاس في النَّار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلَّا حصائد ألسنتهم؟**»(٤). إلَّا هذا اللسان الَّذي كأنه المنجل يحصد حصدًا، هذا ما يكبُّ الناسَ على وجوههم أو على مناخرهم.

---

(١) رواه الطبراني (١٠/١٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١٥٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦). وهو من أحاديث الأربعين النووية.

(٣) رواه أحمد (١٥٤١٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسير (٢/٤١٢، ٤١٣)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وفي الحديث: إنَّ الأعضاء ذهبت تشتكي إلى اللسان وتقول له: «**اتَّقِ الله فينـا؛ فإنَّك إذا اسـتقمتَ اسـتقمنا، وإذا اعوججـتَ اعوَجْجنا**»[(١)]. الأعضاء تُعَبِّر عن خطورة هذا العضو، العرب قالوا: اللسان صغير الجِرْم كبيرُ الجُرم.

هذه القطعة الصغيـرة خطورتها كبيرة، ولذلك قـال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ يضمن لي ما بيـن لَحْيَيه وما بيـن رجليه أضمن له الجنَّـة**»[(٢)]. ما بين رجليه: الفرج، وما بين لَحْييه: اللسان، فهذا من خطورة اللسان.

آفات اللسان في الدنيا:

ولذلك كان علماء السـلوك يهتمُّون بآفات اللسان، لأنَّ اللسان خطر في الدُّنْيا والآخرة، ليس خطرًا عليك في الآخرة فقط، بل حتَّى هو خطر عليك في الدنيا، رُبَّ كلمة واحدة عثرت بها فضيَّعت عليك مستقبلك، قطَّعت العلائـق بينك وبين الناس، أورثتك عداوة هائلة، أشـعلت النَّار فيما بينك وبين أصحابك أو بينك وبين جيرانك أو بينك وبين أقاربك، ولذلك يقول الشاعر:

جِرَاحَـاتُ السِّـنَانِ لَهَـا الْتِئَـامُ ... وَلَا يَلْتَـامُ مَا جَـرَحَ اللِّسَـانُ[(٣)]

إذا جرحت بالسيف أو السكين يمكن أن يلتئم جرحك بعلاج معيَّن، إلَّا جراحات اللسان لا تلتئم، كما قال الشاعر:

---

(١) رواه أحمد (١١٩٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٤٠٧)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلَّا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غيـر واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه وهذا أصح. عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد.

(٣) ذكره الثعالبي ولم ينسبه في اللطائف والظرائف صـ١٠٤.

QaradawiBooks.com

يَمُوتُ الفتى من عَثْرَةٍ بِلِسَانِه وليس يموتُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فعَثْرَتُه مِنْ فيه تَرمِي برأْسِه وعَثْرَتُه بالرِّجْلِ تُشْفَى على مَهْلِ(١)

هذه عثرات اللسان.

احفظْ لسانَك أيُّها الإنسانُ لا يَلْدَغَنَّكَ إنَّه ثُعْبَانُ
كم في المقابر من قَتِيلِ لسانِهِ كانت تهابُ لقاءَه الشُّجْعَانُ(٢)

هذا خطر الكلمة واللسان في الدنيا.

خطر اللسان في الآخرة:

أمَّا الخطر في الآخرة فهو الكثير وهو الأخطر، يهوي بها في جهنم، النبي ﷺ قال: «**ويل للذي يُحدِّثُ فيكذب لِيُضْحِكَ به القوم، ويل له، ثمَّ ويل له**»(٣). فالمسألة خطيرة.

ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٣]. يعرضون عن الكلام الَّذي لا فائدة منه ولا جدوى منه.

إذا كان هذا عن اللغو الَّذي لا فائدة فيه، فما بالك بما هو أكثر من اللغو؟ ما بالك بالكلام الكذب، الكلام الباطل، الكلام السوء، السبّ والشتم، ومدح الظالمين بالباطل، والتقرب إلى النَّاس بكلام ذي

(١) من شعر جعفر الصادق، كما في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٠٣/٢).
(٢) للإمام الشافعي، كما في مناقب الشافعي للبيهقي (٨٧/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
(٣) رواه أحمد (٢٠٠٢١)، وقال: مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزُّهد (٢٣١٥)، وحسَّنه. عن معاوية بن حيدة.

QaradawiBooks.com

الوجهين وذي اللسانين، والغيبة، والنميمة؟! وهذه الآفات الَّتي أوصلها الإمام الغزالي في ربع المهلكات من إحيائه إلى عشـرين آفة من آفات اللسان، كلها خطيرة، فصَّل العلَّامة عبد الغني النابلسي في هذه الآفات العشرين وأوصلها إلى اثنتين وسبعين آفة!

هذه الآفات خطر عليك في الآخرة؛ فلا بدَّ أن تلجم لسـانك بلجام الشرع، لا بدَّ أن تضبط أمرك، كان سيِّدنا أبو بكر يشير إلى لسانه ويقول: هذا الَّذي أوردني الموارد(١).

وكان بعض السـلف يُحصي ما يتكلم به، كان عند الربيع بن خُثَيم كراسة وقلم، فكلما تكلم كلمة كتبها، ثمَّ يحاسب نفسه في آخر النهار، ينظر فيما تكلم به: مـاذا فيه من خير؟ وماذا فيه من شـر؟ ماذا فيه من حسنات؟ وماذا فيه من سيئات؟

بعضهم يقول: لساني سبُع إن أطلقته أكلني(٢).

حاسب نفسك قبل أنْ تُحاسـب، احفظ هذا اللسان، حاسب نفسك على كل ما يخرج منه، كل مسلم ومسـلمة، كل رجل وامرأة، كل شيخ وشاب عليه أن يراقب الله في لسانه، أن يتَّقي الله في لسانه، فإنَّه مسؤول عن كلِّ ما يصدر منه.

العاقل يجعل عقله قبل لسانه:

الإنسـان مخلوق عاقل، أعطاه الله العقل، ومعنى هـذا أنَّه ينبغي ألا يترك نفسه يقول كل ما يشتهي، وكل ما يخطر على باله، لا، بل عليه أن

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٩٦).

(٢) صفة الصفوة (٤٦١/٢)، تحقيق أحمد بن علي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

ينظر في الكلمة الَّتي سيقولها: هل تنفعه أو لا تنفعه؟ أنت تملك الكلمة ما دامت في صدرك، فإذا خرجت منك ملكتــك، لم تعد تملكها أنت؛ فاحذر أن تخرج منك كلمة لا تكون في ميزان حسناتك، أو على الأقل إذا لم تكن في ميزان حسـنات لا تكون في ميزان سـيئاتك، تكون من المباح، من العفو، مع أنَّنا قلنا: المســلم يستطيع أن يجعل المباح عبادة إذا نوى الخير، ونوى وجه الله تبارك وتعالى.

يا أيُّها المسلمون، احذروا الكلمة، اتقوا الله في الكلمة، الكلمة أمانة، والكلمة مسؤوليَّة، ولا ينبغي للإنســان أن يُفرِّط في مسؤوليَّته، الإنسان المســلم إنســان واعٍ بصير لكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، يجتهد دائمًا أن يراقب ربَّه، وأن يحاسب نفســه، وأن يقف لها بالمرصاد، وأن يعرف أهذا له أم هذا عليه؟ وبذلك ينجو يوم القيامة؛ فإن الله ســائل كل عبد يوم القيامة عن كل نعمــة أنعمها عليه أحفظها أم ضيَّعها؟ أأدَّى حقَّ الله فيها أم ضيَّع حقَّ الله؟

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأســتغفر الله تعالى لي ولكم فاســتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

الخطبة الثانية

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي معكم في الخطبة الثانية كلمات ثلاث:

قمة الجنوب والعدالة المفقودة:

الكلمة الأولى عن قمة الجنوب الَّتي عُقدت في الأيام الماضية بالدوحة، الشمال الغني والجنوب الفقير، بلاد الجنوب يُعبَّر عنها أحيانًا بالعالم الثالث، وفيها بلاد لو كان هناك عالم رابع لنُسبت إليه؛ لأنَّها تعيش على ما دون مستوى البشر.

وأحيانًا يسمونها «البلاد النامية» إشارة إلى أنَّها في طريق النماء، مع أنَّ بعضها واقف محلك سر، كالثور في الطاحون، يسير ويسير والمكان الَّذي انتهى إليه هو الَّذي ابتدأ منه، ذلك لأنَّ عالم الشمال، عالم البلاد المتقدمة، العالم الغني يُنمّي التخلف حقيقة، يُركِّز فيها التخلف.

يسمونها «البلاد النامية»، وكانت في فترة من الفترات تُسمى «كتلة عدم الانحياز» أيَّام أن كان هناك قطبان كبيران أو معسكران عظيمان: المعسكر الغربي معسكر أمريكا وحلفائها، والمعسكر الشرقي معسكر الاتحاد السوفيتي وحلفائه، فكانت هذه الكتلة تعبر عن عدم الانحياز، ليست مع هذا المعسكر ولا ذاك.

وكان وجود هذين المعسكرين ووجود الخلاف بينهما رحمة للضعفاء من الناس، لأنَّ اختلاف الأقوياء رحمة للضعفاء، المشكلة حينما يتفق الأقوياء على الضعفاء، فاتفاقهم نقمة وليس رحمة،

QaradawiBooks.com

والمشــكلة الأخرى حينما يختفي أحد القطبين أو المعسكرين وينفرد بالعالم قطب واحد أو معسكر واحد، يتحكم كيف يشاء، رأيه هو الرأي، وأمره هو الأمر، وحكمه هو الحكم، هذه هي المشــكلة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

هذه إذنْ قمة العالم الفقير الَّتي تمُثِّل معظم البشر، يقول عنها: دول الســبعة وســبعين والصين. لأنَّها بدأت بهذا العدد، ولكنَّهــا الآن مائة واثنتان وثلاثون دولة، أي معظم العالم، أهل آسيا، وأهل أفريقيا، وأهل أمريكا الجنوبية، الصين وحدها ألف ومائتا مليون، والهند أكثر من ألف مليــون، يدخل مع هــؤلاء من عالــم الجنوب البــلاد العربيَّــة البلاد الإسلاميَّة، كلنا داخلون في هذا العالم الفقير المظلوم.

هذا العالم الفقير لا ينالــه من الثروة العالميَّة إلَّا نحو عشــرين في المائــة (٢٠٪)، وثمانون في المائــة (٨٠٪) من ثــروات العالم يأخذها عشرون في المائة من سكانه، هناك ظلم واضح.

عالم الشمال هذا كوَّن نفسه بانتهاب ثروات عالم الجنوب، بلاد آسيا وأفريقيا الَّتي استعمرها عالم الشمال قرونًا من الزمن، واستهلك ثرواتها، وامتصَّ خيراتها وأرزاقها، ونقلها إلى بلاده، وأقــام بنيته التحتية وكوَّن نفســه، ثمَّ ترك هذه البلاد متخلفة، كانوا يزعمون أنَّهم ذهبوا ليُرقُّوا هذه البــلاد، ما رقَّوها الترقيــة المطلوبــة، علَّموها تعليمًا يُخــرِّج موظفين، لا يُخرِّج علميين، لا يُخــرِّج مفكرين، لا يُخرِّج مثقفيــن، كان هذا هو التعليم الَّذي أشرفوا عليه أيَّام الاستعمار.

أشرفوا على الاقتصاد، ولكنَّهم لم ينموا الاقتصاد بحيث تطعم هذه البلاد من جوع، وتأمن من خوف، وتتحرَّر من الفقر، بقي الفقر وبقيت

QaradawiBooks.com

مشكلته في هذه البلاد، لم يكن الاستعمار أمينا، ولم يكن الاستعمار منصفًا، لقد أخذ ثروات هذه البلاد وتركها كما نراها حتَّى اليوم بلادًا (متخلفة)، يتلطفون معها فيسمونها «النامية»، هذا عمل الاستعمار.

وماذا يفعل الاستعمار معنا؟ يشتري منا المادَّة الخام الَّتي تخرج من بلادنا بأرخص الأسعار، لأنَّه هو الَّذي يحتكر سوق الشراء فيشتري منا بما يشاء، ثمَّ يُصنِّعها ويردها إلينا مُصنَّعة ليبيعها لنا بأغلى الأسعار، لنظل نحن هكذا متخلفين بلادًا نامية أو بلادًا نائمة، هكذا يريد الاستعمار.

لا يريد الاستعمار أن ننتقل من مرحلة إلى مرحلة، نحن بلاد زراعية ونستورد أكثر من نصف أقواتنا، الاستعمار يستهلك من ثروات العالم، عالم الشمال يستهلك من طاقة النفط أكثر ممَّا يستهلك العالم كله باثني عشر ضعفًا، أمَّا أمريكا فتستهلك أكثر ممَّا يستهلكه العالم بستة وعشرين ضعفًا، أمريكا هذه تتمتع وحدها بقارة كاملة، كان ماو تسي تونغ يقول: إننا في حاجة إلى إعادة توزيع سكان العالم، لأنَّه ليس معقولًا أن مائتين أو ثلاثمائة مليون تستمتع وحدها بقارة كاملة بكر مليئة بالخيرات، بينما يعيش مثلًا مائة وستون مليونًا في رقعة صغيرة في بنغلاديش وحدها، انظروا إليها على الخريطة، كيف يعيش هذا العدد في هذه البقعة الصغيرة الَّتي تغرقها الفيضانات كل عام، ولا تستطيع أن تقيم سدودًا، ولا تستطيع أن تقاوم الفقر.

هناك ظلم من الشمال للجنوب، من عالم الأغنياء لعالم الفقراء، وإذا كنا ننادي بالعدالة الاجتماعيَّة بين أبناء الوطن الواحد؛ فلماذا لا ننادي بالعدالة الاجتماعيَّة بين أبناء العالم كله؟ هذا ما ننادي به، وخصوصًا

QaradawiBooks.com

هؤلاء الَّذين استغنوا من ديارنا أساسًا، من البلاد النامية بلاد العالم الثالث، عليهم أن يسدوا الديون، هذا ما نطالب.

ولذلك شكر الله لقطر حينما طالبت بإنشاء صندوق لمساعدة الفقراء في هذه البلاد، وعلى الأغنياء أن يساعدوا، وعلى الآخرين من أهل الشمال أيضًا أن يمدوا أيديهم.

على بلاد الجنوب أنْ تتعاون فيما بينها، إن كانت قويَّة فهي قويَّة بأعدادها، بمواردها البشريَّة، هذه الآلاف من الملايين ليست هباءً ولا هدرًا، إنَّها قوة هائلة ولكن ينقصها التجمع، عليها أنْ تتجمع ولا تستجيب لوساوس القوى الكبرى الَّتي تريد أنْ تضرب بعضها ببعض، وأن يكيد بعضها لبعض لتقف هي متفرجة، وتتحكم في الجميع، عليهم أنْ يدركوا هذا الأمر، وأنْ يزيدوا التجارة البينيَّة بينهم، ويزيدوا العلاقات فيما بينهم، ويستنصر بعضهم ببعض، ويتقوَّى بعضهم ببعض، حينئذ يكونون قوة لها مكانتها.

هذا ما نرجوه من أهل الجنوب فيما بينهم، كما نرجو منهم أن يزيدوا من جرعات الحرية وحقوق الإنسان وإقامة العدالة ومحاربة الفساد وتوطيد الحريات العامَّة للشعوب، عليهم ألا ينفصلوا عن شعوبهم؛ فإنَّ أكثر ما يغري خصومهم بهم انفصالهم عن شعوبهم، إنَّهم يستغلون هذا الأمر ليمسكوهم به من خناقهم ويسيِّروهم كما يريدون، هذه ـ أيُّها الإخوة ـ كلمتي الأولى.

دعوة لإنقاذ مركز إسلامي في كندا:

وكلمتي الثانية: أنَّ هناك في غرب كندا أكبر مركز إسلامي للدعوة وللتعليم وللعمل الدعوي زاره بعض الإخوة من العلماء فوجدوا هذا

QaradawiBooks.com

المركز الكبير معروضًا للبيع لأنَّ عليهم ديونًا لا يستطيعون أن يسدُّوها، وأبدت الجالية اليهوديَّة في تلك المدينة استعدادها لشراء هذا المركز، والمسلمون هناك يستصرخون إخوانهم أن يمدُّوا لهم يد العون، لا يجوز أن يترك المسلمون مسجدًا إسلاميًا ومركزًا إسلاميًا تعليميًا ودعويًا وخيريًا وإنسانيًا يباع، ولا يجد المسلمون مكانًا يصلون فيه ويجتمعون فيه.

وقد تكفَّلت «جمعية الشيخ عيد بن مُحَمَّد الخيرية» في قطر أنْ تعمل على إنقاذ هذا المركز، يحاول الإخوة هناك أن يُجمِّعوا بعض المبالغ، ويحاول الإخوة في جمعية الشيخ عيد بن مُحَمَّد أن يُجمِّعوا أيضًا؛ فيا أيُّها الإخوة هذه مسؤوليَّة أمَّة الإسلام، لو وجدنا هناك من المسلمين من يستطيعون بمفردهم أن ينقذوا هؤلاء، هم يحتاجون إلى مليونين أو ثلاثة من الدولارات يمكن أن يدفعها واحد من أغنياء المسلمين لو وجدنا.

كثير من المسلمين يعتقد أنَّه لو بنى مسجدًا دخل الجنَّة، وهذا مسجد ومدرسة لتعليم الإسلام ودار لتحفيظ القرآن والدعوة إلى الإسلام وكفالة الأيتام وعمل الخيرات، فيه كل شيء، فأنا أدعو المسلمين أن يستجيبوا لدعوة «مؤسسة الشيخ عيد بن محمد» ويتبرعوا لهذا الأمر بما يوفقهم الله إليه، وسيكون ذلك في ميزانهم يوم القيامة حسنات ودرجات، هذا هي الكلمة الثانية.

شكر واجب:

الكلمة الثالثة: أشكر للإخوة والأخوات الَّذين استجابوا لدعوتي في الجمعة الماضية عن إرسال الأشرطة المسجلة لخطبي، فقد جاءت إجابات كثيرة وكثيرة جدًّا لهذه الدعوة من قطر، ومن البلاد العربيَّة، ومن

QaradawiBooks.com

خارج البلاد العربيَّة، من تركيا ومن إيران ومن أوربا ومن أمريكا أن هناك الكثيرين والكثيرات سجَّلوا هذه الخطب على الفيديو؛ فالحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشكر الإخوة الَّذين استجابوا للنداء، وبارك الله في الجميع، ونسأل الله أن يبارك في هذه الأمَّة، وأن يجعل يومها خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها.

اللهمَّ أكرمنا ولا تهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهمَّ إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلنا وأموالنا، اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهمَّ ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنًّا، سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١٦
الحقائق الثلاث

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

غلبة اليأس على أبناء الأمة:

قال صاحبي والهمُّ يُقيمه ويُقعده، والكآبة تَطْويه وتَنْشُره، لقيني وقد خيَّمت على وجهه سحابةٌ، سحابةٌ من الحزن واليأس، انتابته كما انتابت كثيرين من أبناء الإسلام في عصرنا هذا، وفي مرحلتنا هذه بالذات.

صاحبي هذا ليس فردًا؛ إنَّما هو نموذجٌ لكثيرين ممَّن أطفأ اليأس مصابيح الأمل في قلوبهم، وقطع خيوط الرجاء في أنفسهم، وسُدَّت عليهم المنافذ، فلم تنفذ إليهم أشعَّة الأمل في المستقبل.

قال صاحبي: أمَا لهذا الليل من آخر؟ أمَا لهذا الإسلام من غدٍ يُشرق؟

تُشرق شمسه، ويَطْلُع صباحه، وينتصر فيه الحقُّ على الباطل، والهدى على الضلال، والفضيلة على الرذيلة، وتعلو كلمة الله فيه على كلمة الطَّاغوت.

نسخة تجريبية

انهزام المسلمين في مجالات كثيرة:

قال صاحبي: طالما حدَّثتمونا أنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ الغد لهذا الإسلام، وأنَّ للإسـلام أيامًا مقبلة، وأنَّ القرن التاسع عشر إذا كان قرن الرأسماليَّة، والقرن العشرين إذا كان قرن الشـيوعيَّة، فإنَّ القرن الحادي والعشرين فهو قرن الإسلام.

طالما حدَّثتمونا عن هذا، سـمعناه منكم شفاهًا، وقرأناه لكم كتابةً، ولكن أين هذا اليوم؟ ونحـن ننهزم في كلِّ الميادين؛ ننهزم عسـكريًّا، وننهـزم اقتصاديًّا، وننهزم قبل ذلك نفسـيًّا أمام المعسـكرات المعادية للإسـلام، أمام القوى المُتَرَبِّصة بنا، الصليبيَّة تفعل فعلها، والصهيونيَّة تعمل عملها، والوثنيَّة تسير في طريقها، وكل القوى تعمل، ولا نستطيع نحن أن نقاوم، ولا نفعل شيئًا.

الصليبيَّة ومحاربتها للإسلام:

ها هي الصَّلِيبيَّة الجديدة تقيم المجازر في البوسـنة والهرسـك[1]، وتشحذُ السكاكين بعد البوسنة والهرسك لكوسوفو ومقدونيا وألبانيا.

ها هي الصَّلِيبِيَّة تحاربنا في الفلبين، وتحاربنا في جنوب السـودان، وتحاربنا تحت علم الأمم المتحدة في الصومال.

تحاربنا علانية، وتحاربنا مقنَّعة، وها هي تنتصر.

---

(١) مجزرة البوسنة والهرسك قام بها الصرب والكروات ضدَّ المسلمين في البوسنة، من مارس ١٩٩٢م حتـى نوفمبـر١٩٩٥م. تمَّ فيهـا قتل مئات الآلاف من المسـلمين، قُدِّرت بحسب إحصائيات المحكمة الجنائية الدولية بـ(٢٠٠,٠٠٠) نسمة، وتمَّ تهجير (٢,٢) مليون بوسني، وقد تمَّ استهداف النِّسـاء بشكل خاص، وتُشـير تقديرات لأعداد النساء اللاتي تعرَّضْن للاغتصاب ما بين (٢٠,٠٠٠) إلى (٥٠,٠٠٠) امرأة، وقد تمَّ هذا كلُّه على مرأى ومسـمع من العالم المتحضِّر!

QaradawiBooks.com

مجازر الصليبيَّة تقع على مشهد من العالم المتحضر ولا يفعل شيئًا:

الصليبيون القدامى صنعوا مجزرةً عندما فتحوا القدس، ولكن لم يسمع النَّاس بها، غاصوا في دماء النَّاس إلى الركب، عشرات الآلاف قُتلوا، إلَّا أنَّ النَّاس كانوا لا يسمعون بهذه المعارك، ولا يعرفونها، ولا يرونها، عُرِفت بعد ذلك بفترة من الزمن.

أمَّا اليوم فالمجازر الَّتي يصنعها الصليبيون الجدد تُرى وتُسْمَع، وتقع على مشهد من العالم، تنقلها الإذاعات، وتبثُّها التليفزيونات، والعالم المتمدن ـ العالم الجديد ـ يرى ويسمع ويشاهد، فماذا صنع العالم؟ ماذا صنع النظام العالمي الجديد؟ ماذا صنعت هيئة الأمم ومجلس أمنها؟

لم يصنعوا شيئًا! إنَّهم يقولون ولا يفعلون، يهدِّدون ولا ينفِّذون، يتكلمون كثيرًا ولا يصنعون شيئًا.

سلبيَّة المسلمين أمام هذه المجازر:

وماذا صنعنا ـ نحن المسلمين ـ أمام هذه الأحداث؟

لم نصنع شيئًا، أين فاعليَّة المؤتمر الإسلامي؟ أين إيجابيَّة الجامعة العربيَّة؟

لم نر شيئًا! الصَّلِيبيَّة تعمل عملها، الوثنيَّة تعمل عملها، دمَّروا مساجدنا، عذَّبوا إخواننا، ذُبِح مَنْ ذُبِح، ولا نجد من يستنكر بصوت عالٍ.

تحدث الأحداث في العالم العربي والعالم الإسلامي، ولا تقوم مسيرةٌ تحتج، مسيرةٌ سلميَّة ولو صامتة ترفع اللافتات!

ما الَّذي حدث لهذه الأمَّة؟

QaradawiBooks.com

انهزام المسلمين أمام الصهيونيَّة:

الصهيونيَّة انتصرت علينا عسكريًّا في بعض الحروب، ثمَّ ها هي تنتصر سياسيًّا، وتجعلنا نرضى بالدُّون وبالقرار الهون، ونوافق على ما كنَّا نرفضه من قبل، ونغيِّر كلَّ الثوابت، ونهز كلَّ المُقرَّرات، ونُغيِّر كلَّ المفاهيم، هذا ما نراه بأعيننا، أين المستقبل إذنْ؟

مشكلات البلاد الإسلاميَّة والعربيَّة كثيرة:

البلاد الإسلاميَّة والأقطار العربيَّة كلُّها تعاني من مشكلات داخلية، مشكلات مستعصية، مشكلات بعضها عضال، بعضها قديم، وبعضها جديد.

كلُّ البلاد تعاني من مشكلات، تعاني مشكلات داخلية، وتعاني ضغوطًا خارجيَّة.

بلاد الإسلام ترزح تحت الدُّيون:

بلاد الإسلام كلُّها ترزح تحت الدِّيون، مليارات من الدُّيون، اسْتُدِينت بالرِّبا الحرام، الَّذي آذن الله تعالى مرتكبيه بحرب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

والذي لعن رسول الله آكله وموكله، وكاتبه، وشاهديه(١).

اسْتُدِينت بالرِّبا الحرام، بالمليارات، حتَّى البلاد الغنيَّة، بلاد الوفرة ـ كما كانوا يسمونها ـ أصبحت تستدين.

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٥٩٨)، وأحمد (٣٧٣٧)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

حرب الخليج الأولى والثانية وأثرهما على الأُمَّة:

حرب الخليج الأولى وحرب الخليج الثانية عملتا عملهما، وأدَّتا مهمّتهما، وكان الحصاد أنَّ أموال المسلمين ضاعت، بسبب بعض المجانين والحمقى والطُّغاة، فعلوا الأفاعيل، فرُدَّ على هذه الأفاعيل بأفاعيل، وكانت النتيجة أن هُدِّمت بلادنا بأيدينا وأموالنا، ثمَّ نبنيها أو يبنيها لنا الآخرون بأموالنا، وكان من ذلك نفاد خزائننا.

تمزُّق الأمة الإسلاميَّة:

البلاد الإسلاميَّة والعربيَّة ممزقة شر ممزَّق، سياسيًّا واجتماعيًّا، الحكومات مختلفة، بل الشعوب مختلفة، بل الجماعات الإسلاميَّة فيما بينها مختلفة.

الفتنة بين الحكام والمحكومين:

وأشرُّ الفتن الَّتي أصبحنا نراها اليوم: تلك الفتنة بين الحكَّام والمحكومين، بين أولي الأمر والرعيَّة، بين السلطات من ناحية والدعاة والعاملين للإسلام من ناحية أخرى، فهناك صراعات في بلاد شتَّى، تسيل فيها الدماء، في الجزائر، وفي مصر، وفي غيرها.

هكذا قال صاحبي، أظهر الصورة قاتمة، نظر بمنظار أسود إلى ما يجري في داخل عالمنا الإسلامي وفي خارجه، القوى الخارجيَّة اتَّفقت كلُّها علينا.

الغرب يُعَادِينا فكيف نحاوره؟

قال لي صاحبي: هذا الغرب الَّذي تدعو إلى الحوار معه في كتبك، كيف نحاوره، وهو يحاول أن يسفك دماءنا، ويهتك حُرُماتنا، ويدمر علينا كل قواعدنا؟!

QaradawiBooks.com

هذا الغرب اليوم يتخذنا العدو الجديد، سقط العدو القديم، الاتحاد السوفيتي، فأصبح العدو المنتظر، عدو المستقبل هو الإسلام، سَمَّوه: الخطر الأخضر، بعد زوال الخطر الشيوعي الأحمر، وبعد المصالحة مع الخطر الأصفر، الخطر الصيني، الخطر الأخضر خطر الإسلام، هم يحذرون من هذا الخطر، ويخوفون منه، يُخوِّفون الحكام من هذا الخطر، ويقولون لهم: احذروا من الإسلاميِّين، هؤلاء أعداؤكم وأعداء المستقبل.

التخويف من الإسلام المعتدل:

ومن الغريب أنَّهم اليوم قد غيَّروا النغمة، كانوا قديمًا يقولون لهم: احذروا من المسلمين المتشددين، الإسلاميين المتطرفين.

أتدرون ماذا يقولون اليوم؟

احذروا من الإسلاميين المعتدلين، احذروا من الإسلام المعتدل، إسلام الوسطية، هذا هو الأشد خطرًا؛ لأنَّهم أطول عمرًا، هذا هو الَّذي يتسلل إلى العقول والقلوب، وهذا هو الَّذي يُقْنِعُ النخبة، ويجتذب الخاصة، ويؤثر في المثقفين، احذروا الإسلام المعتدل.

الإسلام لا يكون معتدلًا:

يقولون: الإسلام عنيف بطبعه، لا يمكن أن يكون معتدلًا؛ إنَّه يبدأ معتدلًا ثمَّ يتطرف، يتمسكن حتَّى يتمكَّن، فاحذروا من دعاة الاعتدال، واحذروا من الإسلام كله.

وهذا هو سر النغمة الَّتي نقرؤها ونراها في كتابات، وفي مقالات، وفي محاضرات للعِلْمانيِّين واللادينيِّين يقولون فيها: لا فرق بين هؤلاء

QaradawiBooks.com

وأولئك، دعاة العنف ودعاة الاعتدال سواء، الإرهابيُّون والَّذين ينكرون الإرهاب كلُّهم سواء.

وكما يقول صاحب الأرجوزة:

واحْذَرْ مـن التَّمْييـزِ والتَّصْنِيفِ ... ما بين داعـي الرِّفْـقِ والتَّعْنِيفِ
فكلُّ هـؤلاء فـي الهَوَى سَـوَا ... من لم يُمَارِسْ عُنْفَه فقد نَوَى[1]!

هكذا يحكمون عليهم بالنيَّات، من لم يصنع شيئًا سوف يصنع في المستقبل.

حرمة اليأس والقنوط:

هذه هي الصورة كما يراها صاحبي، وكما يراها كثيرون، ينظرون إلى الأمور تلك النظرة اليائسة القانطة، فهل نقبل هذه النظرة؟ هل نقبل هذا القنوط وهذا اليأس؟

إنَّ اليأس من لوازم الكفر في ديننا، والقنوط من مظاهر الضلال، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَا۟يۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. نحن لا نَيْئس ولا نقنط.

النظر إلى الصورة المضيئة لا الصورة المظلمة:

ولماذا ننظر إلى الأمور بهذه الصورة؟ لماذا ننظر إلى الجانب السلبي ولا ننظر إلى الجانب الإيجابي؟ لماذا ننظر إلى الجوانب المظلمة

(١) انظر ديواننا: المسلمون قادمون صـ٢٠٧ ـ ٢١٥، أرجوزة الأصوليُّون، على لسان العلمانيين وأجهزة الاستخبارات، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

ولا ننظر إلى الجوانب المضيئة، وما أكثرها؟ لماذا لا ننظر إلى الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة الَّتي هدى الله بها الملايين من الشباب والشابَّات؟

الجوانب المضيئة في الصحوة الإسلاميَّة:

هذه الصحوة الَّتي رأينا من آثارها: كيف عمَّرت المساجد بالمصلِّين في جميع الصلوات.

رأينا من آثارها: كيف ازدحمت مواسم الحجِّ ومواسم العمرة بالحجاج والمعتمرين.

رأينا من آثارها: انتشار الكتاب الإسلامي، واتِّساع دائرة قرائه.

رأينا من آثارها: قيام بنوك وشركات إسلاميَّة في المجال الاقتصادي.

رأينا من آثارها: أعمالًا إسلاميَّة في الجانب الإعلامي.

رأينا من آثارها: قيام مُؤَسَّسات اجتماعيَّة خيريَّة إسلاميَّة عالميَّة على مستوى القارات وعلى مستوى العالم.

رأينا من آثار الصحوة الإسلاميَّة: قيام الجهاد في أفغانستان.

صحيحٌ أنَّنا نبكي، وتدمع أعيننا، وتدمي قلوبنا لما يحدث من خلافٍ هناك، ولكنَّنا موقنون أنَّهم ـ إن شاء الله ـ سينتصرون على خلافاتهم، سينتصرون على المكائد الَّتي تكاد لهم.

الصحوة أحيت الجهاد في الأُمَّة:

الصحوة الَّتي صنعت الجهاد في أفغانستان، الصحوة الَّتي صنعت الجهاد في فلسطين، وأنشأت المقاومة الإسلاميَّة الباسلة، صنعت ثورة المساجد، وأطفال الحجارة، وأشبال الحجارة، الَّتي يقول بعضهم عنها:

QaradawiBooks.com

إنَّها حجارة لا تصيب العــدو. الَّذين كانوا يفخرون بهــذه الحجارة من قريب، أصبحوا يقولون عنها: هي حجارة لا تصيب العدو!

الصحوة وتديُّن المرأة المسلمة:

نحن ينبغي أن نذكر الصحوة الإسلاميَّة وما صنعت، كيف هدى الله بها الفتيات والنســاء، فارتدين الحجاب طوعًا بعد عقود من الســنين، كانت المرأة المسلمة فيها قد سبقت المرأة الغربيَّة في التعرِّي والتكشُّف، هذا كلُّه من صنع هذه الصحوة.

القوة الذاتيَّة في الإسلام:

الإســلام قويٌّ إذن، بقي الاستعمار الفرنســي مائة وثلاثين عامًا في الجزائر، يحاول أن يُذَوِّبها، أن يُلْغي شخصيَّتها الدينيَّة والتاريخيَّة، وذلك بمحاربة الإســلام والعربيَّة، بجعل اللغة الفرنسيَّة هي لغة التعليم، وهي لغة الدوائر الحكوميَّة، وهي لغة الحياة العامَّة.

قبعت اللغة العربيَّة في أقل مساحة ممكنة، في المدارس الدينيَّة وغير ذلك، القوانين فرنســيَّة، والتقاليد فرنســيَّة، والثقافة فرنســيَّة، والتعليم والتربية فرنسيَّة، كل شيء في الحياة أصبح فرنسيا، وقد ظنُّوا أنَّ الأمر قد استتبَّ لهم، وأنَّ قناة القوم لانت، واعتبروا الجزائر جزءًا من فرنسا.

الإسلام أعظم مُؤَثِّر في جهاد الأُمَّة:

ولكن ها هو الجهاد الَّذي قام، وكان الإســلام أعظم مُؤَثِّر فيه يقلب الموازين رأسًا على عقب، وتنتصر الجزائر، وتعود مستقلَّة.

إنَّ الجزائر بعــد أن انتصرت، وكمــا تعودنا دائمًا أنَّ الإســلاميِّين

QaradawiBooks.com

يزرعون والعِلْمانيِّين والاشـتراكيِّين يحصدون، فقامت دولة اشـتراكيَّة، ماركسيَّة، ديمقراطيَّة إلى آخره، ولكن الصحوة الإسلاميَّة غيَّرت هذا كله، وأصبح الشعب شعبًا إسلاميًّا في كُلِّيَّته ومجموعه.

الإسلام إذنْ قوي، لماذا لا نرى هذا كلَّه أيُّها الإخوة؟ لماذا ننظر إلى الجوانب المظلمة، ولا ننظر إلى المجالات المشـرقة الَّتي تجلت فيها قوة الإسلام؟

الإسلام لن يهزم أبدًا مهما كانت الشدائد:

الإسلام لن يهزم أبدًا، لن تنكس أعلامه، لن تسقط راية: لا إلٰه إلَّا الله محمدٌ رسـول الله، لقد عودنا الإسـلام على مدار تاريخه كله: أنَّه أشد ما يكـون قوة حينما تحيط به الأزمات والشـدائد مـن كل جانب، منذ حروب الردة في عهد أبي بكر ﷺ، ومنذ حـروب التتار والصليبيين، إلى عهود الاستعمار الجديد، انتصر الإسلام، لماذا لا نذكر هذا كلَّه؟

انتصار الإسلام على التتار:

في القرن السابع الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ جاء التَّتار ودخلوا بغداد، بعد أن أسقطوا دولًا في طريقهم، وداسـوا بخيولهم على جثث عشرات الآلاف، ودمَّروا الحضارة الإسلاميَّة الشامخة في بغداد، وسالت الدماء أنهارًا، وسـال مداد الكتب حتَّى اسودت مياه دجلة، وكان النَّاس يقولون: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدق.

ولكن مع هذا انتصر الإسـلام، انتصر الإسلام عسكريا على يد قطز بعد سـنتين فقط، سـنة ٦٥٦هـ سـقطت بغداد أمام هؤلاء التتار، وفي سنة ٦٥٨هـ كانت معركة عين جالوت في الخامس والعشرين من رمضان،

QaradawiBooks.com

الَّتي انتصر فيها قطز وجيشه المصري على هؤلاء الَّذين لم تقم لهم قائمة عسكريَّة بعد ذلك.

غير مرخصة للطباعة

التَّتار يدخلون في الإسلام:

ثمَّ انتصر الإسـلام عليهم مـرَّة أخرى، حينما دخلوا في الإسـلام، الأمير السـابع من أمرائهم الأحد عشـر دخل في الإسـلام، وأعلن أنَّ الإسلام هو دين الدولة، كان إسـلامهم في أوَّل الأمر إسلامًا ضعيفًا، ثمَّ حسـن إسـلامهم، وحكموا الهند بعد ذلك، حكم المغـول في الهند، وأقاموا حضارة يفخر بها أهل الهند أنفسـهم، لا زالت آثارها هي الَّتي تزار ممَّن يذهب إلى الهند من أنحاء العالم.

انتصار الإسلام دينيًّا:

انتصر الإسلام في الماضي عسكريًّا، وانتصر الإسلام دينيًّا، وانتصر في هذا القرن نفسـه مرَّة أخرى، حينما دخل إلى جزيرة سـومطرة في إندونيسـيا واسـتولى عليها، وذهب إلى ماليزيا، دون جيش فاتح، دون سيفٍ يشهر، دون جندي يقاتل، الإسلام انتشر عن طريق الدعوة في هذه البلاد، انتشر الإسـلام بعد أن ظنَّ النَّاس به الظنون، وبعد أن حسبوا أن بساطه قد طوي بعد سقوط بغداد.

الإسلام إذا ضُيِّق عليه انتصر في مكان آخر:

ولكنَّ الإسلام دائمًا إذا سـقطت له راية في مكان، ارتفعت له راية ورايات في أماكن أخرى، وسـرعان ما افتتح الإسـلام مجالات أخرى، السلاجقة الَّذين كانوا يقاتلون المسـلمين، أصبحوا مسلمين، دخلوا في الإسلام اختيارًا، وأصبحوا من أعظم ساسة الإسلام، وفتحوا المدارس،

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نظام الملك وغيرها من المدارس الإسلاميَّة المعروفة، افتتحها السلاجقة وأصبحوا يدعون إلى الإسلام بعد أن كانوا يحاربون الإسلام.

العثمانيُّون يفتحون القسطنطينيَّة:

وبعدهم العثمانيُّون كذلك، لقد تبنَّوا الإسلام، وقادوا عساكره، حتَّى افتتحوا القسطنطينيَّة، مدينة هرقل، عاصمة إمبراطوريَّة الروم الشرقيَّة، إمبراطوريَّة بيزنطة، فتحها مُحَمَّد بن مراد المعروف بمُحَمَّد الفاتح سنة ١٤٥٣ ميلادية، الإسلام طُرِدَ من الأندلس وافتتح القسطنطينيَّة.

الإسلام لا يمكن أن تغيب شمسه، إذا غابت شمسه في بقعة، طلعت في بقعة أخرى، هكذا تعوَّدنا ـ أيُّها الإخوة ـ من تاريخ الإسلام.

سقوط الشيوعيَّة:

ولذلك لا ينبغي أن نيئس أبدًا، لا ينبغي أن نقنط أبدًا، إنَّ المستقبل لنا، ولا زلنا نقول: إنَّ المستقبل لهذا الدين.

لقد سقطت الشيوعيَّة في بلادها الأم، وذهبت ريحها بعد أن كانت تهدِّد العالم بالغزو، وتوشك القوَّة الثانية أن تسقط إن شاء الله.

من كان يظن أنَّ الاتحاد السوفيتي بهَيله وهَيلمانه يسقط بهذه السرعة؟

الحضارة المادِّيَّة لا يمكن أنْ تدوم:

السوس ينخر في عظام العالم الغربي المتكبر المتعجرف، الحضارة المادِّيَّة الَّتي طغت على القوم، الإباحيَّة الَّتي أدت إلى الإيدز، الشذوذ

QaradawiBooks.com

الجنسي الَّذي باركته بعض الكنائس، وأقرته بعض القوانين عندهم، فأصبح شيئًا معروفًا.

هذه الحضارة المادِّيَّة الإباحيَّة النفعيَّة لا يمكن أن تدوم، سُنَّة الله أنَّ الباطل لا يدوم، من الوارث؟

الوارث ـ إن شاء الله ـ هو الإسلام.

المُبَشِّرات بانتصار الإسلام:

لا يمكن أن تسقط راية الإسلام ـ أيُّها الإخوة، قد تصيبنا محنٌ، وقد تنزل بنا الفتن، وقد تحيط بنا الشدائد، ولكن هذا كلَّه لن يفتَّ في عضدنا، لن يهزم الأمل في صدورنا، سنظل نتطلع إلى الفجر القادم، هل يستطيع أحدٌ أن يمنع أنوار الفجر؟ أن يوقف طلوع النهار؟

لا، كل ما في الأمر أنَّ اللحظات الَّتي تسبق طلوع الفجر أشد لحظات الليل سوادًا وحلكة، ثمَّ ينبثق بعدها الفجر، ونحن ننتظر فجر الإسلام من جديد ـ إن شاء الله.

معنا وعودٌ وبشائر من الله تعالى ورسوله ﷺ، ولن يخلف الله وعده، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

المُبَشِّرات من القرآن:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

QaradawiBooks.com

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، هذا هو الشرط.

المُبَشِّرات من السُّنَّة:

عندنا بشائر من كتاب الله تبارك وتعالى، وعندنا بشائر من رسوله ﷺ الَّذي قال: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار** ـ أي: يسود العالم كله ـ **ولا يتــرك اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبر** ـ بيتًا من حجارة أو بيتًا من شـعر، في الحاضرة أو البادية ـ **إلَّا أدخله الله هذا الدِّيــن، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذلًّا يُذِلُّ الله به الكفر**»[1].

وحينما سُئل عبد الله بن عمرو بن العاص: أي المدينتين تُفتح أوَّلًا، القسطنطينيَّة أو روميَّة؟

فدعا عبد الله بصنـدوق له حلق، قال: فأخرج منـه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا، قسطنطينيَّة أو روميَّة؟

فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تفتح أوَّلًا**»[2]، يعني: قسطنطينيَّة.

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شـرطهما، ووافقـه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمـد ورجاله رجال الصحيـح، غير أبي قبيل وهـو ثقة. والحاكم فـي الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

رومية: عاصمة روما، والقسطنطينيَّة: إستانبول الآن، وكأن الصحابة قد سمعوا أنَّ تلك المدينتَيْن ستُفْتَحان، فهم يسألون: أي المدينتَيْن تُفْتَح أوَّلًا؟

فأخبرهم النبيُّ ﷺ: مدينة هرقل تُفتح أولًا، أي: القسطنطينيَّة، وقد فُتحت كما سمعتم، فلم يبقَ إلَّا روميَّة، روما.

الإسلام يعود إلى أوربا بعد أن أخرج منها:

وهذا معناه دخول الإسلام إلى أوربا مرَّة أخرى، بعد أن طُرد منها مرَّتين: المرَّة الأولى: طُرد من الأندلس بعد ثمانية قرون، أقام فيها حضارة عالية الذرى، جمعت بين العلم والإيمان.

والمرة الثانية: بعد أن طرق أبواب فيينا في النمسا أربع مرات على يد العثمانيين.

طُرد الإسلام من أوربا وسيعود إليها، وفيه الخير كل الخير لهم لو علموا وأنصتوا، ليس الإسلام خطرًا إلَّا على الشرِّ والفساد والطغيان والإباحيَّة، إنَّه رحمة من الله، وليس خطرًا على الناس.

المُبَشِّرات من الواقع:

عندنا البشائر الكثيرة من رسول الله ﷺ، والتاريخ يُؤَيِّدنا، والواقع يقول: إنَّ الحضارة الغربيَّة المعاصرة لم تقم بحق الله، ولا بحق خلقه، أفلست في مَيْدان الروح والأخلاق، لم تستطع أن تغرس السكينة في النفوس، هيأت للإنسان القوَّة والثروة، ولكن لم تغرس في قلبه الإيمان، هيأت له المتعة، ولم تهيئ له السكينة، أعطته الرفاهية المادِّيَّة، ولم تعطه الطمأنينة الرُّوحيَّة؛ لأن هذه لا تأتي إلَّا من الإيمان، وإلا من ذكر الله، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

QaradawiBooks.com

الإنسان الغربي فقد الرسالة والغاية الحقيقيَّة:

أعطت هذه الحضارة للإنسان الوسائل والآلات، ولم تعطه المقاصد والغايات، الَّذي يعطيه المقاصد أن يحيا لغاية، أن يعيش لرسالة، أن يعلم أن لمعيشته طعمًا، وأن له نهاية، وأنَّه ليس مجرد تراب، يمشي على التراب، ويأكل ممَّا خرج من التراب، ثمَّ يصير إلى التراب، وقد ختمت قصته على ذلك. روحٌ يحلق في جسم، يفنى الجسم وتبقى الروح، إنَّه يحيا للخلود الَّذي أعد له، هذا ما يعطيه الإسلام أيُّها الإخوة.

الواقع يقول: إنَّ الحضارة الغربيَّة المعاصرة قد أفلست ولا يمكن أن تدوم، ولا بدَّ لها من وارث، ونحن الوارثون ـ إن شاء الله.

حقائق ثلاث أؤكدها:

أيُّها الإخوة:

حقائق ثلاث أحب أن أؤكدها في مقامي هذا:

الحقيقة الأولى: المستقبل لهذا الدين:

عندنا البشائر من القرآن الكريم، وعندنا البشائر من سُنَّة سيد المرسلين، ومن التاريخ، ومن الواقع، ما يملؤ صدورنا بالأمل في الغد، والرجاء في المستقبل.

هذه واحدة.

الحقيقة الثانية: الأجر على قدر المعاناة:

إنَّه على قدر المعاناة، وعلى قدر الصبر والمصابرة على ما نلاقيه في هذه الدُّنْيا من متاعب، يكون الأجر عند الله تبارك وتعالى.

QaradawiBooks.com

لا شك أنَّ المسلم في عصرنا يعاني كثيرًا ممَّن يُغريه بالشر، أو يعوقه عن الخير، ممَّا يدفعه إلى المعصية، أو يثبطه عن الطاعة، ولكن على قدر هذه المعاناة تكون المثوبة عند الله.

في الحديث الَّذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن أبي أمية الشعباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟

قال: أَمَا والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: «**بل ائتَمِروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودُنْيا مُؤْثَرة، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسك، ودعْ عنك العوامَّ؛ فإنَّ من ورائكم أيَّام الصبر فيهنَّ مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**».

وزادني غيره قال: يا رسولَ الله، أجر خمسين منهم؟

قال: «**أجر خمسين منكم**»[1].

أي فضل أعظم من هذا الفضـــل؟ أي أجر أجزل من هذا الأجر؟ أي دافع للعمل والثبات والجهاد في ســبيل الله، والاستمســاك بعروة هذا الدين، أعظم من هذا الحافز والدافع؟

الحقيقة الثالثة: نحن مطالبون بالعمل والدعوة لا بالنتائج:

إنَّنا مطالبون أن نعمل بهــذا الدين، وأن نعمل لهذا الدين، ونتعبد لله تعالى به ما دام فينا عِــرْقٌ ينبض، وعَيْنٌ تطرف، ونَفَس يتردَّد، لا نتخلَّى

(١) رواه أبو داود في الملاحم برقم (٤٣٤١)، والترمذي في التفســير برقم (٣٠٦٠)، وقال حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

عن هــذا الدِّين مهما أوذينا في ســبيله، سنستمســك بالعــروة الوثقى لا انفصام لها، نعبد الله ونجتنب الطاغوت، ندعو إلى كلمة ســواء، إلى كلمة الله، ندعو إلى كتاب ربِّنا، وسُنَّة نبيِّنا.

لن نتخلَّى عن هذا، سواءً انتصرنا أم لم ننتصر، نجحنا أم لم ننجح؛ لأنَّ المؤمن الحقَّ لا يعمل لمجرَّد النجاح، ولا لمحض النصر، إنَّه يتمنَّى أن ينتصر، ويســأل الله أن ينتصر، ولكنْ هبْه لم ينتصــر، هبه عاش كما عاش نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، وما آمن معه إلَّا قليل، حتَّى ابنه لم يؤمن به، حتَّى زوجته لم تؤمن به، هل يلام نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟

لا؛ إنَّه ظل يدعــو ربه ليلًا ونهارًا، وســرًّا وجهارًا، وهذا هو شــأن صاحب الرسالة، هذا هو شأن حملة الدعوة، أن يظل الإنسان داعيًا إلى الله، مُتقَرِّبًا إلى الله بالعمل له، وبالدعوة إليه، فــإنْ حقَّق الله له النجاح، وتحقَّقت الأهداف، قــال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وإن ســقط في وســط الطريق، أو لم يتحقَّق له ما يريد، كان قد أدَّى ما عليه، وأعذر إلى الله، وبلّغ الرسالة للناس.

المهمُّ هو الثبات على الحقِّ:

وهذا هو شأننا باعتبارنا بشــرًا مخلوقين، ليس في يدنا زمام الكون، لســنا الَّذين نخفض ونرفع، ونعطي ونمنع، الملك في يده، هو صاحبه يدبره كيف يشاء، ولا ندري أين يكون الخير.

المهم هو الثبات، الثبات على الحــق، المصابرة عليه، إمَّا أن نعيش من أجله، وإمَّا أن نموت في سبيله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

QaradawiBooks.com

وإنَّما يموت الإنسان مسـلمًا إذا عاش مسـلمًا؛ فالمرء يموت على ما عاش عليه، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

غير مرخصة للطباعة

فاثبتوا ـ أيُّها المسلمون ـ ولا تيئسوا.

يا صاحبي، يا من خيَّم عليك اليأس: لا تيئـس، لا تقنط؛ فإنَّ الغد لنا، والبشائر كلها معنا، ثمَّ إنَّ المعاناة تزيدك أجرًا ومثوبةً، ثمَّ إنَّ عليك أن تعمل، وليس عليك أن تنتصر.

علـيَّ السـعيُّ فيمـا فيـه نَفْعِي ... وليـس علـيَّ إدراكُ النَّجَـاحِ[1]

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر كشاجم. انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٣٥/١).

QaradawiBooks.com

نسخة مجانية

الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد ألا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

اللهمَّ أصلحْ لنا دينَنا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلحْ لنا دُنْيانا الَّتي فيها معاشنا، وأصلحْ لنا آخرتنا الَّتي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شر.

اللهمَّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمسنا، واجعلْ غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدُّنْيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًّا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

اللهمَّ لا تُهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا.

اللهمَّ انصرْ إخوانَنا المُجَاهِدِين في سبيلك حيث ما كانوا من أرض الإسلام.

QaradawiBooks.com

اللهمَّ أنقذ إخواننا المشردين والممتحنين، اللهمَّ افكُكْ بقوَّتك أسرهم، واجبرْ برحمتك كسرهم، وتولَّ بعنايتك أمرهم.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهمَّ آمين.

عبادَ الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٧
عقوق الوالدين

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

أرسلت إدارة الأوقاف منشورًا إلى خطباء المساجد، يحمل أمرًا نكَّد عليَّ عيشي، وأقضَّ مضجعي، قالوا: إنَّ بعض النَّاس يُدخلون آباءهم أو أمَّهاتهم في المصحَّات أو المستشفيات عندما تكبر سنهم، ثمَّ يَدَعُونهم ويهملونهم حتَّى من مجرَّد السؤال أو الزيارة، كأنَّما فرغوا من همومهم، ولم يعد لهم قِبَلهم أي حق، ورجتنا الإدارة أن تكون خطبة الجمعة عن هذا الموضوع.

وإنِّي لأعجب كل العجب، وأفزع كل الفزع أن يحدث هذا في ديار المسلمين، كنا نفاخر ـ نحن المسلمين ـ أهل الغرب من الأوربيِّين والأمريكيِّين: أنَّنا عندنا تماسك الأسر، ليست عندنا النزعة الماديَّة والأنانيَّة الَّتي وجدناها عندهم، فيا للأسف أصبحنا نقلدهم.

تمزق الأسرة عند الغربيين:

رأينا الغربيِّين لا يعرفون للأسرة معنى، الأسرة عندهم الزوج والزوجة، والعلاقات الإنسانيَّة لا وزن لها ولا قيمة، بمجرد أن يكبر

نسخة ...

QaradawiBooks.com

الولـــد ـ أو تكبر البنت ـ لا يُفكـــر في أبٍ ولا أُمٍّ، إذا بلـــغ المرء الكبر ـ رجلًا كان، أو امرأة ـ فهو يحمل همَّ نفسه، ولا يكاد الأب أو الأم يرى ابنه أو ابنته إلَّا يومًا في الســـنة يُســـمَّى عيد الأم أو عيـــد الأب، هكذا يفعلون، إذا كان أحدهم جيِّدًا أو طيِّبًا؛ فإن أقصى ما يفكر فيه أن يرسل لأبيه جزءًا من المال، ولا شـــيء عليه بعد ذلـــك، لا يزوره، ولا يصله، ولا يســـأل عنه، ولا يوده، وربما أدخله مصحَّة من المصحَّات، ولم يعد يحمل أي هم له، هذا هو حال الغربيين.

حدَّثني بعض الإخوة ممن يعيشـــون في أمريكا أن امرأة كبيرة السن كانت تسكن وحدها بيتًا أو شقَّة من الشقق، وفي يوم من الأيام لم يشعر جيرانها لها بحركـــة، ولا بصوت، ولا بنفَسٍ، يوم ويـــوم ويوم، ثمَّ دقُّوا عليها الباب فلم يردَّ أحد، فأبلغوا الشـــرطة، فجاءت الشرطة واقتحمت الباب ودخلت، فإذا المرأة جثة هامدة، بـــل رِمَّة بالية، ظهر نتن ريحها، ماتت من عدة أيام ولم يشعر بها أحد، ولما سألوا عنها عرفوا أن لها أبناء وبنات هنا وهناك، ولكن كلًّا منهم مشغول بنفسه، هذا هو حال الغربيين!

ولذلك نجد الشيخوخة في تلك البلاد موحشة كل الإيحاش، مُفزعة كل الإفـــزاع، إذا بلغ الرجل من الكبر عِتيًّا، أو بلغت المرأة ســـن الكبر؛ فإنها لا تجد أحدًا يؤنس وحشتها، أو يرافق وحدتها، أو يزيل كربتها، إنَّها تعيش في هم مقعد مقيم، ولذلك نجد هـــؤلاء يقتنون الكلاب والقطط، ويعايشـــون هذه الحيوانـــات الأليفـــة، لأن الأبناء والأحفاد لـــم يعودوا يعرفونهم، فوجدوا الوفاء والود عند هذه الحيوانات، وجدوا الكلب أوفى من الإنســـان، وأكثر وُدًّا من الابن والبنت، ولهذا اضطروا أن يقتنوا هذه الحيوانات، ولذلك نجد كل رجل كبير أو امرأة كبيرة يجر وراءه كلبًا.

QaradawiBooks.com

أنحن المسلمين وصل بنا الحال إلى أن نودع آباءنا وأمهاتنا المستشفيات، والمصحَّات، والملاجئ، ثمَّ لا نهتم بهم؟ أين ما أمر به الإسلام؟ أين ما أمر به القرآن وأحاديث الرسول ﷺ: من البر والإحسان، والنهي عن عقوق الأبوين؟

فرضية بر الوالدين:

إن بر الأبوين أصل من أصول الفضائل ومكارم الأخلاق، ومن أوائل الفروض الدينية في الإسلام، ترتيبه في الإسلام بعد توحيد الله تبارك وتعالى، حق الله أولًا، ثمَّ حق الوالدين ثانيًا، ألم نقرأ في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]؟

بعد الشكر لله يأتي الشكر للوالدين، فـ «**مَنْ لم يشكر النَّاسَ لم يشكر الله**»[1]، ومَنْ لم يشكر لوالديه لم يشكر لأحد من الناس، مَنْ لا خير له في أمه ولا أبيه؛ كيف يكون فيه خير لمخلوق بعد ذلك؟ أيجوز أن يُهمل الرجل أباه وأمه من أجل أي مشغلة من مشاغل الدنيا؟ من أجل زوجة؟ أو من أجل ذريَّة؟ أو من أجل تجارة؟ أو من أجل مكسب؟ أو من أجل قناطير مقنطرة من الذهب والفضَّة؟ لا والله لا يجوز، لا يجوز هذا أبدًا.

(١) رواه أحمد (٧٥٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

عقوق الوالدين:

ورد في حديث رواه الترمذي: «**إنَّ من أسباب البلاء: أن يطيع الرجل زوجته ويَعقَّ أمَّه، وأن يُدني صديقَه ويجفو أباه**»[١]. عقوق الوالدين من أسباب البلاء الَّتي تنزل بالأمة، هو من أكبر الكبائر، يأتي بعد الشرك بالله تعالى، كما في الحديث المتَّفق عليه عن أبي بكرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «**ألا أدلكم على أكبر الكبائر؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله تعالى، وعقوق الوالدين**». وكان متَّكئًا فجلس، ثمَّ قال: «**ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وقول الزور**»[٢]. فعقوق الوالدين يأتي بعد الشرك بالله.

وقال أيضًا: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»[٣]. انظروا كيف وضع عقوق الوالدين بين الشرك بالله تعالى وقتل النفس الَّتي حرَّم الله قتلها؟

العقوق من أكبر الكبائر، كما جاء في الحديث الصحيح الآخر: «**إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**». قيل: يا رسولَ الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ استغرب الصحابة، الَّذين ربَّاهم الإسلام وهذَّبهم: أن يصدر من ابنٍ لعنًا أو سبًّا لوالديه، فقال: «**يسبُّ الرجل أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه**»[٤]. أي إنَّه لا يلعنهما مجابهة أو مشافهة، ولكن يتسبَّب في لعنهما، فمن أكبر الكبائر أن يجلب الإنسان اللعن على والديه، بأن يلعن الآخرين أو يسبهم؛ فيردوا عليه، ويكيلوا له الصاع صاعين، فهذا

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢١٠)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٤٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٠٧)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٧٥)، وأحمد (٦٨٨٤)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

من أكبر الكبائر، فما بالكم بمن يسب والديه عيانًا بيانًا، جهارًا نهارًا، مواجهة مشافهة؟ كيف يكون الأمر في مثل هذا؟ فمن أكبر الكبائر أن يلعن الإنسان والديه، أن يتطاول عليهما.

كيف وقد نهى الله تعالى عن مجرد التأفُّف، عن قول: أفٍّ لهما. وخاصة في حالة الكِبَر، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

انظروا إلى قوله: ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾. أي: في حالة الكِبَر تكون أنت أيُّها الابن المأوى والملجأ لوالديك، فهما عندك، كأنهما وديعة أو أمانة عندك، لاحظ هذه العنديَّة: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾، ومرحلة الشيخوخة مرحلة حسَّاسة يكون الأب والأم فيها في مرحلة من الحساسية ورقَّة المشاعر، فإيَّاك أن تجرحهما بكلمة مؤذية، ولو مجرد التأفف. ﴿أُفٍّ﴾: كلمة تدل على التضجُّر، يقول الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب: لو علم الله في العقوق شيئًا أدنى من أفٍّ لحرمه[1]. ليس هناك أدنى ولا أقل من أفٍّ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، سواء كان هذا الانتهار بالقول أو بالفعل.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فيه اللطف والرقة، فيه الاحتشام والاحترام، حتَّى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يُجز الإسلام أن يجبه الرجل والديه بما يؤذيهما، وبما ينال من حقِّهما،

(١) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٣/٣٥٣)، تحقيق السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

ولذلك ذكر العلماء أن هناك مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هناك البيـان والتعريـف، وهناك الوعـظ والتخويف، وهنـاك التقريع والتعنيف، وهناك الأخذ على اليد، وهناك القهر والمحاربة.

وليس للابن مع أبيه أو أمه إلَّا المرتبتان الأوليان: البيان والتعريف، أن يقول له: هذا حلال وهذا حرام، هذا خطأ وهذا صواب، هذا معروف وهـذا منكـر. أو الوعظ والتخويـف، يخوفـه بالآخرة ويـوم القيامة، وما يحدث فيه، يقول: حرَّم الله كذا، وذكر أنَّ عاقبته كذا. أمَّا أن يُعنِّف، أمَّا أن يغلظ فلا، حتَّى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، اخفض لهما جناحك، والذل هنا محمود، ذل الإنسـان لأبويه، وهو كناية عن فرط الشفقة والتواضع، رعايةً لحقهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، اذكر مرحلة الطفولة، يوم لم تكن لك سـنٌّ تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسـعى، ولا قوة تجهد بها؛ مَنْ كان يرعى أمرك؟ إنهما أبواك، طالما سـهرا لتنام، طالما تعبا لترتاح، الأم في داخل البيـت، والأب في خارج البيت؛ أفبعد ذلك تجزي الإحسـان بالسـوء، والعرفان بالنكران؟ ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]؟

لا يجوز هذا في منطق الإسلام، ولا في منطق المروءة ومكارم الأخلاق، ولا في منطق الإنسـانيَّة الراشـدة، لا يجوز للإنسان أن ينسى هذا.

وقد شـهد ابن عمر رجلًا يمانيًا يطوف بالبيـت، حمل أمه وراء ظهره، يقول:

إنِّـي لهـا بعيرُهـا المُذَلَّلْ ... إن أُذْعِرَتْ رِكَابُهـا لم أُذْعَرْ

QaradawiBooks.com

ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة[١]. زفرة من زفرات الطَّلْق وألم الوضع! لم تؤدِّ زفرة من زفرات آلام الطلق والوضع، من حقِّ تلك الَّتي حملتك كُرْها، ووضعتك كُرْها، وهنًا على وهن، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب يقول: يا أمير المؤمنين، إن أمي بلغت من الكبر عتيًّا، وقد بلغ من شيخوختها وضعفها أنِّي أصنع لها في كبرها ما كانت تصنع لي في صغري، حتَّى إنَّها لا تقضي حاجتها إلَّا وظهري لها مطيَّة؛ أأكون بذلك قد أدَّيت حقَّها؟ قال: لا؛ إنَّها كانت تفعل بك ذلك وأنت طفل رضيع، وهي تتمنى لك عمرًا طويلًا، أمَّا أنت فتصنع بها اليوم ذلك، وأنت ترجو موتها غدًا أو بعد غد[٢]. فرق كبير بين الأمرين!

حقُّ الأبوين حقٌّ عظيم، فلا يجوز للإنسان أن يهمله، وخاصة في حالة الكبر، جاء في صحيح مسلم، أنَّ النبي ﷺ قال: «**رغِم أنفُه، ثمَّ رغِمَ أنفُه، ثمَّ رغِم أنفُه**». دعاء من النبيِّ ﷺ، أو خبر عن هذا الإنسان، أي لصق بالرغام والتراب، ما يعني الذل، أذله الله، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كليهما، ثمَّ لم يدخل الجنَّة**»[٣]. فرصة أن يدرك الإنسان أبويه عند الكبر ليخدمهما، ويكرمهما، ويحسن إليهما فيدخل الجنَّة برضاهما، بدعائهما.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١)، والمروزي في البر والصلة (٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٥٠).

(٢) البر والصلة لابن الجوزي صـ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥١)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يقول الناس: يا بركة دعاء الوالدين. ولكن هناك أناسًا لا يستمطرون إلَّا الدعاء عليهم من والديهم، ما بركة إنسان أو قيمته، حين يلعنه والداه، ويدعوان عليه؟ يعيش في سـخط! والنبي ﷺ يقول: «**رضا الله من رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»(١). والوالد هنا يعني: مَنْ ولَدَه أمًّا أو أبًا، كما جاء في بعض الأحاديث: «**الوالدَيْن**»(٢). بدل الوالد.

رضا الله في رضاهما، وسخط الله في سخطهما، وطاعة الله في طاعتهما، ومعصية الله في معصيتهما، يأتي حقهما بعد حقِّ الله، يجب أن يُطاعا إلَّا في المعصية، فلا طاعة لأحد فـي معصية الله، «**لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق**»(٣). لو أمـرك الأب أو الأم بترك فريضة، أو فعـل مُحرَّم فلا طاعة لهما، لأنَّ حقَّ الله أعظم من حقِّهما، حقُّ الله فوق حق المخلوقين جميعًا.

ولهذا لو تعارض بر الوالدين وطاعتهما مع سنَّة: قُدِّم بر الوالدين، لو أمراه بترك سـنة يطيعهما، لو أمراه بفعل مكروه يمكـن أن يطاعا، لأن فرضية بر الوالدين أهم وأقوى من المكروه، ولكن لو أمراه بترك فريضة، أو فعل شيء مُحرَّم؛ فلا يجوز أن يطيعهما في معصية الله ﷻ.

ومن الواجبات ما كان فرض كفاية لا يجوز أن يفعله المسـلم إلَّا برضا الوالدين، ولذلك صحَّت أحاديث عديدة جاء فيها مَنْ يطلب من النبـي ﷺ أن يجاهـد، يبايعـه علـى الجهـاد، قـال فـي بعضهـا:

---

(١) رواه الترمـذي في البر والصلـة (١٨٩٩) مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح وقفـه، والحاكم في البر والصلة (١٥١/٤)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥١٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٤٤٥).

(٣) رواه عبد الله في زوائد المسند (١٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

«**أحيٌّ والداك؟**». قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[١]. أي: اجعل جهادك في برهما وإكرامهما، وبعضهم قال: جئت أبايعك على الجهاد، وتركت أبواي يبكيان. قال: «**ارجعْ فأضحِكْهما كما أبكيتَهما**»[٢]. وقال لبعضهم: «**ارجعْ فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فقابل الله ببرهما**»[٣]. وقال بعضهم: جئت أبايعك على الهجـرة والجهاد، وتركت أمي. قال: «**ألك أم؟**». قال: نعم. قال: «**اذهبْ فالزَمْها فإنَّ الجنَّة عند رِجْلَيْها**»[٤].

هكذا قدَّم النبيُّ ﷺ برَّ الوالدين علـى الجهاد، ما دام الجهاد فرض كفاية، ما دام هناك من أهل الإيمان والإسـلام مَنْ يقوم مقامك، ولكن حينما يكون الجهاد فرض عين، حينما يُهاجَم بلدٌ مسـلم من الكفـار؛ فعلى أهله أن يهبوا جميعًا هبَّة رجل واحد ليدافعوا عن دارهم، ولا يُسمع في ذلك قول أبٍ ولا أم؛ لأنَّ الجهاد هنا فرض عين، وبرُّ الوالدين فرضُ عَين، ولكن فرض العين الَّذي يتعلق بالجماعة، وبقاء الجماعة مقدَّم على فرض العين المتعلق بالأفراد.

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله لي ولكم فاسـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسـير (٣٠٠٤)، ومسـلم في البـر والصلة والآداب (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حسـن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسـائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٣٠)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٢٢)، والحاكم في الجهاد (١٠٣/٢)، وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: دراج: واهٍ. وقال الألباني في الإرواء (١١٩٩) بعد أن ذكر كلام الذهبي: لكن الحديث بمجموع طرقه صحيح. عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مُخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحَّحـه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهـاد، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥)، عن معاوية بن جاهمة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٨
صلة الرحم

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إحسان الصّلة بالله ثمَّ بالنَّاس:

يقوم الإسلام على دعامتين أساسيتين:

الدعامة الأولى: إحسان الصّلة بالله تبارك وتعالى، واهب الحياة، وواهب الرزق، ومالك الأمر كلّه، وربّ النّعم كلّها، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النَّحل: ٥٣].

والدعامة الثانية: إحسان الصلة بالنَّاس، أن تعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ولا تبغي على أحد.

وأول مَن يجب أن تُحسن الصلة بهم: هم الوالدان والأولاد، فحقُّ الوالدين بعد حقّ الله تبارك وتعالى، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النّساء: ٣٦]، وقد تحدَّثنا عن حقّ الوالدين والأولاد، قبل ذلك.

وحديثنا اليوم عن حقّ الأرحام، حقّ الأقربين، حقّ ذوي القربى، وهو الحقُّ الَّذي يأتي بعد حقّ الوالدين والأولاد، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النّساء: ٣٦].

QaradawiBooks.com

ذوو القربى، أو أولو القربى، أو الأقربون، أو أولو الأرحام، كلُّها تعبيرات عن شيء واحد، أولئك الَّذين يجمعك بهم النسب، أو الدم، أو الخؤولة، أو العمومة، أو غير ذلك ممَّا يربط النَّاس بعضهم ببعض من هذه الناحية.

حقوق ذوي القربى:

هؤلاء لهم حقوق في الإسلام، والله تعالى قد وصَّى بهم، وحذَّرنا أن نقطع الأرحام، فبعد أن أمرنا بتقواه، أمرنا أن نتَّقي الأرحام أن نقطعها، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النّساء: ١].

كان العرب في الجاهليَّة يعتزُّون بالعشيرة، كانوا يعرفون معنى القرابة، ومعنى العشيرة، ولكنَّهم جعلوا من التواصل بين الأقرباء لونًا من العصبية، بحيث يعتزُّ بعضهم ببعض، ويؤازر بعضهم بعضًا في الحقّ وفي الباطل، في العدل وفي الظلم، كان شعارهم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» على ظاهر النصّ، سواء كان أخوك ظالمًا أم كان مظلومًا فأنت تنصره، ولكن الإسلام لم يُرد بصلة الأرحام هذا المعنى.

أراد أن يتواصل ذوو الأرحام في الخير لا في الشرّ، وفي البرّ لا في الإثم، وفي التقوى لا في الفجور، ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢]، لم يقرّ الإسلام ما كان عليه العرب، وفسَّر النَّبي ﷺ العصبية بقوله: «**أن تُعينَ قومَكَ على الظلم**»(١).

ولما قال لهم: «**انْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». دهش الصحابة أن

(١) رواه أحمد (١٦٩٨٩)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٩)، عن واثلة بن الأسقع.

QaradawiBooks.com

يقول النَّبيُّ ﷺ هذا اللفظ المعروف في الجاهليَّة، وقالوا: يا رسـولَ الله، ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟

قال: «**تأخذ فوقَ يدَيْه، تمنعُه من الظلم، فذلك نصرٌ له**»[1].

تنصره بمعنى: أن تمنعه من أن يظلم؛ فإنك حينئذ تنصره على نفسه الأمَّارة بالسوء، تنصره على هواه وشيطانه.

الإعانة في الشدائد:

الإسـلام حينما أمر بصلة الأرحام، أمر بهـا ليكون كلُّ ذي رحم لرحمه عونًا في الشـدائد، قـوَّة عند الضعف، نُصـرة عند الخذلان، مُقرضًـا إذا احتاج إلى القـرض، صلة الأرحام فيها حقوق المسـلم العادي، وفيها شيء فوق حقّ المسـلم العادي، أن يكون بينك وبين قريبك هذه المودة، هذه الصلة الَّتي تجعلك تزوره بين الحين والحين، وتسأل عنه، وتهتم بأمره.

الإنفاق عند الإعسار:

وأكثر من ذلك، ما أوجبه الإسـلام من نفقة القريب على قريبه عند يسر أحدهم وعسر الآخر، إذا كان قريبك معسرًا وأنت موسر، فالإسلام يوجب نفقته عليك، نظام النفقات في الإسلام يوجب نوعًا من التكافل بين الأسرة الممتدَّة الموَسَّعة، الأسـرة في الإسلام لا تشمل فقط الزوج والزوجة، أو الأب والأم والأولاد، وإنَّما تشمل الأقارب ـ أيضًا، من هنا كان هناك نظـام النفقات، مَن لم يؤدّه طوعًا، ألزمته المحكمة الشـرعية كرهًا، وهذا ما لم يعرفه غير المسلمين.

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

حكى أستاذنا الدكتور محمد يوسف موسى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما كان في فرنسا قال: كانت تخدمنا فتاة فرنسية، يظهر عليها الشرف ونجابة الأصل، وأنَّها من أصل كريم، جادة وقورة، تؤدّي عملها وتنصرف.

فسألنا، فعرفنا أنَّها من عائلة كبيرة، وأنَّ عمَّها صاحب المتاجر الكبيرة في الشوارع الفلانيَّة.

فسألوها: لماذا تعملين ولك مثل هذا العمِّ الغنيِّ الموسر؟

قالت: وما دخْل عمِّي بي؛ عمي غني، ولكنْ أنا فقيرة؟!

فقالوا لها: ينفق عليك!

قالت: ومَن يُلزمه بذلك؟ أعندكم مثل هذا النظام؟

قالوا لها: نعم، إن أيَّ عمٍّ عندنا لا يرضى لابنة أخيه أن تخدم في بيوت عزَّاب غرباء وهو غني قادر، إنَّه من نفسه لا يقبل هذا، ولو رفض أن ينفق عليها لألزمه القضاء عندنا بالنفقة.

فقالت الفتاة: ما أعظم هذا الدين! والله لو كان هذا عندنا، ما رأينا هذا الجيش الجرار من الفتيات العاملات في البيوت، وفي المعامل، وفي غيرها، إنهن يعملن لأنهن إذا لم يعملن لهلكن جوعًا، لا يسأل عليهن أحد من الأقارب.

نظام النفقات في الإسلام نظام تكافل عجيب، يجعل الأسرة كلَّها يصبُّ بعضها على بعض، يأخذ الغني بيد الفقير، والقوي بيد الضعيف.

هذا هو نظام النفقات.

وهناك نظام المواريث، فالإسلام جعل للقريب حقًّا في ميراث قريبه،

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بنظام معروف وحسب درجات القرابة، والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، وأولاد العمومة إلى آخره، العصبة، والأرحام، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وهناك نظام ثالث في الإسلام، يقوّي الرابطة بين الأقارب بعضهم وبعض، هو نظام العاقلة في الديات، أي إنَّ الإنسان إذا قَتل آخر خطأ، فإنَّ الدِّية تكون على عاقلته، أي: عصبته وأبناء عمومته، أهل القبيلة كلُّهم متضامنون في أن يحملوا عن هذا الَّذي قَتل خطأ عبء الدية.

هذا كلُّه جاء به الإسلام؛ ليقوّي الرابطة بين الأقارب بعضهم وبعض، فلا يجوز أنْ يتجافوا، أو يتدابروا، أو يتباعدوا.

لا، يقول علي بن أبي طالب لابنه: أكرم قرابتك؛ فإنهم جناحك الَّذي به تطير، وأصلك الَّذي إليه تصير[1].

ويقول الشاعر:

أخاكَ أخاكَ إنَّ مَن لا أخَا له ... كساعٍ إلى الهَيْجَا بغيرِ سلاحِ
وإنَّ ابنَ عمِّ المرءِ فاعلمْ جَنَاحُه ... وهل ينهضُ البازي بغَيْرِ جَنَاحِ[2]؟

صلة الرحم طريق إلى الجنَّة:

هذه هي منزلة القرابة، الأخوة، والعمومة، وأبناء العمومة، ينبغي أن تكون بين النَّاس هذه الصلة، وقد أكَّد الإسلام على هذه الصلة أشدَّ التوكيد، وجعلها من ثمرات الإيمان ولوازمه؛ فقال النَّبي ﷺ: «**مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَصِلْ رحمه**»[3].

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي صـ٢٦٢، نشر عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
(٢) من شعر مسكين الدارمي. انظر: تاريخ دمشق (٥٣/١٨).
(٣) رواه البخاري في الأدب (٦١٣٨)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

وجـاء أعرابي إلى النَّبيِّ ﷺ وهو في سـفر، فأخذ بخطـام ناقته أو بزمامها ثمَّ قال: يا رسـولَ الله ـ أو يا محمَّد ـ أخبرني بمـا يُقرِّبني من الجنَّة، وما يُباعدني من النَّار.

فكفَّ النَّبيُّ ﷺ، ثمَّ نظر في أصحابه، ثمَّ قال: «**لقد وُفِّقَ**»، أو «**لقد هُدِيَ**».

قال: كيف قلتَ؟

فأعاد، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**تعبُد الله لا تُشرك به شـيئًا، وتُقيم الصَّلاة، وتُؤتي الزَّكاة، وتصل الرحم. دع النَّاقةَ**»، أي: قد أجبتُك.

فلمَّا أدبر، قال رسول الله ﷺ: «**إنْ تمسَّكَ بما أُمِرَ به دخل الجنَّة**»(١).

صلة الرحم طريق إلى الجنَّة، كما أنَّ قطيعة الرحم تحرم صاحبها من ريح الجنَّة؛ فقد جاء في الصحيح: «**لا يدخلُ الجنَّةَ قاطع**»(٢).

فسَّرها بعض الرواة بقاطع الرحم، وفسَّـرها آخرون بقاطع الطريق، كأنَّ قاطع الرحم بمنزلة قاطع الطريق المحارب لله ورسوله، الساعي في الأرض فسادًا.

لا يدخل الجنَّة قاطع، مَن أراد الجنَّة فليصل رحمه.

صلة الرحم تطيل العمر وتوسّع الزرق:

ومَن أراد البركة في الرزق، والامتداد في العمر، فعليه بصلة الرحم؛

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٣)، ومسـلم في الإيمـان (١٣)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٤)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٥٦)، عن جبير بن مطعم.

QaradawiBooks.com

صحَّ في حديث أنس(١)، وحديث أبي هُرَيْـرة(٢)، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَن سرَّه أن يُبْسَط له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصلْ رحمه**».

مَن أحبَّ أن يُنسـأ له في أثره، أي: يُمدَّ له في أجله، وكيف يُنسأ له في الأثر؟ كيف يُمدُّ في الأجل؟ كيف يطـول العمر والعمر واحد، أيام معدودة، وأنفاس محدودة، لا تزيد ولا تنقص؟

إنَّ العمر إنَّما يطول بالبركة، هنـاك مَن يعيش مائة عام لا خير فيها، ولا بركة منهـا، وهناك مَن يعيش عمرًا قصيـرًا حافلًا بجلائل الأعمال، حافلًا بالصالحـات والخيرات، فهذا عمر عريـض وإن لم يكن طويلًا، البركة في العمر هي أن توفَّق لصالح العمل.

ثم هناك امتداد آخر في العمر، أن يترك الإنسـان وراءه ذكرًا حسنًا، وسـيرة طيّبة، تعطّر المجالس، كلَّما جاء ذكره قال النَّاس: رَحِمَهُ اللَّهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جزاه الله خيرًا، بارك الله في ذريَّته. لم يدعوا عليه، ولم يلعنوه.

هذا الذكر الحسن عمر آخر، كما قال شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ:

دقَّـاتُ قلـبِ المـرءِ قائلـةٌ له ... إنَّ الحيـاةَ دقائـقٌ وثـوانِ
فارفعْ لنفْسِـكَ بعد موْتِكَ ذِكْرَها ... فالذِّكْـرُ للإنسـانِ عُمْرٌ ثـانِ(٣)

مَن أراد أن يطول أجله فليَصِلْ رحمه، ومَن أراد أن يتَّسع رزقه فليصلْ رحمه، ومَن أراد الجنَّة فليصل رحمه، قال عبد الله بن سَـلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لمَّا قدم النَّبيُّ ﷺ انجفل النَّاس عليه، فكنتُ فيمن انجفل، فلمَّا تبيَّنتُ وجهه

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٧)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٥٧).
(٢) رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٥).
(٣) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥٨/٣)، في رثاء مصطفى كامل.

QaradawiBooks.com

عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أوَّل شيء سمعته يقول: «**أفشوا السَّـلام، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا والنَّاسُ نيام، تدخلوا الجنَّة بسلام**»[١].

صلة الرحم من أفضل الأعمال:

صلة الرحم من أفضل الأعمال عند الله تبارك وتعالى، حتَّى ورد أنَّ القوم تعمُر ديارهم، وتنمو أموالهـم، وليس لهم من صالح العمل كثير، ولكن يصنع الله ذلك بهم بتواصلهم، بصلتهم أرحامهم[٢].

صلة الرحم في الإسلام لها منزلة عظيمة، وقد صحَّ في الحديث: أنَّ الرحم معلَّقة أو متعلّقة بساق العرش تقول: «**مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله**»[٣]، يصل مَن وصلني، ويقطع مَن قطعني.

وقد جاء في بعض الأحاديث: أنَّ الرحم تسـتعيذ بالله من القطيعة، فيقول الله تبارك وتعالى لها: «**ألا ترضَيْـنَ أن أَصِلَ مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك؟**

قالت: بلى، يا ربّ.

قال: فذاك».

---

(١) رواه أحمد (٢٣٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٨٥)، وصحَّحه، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٤)، والحاكم في الهجرة (١٣/٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس: «إنَّ الله عَجَلَّ ليعمر بالقوم الدِّيار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضًا لهم». قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم أرحامهم». رواه الطبراني (٨٥/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٥٧): إسناده حسن.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٩)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٥٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

قال أبو هُرَيْرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمَّد: ٢٢][1].

انظروا إلى هذا التصوير، يصل الله مَن وصل الرحم، ويقطع مَن قطعها، ومَن وصله الله وصله بالخير، وصله بالبركة، وصله بالنماء، في نفسه وأهله وماله، وفي كلّ ما يتَّصل به، ومَن قطعه الله قطعه عن الرحمة والخير، ومن هنا قال أبو هُرَيْرة رضي الله عنه، بعد أن ذكر هذا: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾.

الذين يفسدون في الأرض، ويقطّعون أرحامهم ملعونون في كتاب الله عز وجل، ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمَّد: ٢٣]؛ لأنَّهم كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرَّعد: ٢٥]، أمر الله أن توصل الأرحام فقطعوها.

لماذا يقطع النَّاس أرحامَهم وقد أمر اللهُ أن توصل؟

إنَّها الدنيا، من أجل دنيا زائلة، من أجل عَرَض من أعراضها، من أجل النزاع على شيء تافه، يقاتل الأخ أخاه، يخاصم القريب قريبه، يجفو الرجل خاله وخالته، وعمَّه وعمَّته، يجفو أبناء عمومته وأبناء خؤولته، من أجل دنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة.

قطيعة الرحم تحجب المغفرة:

على النَّاس أن يعلموا أنَّ الله يقطع مَن قطع الرحم، حتَّى إنَّ الله تعالى ليوزّع مغفرته، ويفتح أبوابها على مصراعيها كلَّ يوم اثنين وخميس، قال

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٨٣٠)، ومسلم في البرّ والصِّلة (٢٥٥٤)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

النَّبي ﷺ: «**تُعرض الأعمال في كلِّ يوم خميسٍ واثنين، فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكلِّ امرئٍ لا يُشرك بالله شيئًا، إلَّا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتَّى يصطلحا، اتركوا هذين حتَّى يصطلحا**»(١).

المغفرة توزَّع عن يمين وشمال، ولكن يُحرم منها كلُّ مَن كانت بينه وبين أخيه جفوة وعداوة ومشاحنة، فهما مؤخَّران حتَّى يصطلحا، وخيرهما الَّذي يبدأ أخاه بالسَّلام، كما في الحديث: «**لا يحلُّ لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ، يلتقيان: فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرُهما الَّذي يبدأ بالسلام**»(٢).

لماذا يتجافى النَّاس وقد أمر الله بالأرحام أن تُوصل؟! حتَّى إنَّ النَّبي ﷺ يقول: «**ليس الواصلُ بالمُكافئ، ولكن الواصل الَّذي إذا قُطعت رحمه وصلها**»(٣).

أي: الواصل الحقيقي الَّذي يستحقُّ أن يُسمَّى واصلًا ليس هو المكافئ، الَّذي يكافئ مودَّة بمودَّة، وزيارة بزيارة، وهدية بهدية، وإحسانًا بإحسان، ليس هذا هو الواصل الحقيقي.

الواصل الَّذي إذا قُطعت رحمه وصلها؛ لأن الوصل لا يكون إلَّا بعد انقطاع، فلا يُسمَّى واصلًا إلَّا إذا كان من أقاربه بعض الجفوة أو المقاطعة، ولكنَّه يسعى إلى وصل ما انقطع، وردّ ما انفتق، ولهذا قال النَّبي ﷺ: «**إنَّ أفضل الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحِمِ الكاشح**»(٤).

---

(١) رواه مسلم في البرّ والصِّلة (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٣٩)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٧٧)، ومسلم في البرِّ والصِّلة (٢٥٦٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

QaradawiBooks.com

وذو الرحم الكاشح: هو الَّذي يُضمر العداوة في كشحه وباطنه، أفضل الصدقة عليه، فالصدقة كما جاء في الحديث الآخر: «**الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صلة، وصدقة**»(١).

حقُّ الأقارب بعد حقِّ الوالدين:

فالأقربون أولى بالمعروف، هذا ما تقرَّر عند المسلمين، ولهذا يعطف الله «الأقربين» على «الوالدين»، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، الأقارب لهم حقوق.

بعد حقّ الوالدين يأتي حقُّ الأقربين، إيتاء ذي القربى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النَّحل: ٩٠].

هؤلاء لهم حقوق يجب أن تُرعى، حتَّى وإن آذوك، حتَّى وإن أساؤوا إليك؛ فقد سُئل النَّبي ﷺ عن فواضل الأعمال، فقال: «**أن تصل مَن قطعك، وتُعطيَ مَن منعك، وتصفح عمَّن شتمك**»(٢).

هذه فواضل الأعمال ومكارم الأخلاق، تصل مَن قطعك، وتعطي مَن حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك، هذا هو الإسلام.

الشاعر العربي قديمًا قال يفخر بصلته بأقاربه، وأنَّه لا يجزي السوء بالسوء:

---

(١) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٢٥٨٢)، وابن حبان (٣٣٤٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في الجامع الصغير (٧٣٠٥)، عن سلمان بن عامر.

(٢) رواه أحمد (١٥٦١٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٢٠/١٨٨)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢٦٠٤)، عن معاذ بن أنس.

QaradawiBooks.com

وإنَّ الَّذي بَيْني وبيــنَ بني أبي وبين بني عَمِّــي لمُخْتَلِفٌ جِدًّا
إذا أكلوا لَحْمِــي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ وإن هدموا مَجْدِي بَنَيْتُ لهم مَجْدَا
وإنْ زَجَرُوا طيرًا بنَحْسٍ تَمُرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا تمُرُّ بهم سَعْدَا
ولا أحملُ الحِقْدَ القديمَ عَلَيْهِمُو وليس كبيرَ القومِ مَنْ يحملُ الحِقْدَا(١)

لا يحقد على أقاربه مهما أساؤوا إليه، فهم منــه وهو منهم، هكذا ينبغي أن يكون المسلم.

صحيح أنَّ ظلم الأقارب شديد على النَّفس، وهو ما عبَّر عنه الشاعر منذ الجاهليَّة، يقول طَرَفَة بن العبد في معلَّقته:

وظُلْمُ ذوي القربى أشدُّ مَضَاضَةً على المرء من وقع الحُسَامِ المُهَنَّدِ(٢)

فطعنة البعيد تجرح الجسم، وطعنة القريب تجرح القلب، ومع هذا لهم حقُّهم، وينبغي على المسلم أنْ يحاول استلال أضغانهم وأحقادهم بحسن المعاملة، الإنسان أسير الإحسان، أنت إذا أحسنتَ إلى مَن أساء إليك سيصبح في صفِّك، سيحبُّك بعد كره، سيقترب منك بعد بُعد، مهما كان الأمر فينبغي للإنسان أن ينسى الإساءة، أن يغسل قلبه من الأحقاد، أن يبيت صافيًا، لا غلَّ في نفسه.

يوسف الصدّيق يعفو عن إخوته:

يوسف عليه السلام لقي من إخوته ما لقي، وعاش حياة كد وتعب ومعاناة من أجل حسدهم، رُمي في الجبّ كما تُرمى الأحجار، وبيع كما تباع الشياه، وخدم في البيوت كما يخدم العبيد، وأُلقي في

(١) من شعر المقنع الكندي. انظر: الأغاني (١٧/٧٣).
(٢) ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمري صـ٣٦.

QaradawiBooks.com

السجن بضع سـنين كما يُلقى المجرمون، كلُّ هذا من أجل إخوته، الَّذين حسدوه، ولا ذنب له أن يحبَّه أبوه أكثر منهم، ولكنَّه يوم أمكنه الله، وأصبحت في يده خزائن الأرض، وكان صاحب السـلطة، ماذا قال لهم وقد عرفوه؟

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسف: ٩٠ ـ ٩٢].

وحينما جاء إليه أبـواه وإخوته ودخلوا مصـر جميعًا قال لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يُوسف: ٩٩، ١٠٠].

قال: ﴿أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾، ولم يقل: أخرجني من الجبّ، لا يريد أن يقلّب في الماضي.

وقال: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ نسـب الأمر إلى الشيطان، يريد أن يبدأ صفحة جديدة مع إخوته.

هكذا ينبغي أن يكون الأقارب بعضهم مع بعض.

أمَّا أن يصبح المثل السائد عند النَّاس: «الأخ فخٌّ، والعم غمٌّ، والخال وبال، والأقارب عقاربُ»، وتكون العلاقات بين النَّاس على هذه الوتيرة، فهذا ما لا يريده الإسلام.

QaradawiBooks.com

صلة الرحم تُكَفِّر الخطايا:

يريد الإسلام منَّا أن تكون العلاقة على أساس المودَّة والمحبَّة، مَن أراد أن يكفَّر عن ذنبه فليصل أقاربه، جاء رجل إلى النَّبي فقال: يا رسولَ الله، إنِّي أذنبتُ ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟

قال: «**هل لك من أمٍّ؟**».

قال: لا.

قال: «**هل لك من خالة؟**».

قال: نعم.

قال: «**فبَرَّها**»[1].

أي إنَّ برَّ الخالة وصلة هذه الأرحام تكفِّر الخطايا، وإن عظُمت.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ للأقارب حقًّا يجب أن يُرعى، ينبغي أن نحرص على هذه الخصائص الَّتي هي من خصائص حضارتنا، ومن خصائص ديننا، ومن خصائص أمَّتنا.

أمَّا الحياة الفرديَّة، حياة الأنانيَّة، أن يعيش كلُّ إنسان لنفسه، معزولًا عن أهله، معزولًا عن أقاربه، ومعزولًا عن أرحامه، فهذا ما لا يعرفه الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (٤٦٢٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البرِّ والصِّلة (١٩٠٤)، مرفوعًا ومرسلًا، ورجَّح المرسل، وابن حبَّان في البرِّ والإحسان (٤٣٥)، والحاكم في البرِّ والصِّلة (١٥٥/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

مَن كان بينه وبين أخيه شحناء، وكان بينه وبين أقاربه خصومة أو جفوة، فليصلح ما أفسده الدهر، فليحاول أن يعيد المياه إلى مجاريها، ليكن هو خير الطرفين، خير الطرفين مَن يبدأ بالسَّلام، مَن يمدُّ يده بالمصافحة، مَن يعلم أنَّ الدُّنْيا زائلة، وأنَّ الخير كلّ الخير في المعروف.

ولم أرَ كالمَعْرُوفِ، أمَّا مَذَاقُه فحُلْوٌ، وأمَّا وَجْهُه فجَمِيلُ[1]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) من شعر هذيل بن ميسر الفزاري. انظر: محاضرات الأدباء (٦٦٠/١).

QaradawiBooks.com

١٩

من وصايا سورة الإسراء: ترشيد الاستهلاك

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الإسلام لا يحرّم الطيبات:

وقفنا في وصايا سورة الإسراء عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٩، ٣٠]، أدب من آداب القرآن، وتربية من الله تبارك وتعالى للإنسان المسلم على حسن الاستهلاك، على ترشيد الاستهلاك كما يسمونه في عصرنا.

كثير من الاقتصاديين الَّذين يهتمون بتنمية المجتمعات ركزوا همتهم على زيادة الإنتاج، ولم يركزوا على ترشيد الاستهلاك، ولكن الاستهلاك والإنفاق إذا ما ساء وسار في غير طريق مستقيم كثيرًا ما يبدّد نتائج الإنتاج.

إنَّ التنمية قد تكون بأن تجعل النَّاس يزيدون إنتاجهم من ألف إلى ألفين، وقد تكون بأن تجعلهم ينقصون من استهلاكهم من ألفين إلى ألف، وقد تجمع بين الأمرين معًا، وهذا هو منهج الإسلام، أن تزيد من

QaradawiBooks.com

إنتاجك، وتقلّل وترشّد من استهلاكك، الاستهلاك الرشيد، الإنفاق المعتدل، هو ما جاء به الإسلام، بحيث لا يحرم الإنسان على نفسه طيبًا يحلُّ له الاستمتاع به، فهذا ما يرفضه الإسلام.

هناك مذاهب قبل الإسلام حرَّمت على الإنسان الطيبات وزينة الله الَّتي أخرج لعباده، نظرت هذه المذاهب إلى بدن الإنسان على أنَّه شرٌّ يجب التخلُّص منه، فيجب مقاومة كلّ ما يستمتع به هذا الجسد، تصفية الروح وترقيتها لا تكون إلَّا بتعذيب البدن الإنساني.

هذا ما جاءت به البوذية والصوفية الهندية والمانوية الفارسية والرهبانيَّة المسيحية والرواقية اليونانية، وغير هذه المذاهب والأديان.

ولكن الإسلام لم يحرّم على النَّاس الطيبات، بل ينكر هذا أشد الإنكار، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٣٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

لما ظهر في بعض المسلمين من الصَّحابة نزعة فيها شيء من الغلو والجنوح إلى نوع من الرهبانيَّة، كرهبانيَّة النصارى؛ فحرَّم بعضهم على نفسه أن يأكل اللحم، وحرَّم بعضهم على نفسه أن يقارب النّساء، نزلت هذه الآية وأمثالها: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

الإسلام لم يأت ليحرّم الطيبات بل ليحلها، كان من عنوان رسالة رسول الله ﷺ في الكتب القديمة من التوراة والإنجيل أنَّه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

QaradawiBooks.com

فلا حرج على المسلم أن يتمتع بما أحلَّ الله له من الطيبات، بشرط أن يؤدي شكر النعمة، وألا يتجاوز الحلال إلى الحرام، وهذا معنى قول الله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [المائدة: ٨٧]، وكما قال الله تعالى لأهل سبأ: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، اشكروا نعمة الله، هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام لم يحرّم على النَّاس أن يتجملوا ويتزينوا بزينة الله الَّتي أخرج لعباده، وانظروا إلى هذه الإضافة، أضاف الزينة إلى الله ﷻ؛ وذلك ترغيبًا في الاستمتاع بها، ليست زينة الشيطان، إنَّما هي زينة الله ما دامت في حدود الحلال، فمن الَّذي حرَّم الطيبات على النَّاس؟!

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

لا إسراف ولا تقتير:

جاء الإسلام فأباح للنَّاس الطيبات، ولكنَّه حين أباحها لهم لم يرضَ لهم أن يُسرفوا فيها، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين حدود الملائم والمعقول.

هؤلاء المسرفون لا يحبُّهم الله، وهذا الوصف، وصف الإسراف، وصف يكرهه الله تعالى، دمغ به البغاة والفسقة من عباده، قال تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]، وقال على لسان نبيه لوط عليه السلام للذين أتوا من الفاحشة ما أتوا: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

QaradawiBooks.com

فلا ينبغي للمسلم أن يتصف بالإسـراف، بل شأنه أن يكون معتدلًا في كلّ أموره، ومنها الإنفاق، ولهذا وصف الله عباد الرحمن فيما وصفهم به من أخلاق فقـال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفُرقان: ٦٧].

المسلم لا يتوسَّع ويخرج عن الحد، ولا يُقَتّر على نفسه وأهله ككثير من الأشـحَّاء، الَّذين يحرمون أنفسـهم من الطيبات بنـاء على أوهام، كخوف الفقـر، أو خوف ممَّا وعد به الشـيطان، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فهم يُقَتّرون على أنفسـهم، ويبخلون بحقوق الله فـي أيديهم، هذا البخيل الشحيح المقتّر الَّذي يمسـك بالمال في يديه ولا ينتفع به، هذا الَّذي قال فيه القائل: بشّر مال البخيل بحادث أو وارث[١].

إما أنْ تأتي حادثة فتأكل الأخضر واليابس في ماله ولا تبقي له شيئًا، وإما أن يموت صاحب المال ويترك هذا المال لمن يستمتع به من بعده من ورثته، الَّذين ربما يلعنونه.

لَئِيـمٌ لا يـزال يَلُـمُّ وفْـرًا لوارثِـه ويدفـعُ عـن حِمَـاهُ
ككَلْـبِ الصَّيْـدِ يُمْسِـكُ وهْــو طاوٍ فريسَـتَه ليأكُلَها سِوَاهُ[٢]

هذا مثل من يمسك المال لغيره.

الإسلام طلب منّا أن نوسّـع على أنفسـنا وعلى أهلينا في الحدود المعقولة، وسّـع يوسَّـع عليك، أنفق يُنفَق عليك، «**لا تُوعِي فيوعي اللهُ عليكِ**»[٣]، لا تُضَيّقْ فيُضيّق الله تعالى عليك.

---

(١) من كلام عبد الله بن المعتز، انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ٩٠.

(٢) من شعر أبي الحسن علي المنجم، انظر: المستطرف في كلِّ فن مستظرف صـ٨٢، ٨٣.

(٣) متّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٩١)، ومسلم في الزَّكاة (١٠٢٩)، عن أسماء بنت أبي بكر.

QaradawiBooks.com

هكذا شأن الإنسان المسلم، يستمتع بما آتاه الله تعالى، ولهذا لما رأى النَّبي ﷺ رجلًا عليه آثار الحرمان والخشونة رثَّ الثياب سأله: «**هل لكَ من مالٍ؟**».

فقال: من كلِّ المال قد آتاني الله ﷻ، من الإبل والرقيق والخيل والغنم.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «**فإنَّ الله ﷻ إذا أنعم على عبدٍ نعمة أحبَّ أنْ تُرى عليه**»[1]، «**إنَّ الله يحبُّ أنْ يرى أَثَرَ نعمته على عبده**»[2].

خطر المباهاة والمكاثرة:

هكذا جاء الإسلام، ولكنَّه في جانب آخر لا يريد من الإنسان أنْ يتوسَّع وأنْ يبالغ وأنْ يسرف، كما يقع في ذلك كثير من النَّاس، بل على المسلم أنْ يقتصد، والاقتصاد هو التوسُّط في الإنفاق، بحيث لا يحرم نفسه ولا يزيد عن الحد؛ فإنَّ الشيء إذا زاد عن حدّه انعكس إلى ضده.

لا ينبغي له أنْ يتوسَّع في المأكل أو في المشرب أو في الملبس أو في المسكن أو في المركب أو في شؤون الحياة، كما يتوسَّع النَّاس في عصرنا.

النَّاس في عصرنا توسَّعوا في الكماليَّات حتَّى أصبحت كأنَّها حاجيَّات، وتوسَّعوا في الحاجيَّات حتَّى أصبحت كأنَّها ضروريَّات، وأصبح هناك نمط استهلاكي ساد في مجتمعاتنا، بحيث لم يعد يكفي القليل، ولا الشيء الوسط، ويقلّد هذا ذاك، الفقير يقلّد المتوسط،

(١) رواه أحمد (١٥٨٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في اللباس (٥٤١٧)، والطبراني (١٣٥/١٨)، عن مالك بن نضلة.

(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٩)، وحسَّنه، والطيالسي (٢٣٧٥)، والحاكم في الأطعمة (١٣٥/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والمتوسط يقلّد الغني، والغني الميسور شيئًا ما يقلّد الغني صاحب الملايين، ودخل النَّاس في مباهاة ومكاثرة أفسدت عليهم حياتهم.

غير مرخصة للطباعة

إرهاق النَّفس بالاستدانة:

كم من أناس يشترون ما لا حاجة لهم به، وما يمكن أن يستغنوا عنه، ولكنَّهم دخلوا في سوق المكاثرة والمفاخرة فاشتروا ما يضيّق عليهم، وربما استدان، اشترى بالدَّين أو بالتقسيط، والتقسيط نوع من الدَّيْن - أيضًا.

ولا ينبغي للإنسان أن يُرهق نفسه بالدَّيْن، الأصل في المسلم ألا يستدين ما أمكنه ذلك؛ فقد كان النَّبي ﷺ يستعيذ بالله من الدَّيْن، «**من ضَلَع الدَّيْن، وغلَبة الرجال**»[1]، فالدَّين همٌّ بالليل ومذلَّة بالنَّهار.

وكان النَّبي ﷺ يستعيذ بالله من «**المأثم والمغرم**»، والمأثم هو: الإثم والمعصية، والمغرم هو: الاستدانة. فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم!

فقال: «**إنَّ الرجل إذا غرم حدَّث فكَذَب، ووعد فأخلف**»[2].

المستدين يُحَدِّث فيكذب، إذا جاء صاحب الحقِّ يطلب منه حقَّه قال لأهله: أخبروه أنِّي غير موجود هنا، أو أنِّي مسافر، فيكذب، ويَعد فيُخلف، يقول: أسددك وأقضي دينك بعد أسبوع، أو بعد شهر، ويأتي الأسبوع ويأتي الشهر ولا يوفِّي ما عليه.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصَّلاة (٥٨٩)، عن عائشة.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

يُحَدِّث فيكذب، ويعد فيخلف، كلُّ هذا من جرَّاء المغرم، من جراء الاستدانة، وربما مات وهو عليه الدَّيْن، وفي هذا مسؤوليَّة كبيرة أمام الله ﷻ.

الديون خطيرة، لا يُكَفِّرها صلاة ولا صيام ولا حج ولا عُمرة، بل جاء في الحديث الصحيح حديث مسلم: «**يُغفر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن**»(١).

ديون العباد، حقوق الله مَبْنِيَّة على المساهلة، وحقوق العباد مبنيَّة على المشاحَّة، فلماذا يستدين الإنسان ويُحَمِّل نفسه ما لا يُطيق؟!

وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا ينبغي للمؤمن أنْ يُذِلَّ نَفْسَه**».

قالوا: وكيف يذلُّ نفسه؟

قال: «**يتعرَّض من البلاء لما لا يُطيق**»(٢).

إنفاق النَّاس فيما لا حاجة لهم به:

النَّاس يسرفون في الاستهلاك، يستهلكون ما لا حاجة لهم به، يبسطون أيديهم كلَّ البسط في الإنفاق، يكون عند الإنسان الثوب جديدًا فيتركه ويشتري ثوبًا آخر جديدًا، تكون السيارة صالحة وجيدة، ولكن لا بدَّ أن يشتري أحدث «موديل»، لا يكفي أنْ تكون موديل ٨٥، لا بدَّ من ٨٦، وإذا طرحت الشركة المصنعة موديل ٨٧ ألغى السيارة القديمة وهي في غاية الجودة، ما هذا؟

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة بن اليمان.

QaradawiBooks.com

كلَّما ظهر لون جديد من جهاز أو آلة عملت أجهزة الدعاية عملها في أمخاخ النَّاس، أصبح النَّاس أسرى لهذه الدعاية، الَّتي تريد من النَّاس أن يدعوا كلَّ قديم ويشتروا كلَّ جديد، على الطريقة الأمريكية وغيرها، ما لنا نقلّد هؤلاء؟! ما لنا نحذو حذوهم حذو النَّعل بالنَّعل؟!

الإسلام يعلّمنا الاقتصاد في حياتنا، لماذا نتوسَّع في أمور كثيرة نحن في غنى عنها، الإسلام يريدنا أن نكون مقتصدين؛ يقول النَّبي ﷺ: «**من فقه الرجل رِفْقُه في معيشته**»(١)، أي: اقتصاده واعتداله وتوسطه.

وكان من أدعية النَّبي ﷺ: «**أسألُكَ خشيتَكَ في الغيب والشهادة، وكلمة الحقِّ في الغضب والرضا، والقَصْدَ في الفقر والغنى**»(٢)، سواء أكنتَ غنيًّا أم فقيرًا يجب أن تقتصد.

ولهذا لمَّا مرَّ النَّبيُّ ﷺ على سعد بن أبي وقَّاص وهو يتوضَّأ: «**ما هذا السَّرَفُ يا سعدُ؟**».

قال: أفي الوضوء سَرَف؟

قال: «**نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في مسند الشاميين (١٤٨٢)، وضعَّفه الألباني في الجامع الصغير (١٢٠٨٧)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في السهو (١٣٠٦)، وصحَّحه الألباني في الكلم الطيب (١٠٥)، عن عمَّار بن ياسر.

(٣) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطَّهارة (٤٢٥)، وقال الشيخ شاكر في تخريج المسند (٧٠٦٥): ونقل شارحه عن زوائد البوصيري قال: «إسناده ضعيف؛ لضعف حيي بن عبد الله وابن لهيعة»، ونحن نخالفه في هذا، كما ذكرنا مرارًا بشأن ابن لهيعة، وكما رجحنا توثيق حيي بن عبد الله في (٦٥٩٦). وضعَّفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسَّنه في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

النهر لا ينقص بالإسراف، ولكن أراد النَّبيُّ ﷺ أن يُرَبِّي المسلم على أن يكون الاقتصاد والاعتدال خُلقًا له، بعض النَّاس يتوضَّأ فيقف حوالي عشر دقائق، يستهلك من الماء الكثير، وبعض النَّاس يدَعون صنابير المياه مفتوحة تستهلك من الطاقة المائية ما لا حاجة إليه، كم تتكلَّف هذه المياه الَّتي تُحَلَّى من البحر المالح أو تأتي من الآبار!

ولكن النَّاس يسيئون الاستهلاك في الماء والكهرباء ونحو ذلك.

الإساءة في استهلاك المال العام:

الإسلام يعلِّمنا أن نقتصد في كلّ أمورنا، بعض النَّاس يسيئون الاستهلاك، وخاصَّة فيما لا يدفعون ثمنه، في أشياء الدولة، الأموال العامة، هناك أناس ربما قتَّروا في أشيائهم الشخصية، ولكن في مال الدولة مال الحكومة أو مال الشركة أو مال المؤسسة العامة لا يبالي أحدهم في استخدامه، يستخدم من الأوراق ما لا حاجة إليه، ويستهلك من الأشياء ما لا حاجة إليه، وإذا كان له حقٌّ أنْ يتكلَّم في التليفون مكالمات خارجية، يتكلَّم فيما يفيد وما لا يفيد، وما فيه حاجة، وما ليس فيه حاجة.

بعض النَّاس الَّذين لا يدفعون كهرباء ـ مثلًا ـ يوقدون الأنوار صباحًا ومساء، وربما سافروا وتركوا المكيفات تشتغل في بيوتهم طوال الصيف، وهكذا.

هذا لا يجوز.

الإسراف خُلق سيئ، لا يجوز للإنسان المسلم التخلُّق به، سواء أكان المال ماله الشخصي أم المال العام، والمال ليس ملكًا شخصيًّا للإنسان.

QaradawiBooks.com

في النظرة الإسـلاميَّة المال مال الله أولًا، ثمَّ مال المجتمع ثانيًا، إنَّ إفسـادك للمال ينتهي إلى فسـاد ثروة الأمة كلّها، الخسارة تكون على المجتمع بأسـره، لا تظن أنَّـك إذا ضيَّعت مالك ضيَّعته على نفسـك، تقول: أنا حرٌّ في مالي.

لا، لست حرًّا؛ إنَّك تضيع المال على المجموع، ومن هنا كان الشرع الإسلامي حكيمًا حينما جعل القانون بجوار التوجيه، فأمر بالحجر على السفهاء والمبذّرين، يُحجر على السفيه، تُغَل يده عن التصرف في ماله؛ لأنَّه في الحقيقة مال الأمَّة، ومن هنا قال القرآن: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النّساء: ٥].

أقول قولي هذا، وأسـتغفر الله لي ولكم فاسـتغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

QaradawiBooks.com

٢٠

من وصايا سورة الإسراء: جريمة قتل الأولاد

الخطبة الأولى

أمَّا بعدُ، فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زلنا مع وصايا القرآن الكريم، وصايا الحكمة الإلٰهية في سورة الإسراء، وقد وقفنا عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

هذه وصيَّة من وصايا الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة، ممَّا أوحى الله إلى رسوله محمدٍ ﷺ من الحكمة، وقد تضمَّنت هذه الآية الموجزة عدة معانٍ:

تضمنت أولًا النهي عن قتل الأولاد، وتضمنت ثانيًا الدافع إلى هذه الجريمة الوحشيَّة، خشية الإملاق، وبيَّنت ثالثًا الرد على هؤلاء الخاشين المتخوفين على الرزق؛ بضمان الله تبارك وتعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، وتضمنت رابعًا بشاعة هذه الجريمة: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

أولًا: النهي عن قتل الأولاد:

نهت الجملة الأولى من هذه الآية عن قتل الأولاد، وعجيب جدًّا أن

QaradawiBooks.com

يكون الآباء في حاجة إلى أن يُنهوا عن قتل أولادهم، وفلذات أكبادهم، لقد جرت عادة القرآن أن يأمر الأولاد موصيًا بالوالدين، أن يبروهم ويحسنوا إليهم، فكثير من الأولاد تغلب عليهم القسوة، ولا يبالون بالآباء والأمَّهات، فمن هنا كانوا في حاجة إلى وصية، وإلى تأكيد الوصية في أكثر من موضع، وأكثر من سورة، وجعل القرآن ذلك بعد توحيد الله تبارك وتعالى.

لكن الآباء لا يحتاجون إلى أن يوصوا بأولادهم، فما الذي حدث؟!

جناية الجاهلية على الإنسان:

الذي حدث أنَّ الجاهليَّة الجهلاء جعلت القلوب تفقر، وتقفر من عواطف الأبوة الرحيمة الرقيقة، حتى جعلت الأب يقتل أولاده، وكلمة الأولاد تشمل الأبناء والبنات، تشمل الذكور والإناث، وإن كان الغالب هو قتل الإناث، كانوا كثيرًا ما يقتلون البنات، ويعتبرون ولادتهم مصيبة وكارثة، ما هي بنعم الولد؛ نصرها بكاء، وبرها سرقة، كما قال ذلك الأعرابي قديمًا، وكما سجَّل ذلك القرآن عليهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨ ـ ٥٩]. يختفي من القوم، ويتوارى عن أعينهم، ويسلك الأزقَّة بعيدًا عن أعين الناس، كأنَّما ارتكب فعلة شنعاء، أو جريمة نكراء، ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾، يسائل نفسه: ماذا يصنع في هذه الكارثة التي حلَّت به؟ أيرضى بالواقع، ويمسك هذا الوليد الجديد على هُون، وعلى مذلة، وعلى هوان؟ أم يستريح ويتخلص من هذه المصيبة، ويدسُّه في التراب، يئدُه حيًّا؟ ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

QaradawiBooks.com

كان ذلك من فعل شياطينهم وشـركائهم كما سمَّاهم القرآن، من فعل أولئك الشياطين الموسوسين، من شياطين الإنس والجن، سدنة الأصنام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. يخلطـوا عليهم الدين الحق بالديـن الباطـل، ما ورثوه عـن إبراهيم وإسماعيل، وما أضيف إلى هذا الدين الخالص، الحنيفيَّة، دين التوحيد، وما أضيف إليه من الوثنيَّات والشـركيَّات، والخرافات والأباطيل، كذلك كانت الجاهلية.

جنت الجاهلية على الناس، جنت على العقول؛ حتى جعلت الإنسان ينحت بيده الصخر؛ فيشكِّلُه كما يشاء، ثم يتَّخذه إلهًا يسأله أن يشفيه من المـرض، وأن ينقذه من المصائـب، وأن ينصره علـى أعدائه، يعبدون ما ينحتون، ما يصنعون بأيديهم، هكذا جنت الوثنيَّة الجاهليَّة على العقل البشري فأفسدته.

ثانيًا: دوافع الجريمة البشعة:

كما جنت الوثنيَّة الجاهليَّة على القلب البشري وأفسدته، حين فُقِدت عاطفة الأبـوَّة؛ فأصبح الوالد يقتل أولاده، ولمـاذا يقتلهم؟ هذا ما ذكره القرآن في هذه الآية، وفي آية سورة الأنعام، ففي الوصايا العشر من سورة الأنعام يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وفي هذه الآية من سورة الإسراء يقول: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾ [الإسراء: ٣١].

والإملاق هو الفقر، أي أنَّهم كانـوا يقتلون أولادهم أحيانًا من الفقر الواقع، أو خشـية الفقر المتوقَّع، كانوا يخافـون أن يأتي هؤلاء الصغار فيزاحموهم في لقمة عيشـهم، في أرزاقهم، ودخلهـم محدود، وفقرهم

QaradawiBooks.com

قائم، أو خشـــية أن يأتي الفقر في المستقبل، وبخاصَّة من البنات اللاتي لا يكسبن، ولا يأتين بدخل، فكانوا يتخلصون منهن بالقتل والوأد، ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾، أو ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾.

وهـــذا يدلنا على قـــوة الدوافـــع الاقتصادية، وتأثيرها في الســـلوك الإنســـاني، وهذا ما لا ينكره القرآن، ولا ينكره الإســـلام، وقد جاء في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ، تبيِّن أثر الدوافـــع الاقتصادية في حياة الناس وسلوكها، حتى إنَّ النبي ﷺ كما روى البخاري: كان يستعيذ بالله مـــن المأثم والمغـــرم. المأثم: الإثـــم أو المعصيـــة. والمغـــرم: الدَّيْن، الاستدانة. فقيل له: ما أكثر ما تســـتعيذ من المأثم والمغرم يا رسول الله! قـــال: «**إنَّ الرجـــل إذا غـــرم** ـ أي إذا اســـتدان ـ **حدَّث فكـــذب، ووعد فأخلف**»[1]. فدل هذا على تأثير النواحي الاقتصادية في السلوك البشري.

ولكن الذي نخالف فيه الماركسيين وأمثالهم: أنَّهم يجعلون ذلك هو الدافـــع الوحيد في تأثير الســـلوك الإنســـاني، لا، هناك دوافع نفســـية، وأخلاقية، واجتماعية، وسياســـية، كلها تعمل عملها في نفس الإنسان، وتؤثر في سلوكه.

ثالثًا: مقاومة دوافع الجريمة:

ومن هنا قاوم القرآن هذا الوهم، وهذه الخشـــية التي جعلت هؤلاء الناس يقدمون على هذه الجناية البشـــعة لضمان الرزق، فقال في سورة الأنعـــام: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعـــام: ١٥١]. حيـــن كان الفقر واقعًا بالفعل، قال: نحن نرزقكم من فقركم هذا، ونبدل فقركم غنًى، وعسركم

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد (٥٨٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يسـرًا، فالأرزاق بيـد الله. وحين كان الفقـر متوقَّعًا، ويُخشـى منه في المستقبل، وأن يكون بسبب هؤلاء الأولاد قال في سورة الإسراء: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الإسراء: ٣١]. نحن الرازقون.

لا بد من هـذا الإيمان، لا بد من عقيدة تقـاوم العقائد الباطلة التي انتشـرت في الجاهلية، فللعقائد تأثيرها في السلوك، ليست العقائد شيئًا نظريًّا كما يَظنُّ بعض الناس، فإنما يعمل الإنسان ويتصرَّف وفقًا لتصوره، ولفكرته عن الكون، وعن الحياة، وعن الدين، وعن الله.

ومن هنا اهتم الإسـلام أن يصحِّـح تصورات الناس عـن القضايا الكبرى، ومن هنا ركَّز فـي الأنفس، وغرس في العقـول والقلوب: أنَّ الأرزاق بيد الله ﷻ، أنَّ الله ـ قبل أن يخلق الناس ـ ضمن لهم أرزاقهم، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

الله هو الرازِّق، الرزق بيد الله ﷻ، فلا ينبغي أن تخاف على نفسك، ولا أن تخاف على وَلَدِك، ولا أن تخاف على مستقبلك، فالذي خلق هذه الأرض مكَّن للناس فيها معايشهم، وقدَّر فيها أقواتها، ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [فصلت: ١٠]، الأقوات مُقدَّرة فيهـا منذ خلقها، لن تضيق هذه الأرض بأهلها، لن تشـحَّ الأرض بنباتها، ولن تشحَّ السماء بأمطارها، فأرزاق الله مكنونة في هذا الكون، وإنَّما على الناس أن يسعوا لكي يكسبوا هذه الأرزاق، وَفْق سنن الله تبارك وتعالى.

إنَّ الـذي أذلَّ أعناق الرجـال، وأضعف الهمـم والعزائم، وجعلهم ينحنـون أمام الطغـاة، وأمام الجبَّاريـن: الخوف على أمريـن: الرزق،

QaradawiBooks.com

والأجل. والعجيب أنَّ الأمرين بيدِ الله تبارك وتعالى، الرزق مقسوم، والأجل محتوم، الرزق عند الله، فلا يملك أحد أن يحرمك من رزقك، والأجل بيد الله، فلا يستطيع أحد أن يُقدِّمه لحظة أو يؤخِّره لحظة، فلماذا يخاف الناس؟!

جاء في الحديث: «**لا يمنعنَّ أحدَكم مهابةُ الناس أن يقول بالحق إذا علمه؛ فإن ذلك لن يُقدِّم أجله، ولن يحرمه رزقًا هو له**»(١). يجب أن نعلم أنَّ الله تبارك وتعالى هو مالك الأرزاق.

وهناك أناس فهموا هذا الأمر خطأً، فهموا أنَّ الرزق بيد الله، يعني أن يتواكلوا، ويدعوا نظام الأسباب والمُسبَّبات، ويهملوا سنن الله في كونه، والرزق سيأتيهم، لا، ليس هذا هو المقصود، الله رزَّاق، ولكنَّه يرزق بسنن أقام عليها هذا الكون، الذي قام على شبكة الأسباب والمُسبَّبات، الله رزَّاق يرزقُ مَنْ يشاء، ولكن حكمته مرتبطة بمشيئته، وحكمته أقامت السُّنن، فيجب أن نرعى سنن الله، وإلا صدمتنا سنن الله ﷻ، فسنن الله لا تلين لأحد، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

ولما رأى عمر بن الخطاب جماعة يقبعون في بعض أركان المسجد بعد صلاة الجمعة، قال لهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن متوكِّلون. قال: بل أنتم متأكِّلون، لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني. وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، إنَّما يرزق الله الناس بعضهم من

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧١٧٣)، عن ابن عباس. ورواه الترمذي (٢١٩١)، وحسَّنه، وابن ماجه (٤٠٠٧)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٧) عن أبي سعيد الخدري، بلفظ: «لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه».

QaradawiBooks.com

بعض، أمَا سمعتم قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠]؟ وعلاهم بدرَّته، وأخرجهم من المسجد(١).

ليس معنى ضمان الرزق أن يمكث الإنسان في قعر بيته، وينتظر السماء أن تُدرَّ عليه سمنًا وعسلًا، لا، هذا متأكِّل لا مُتوكِّل، أي: يريد أن يتأكَّل بسؤال الناس، وبالشحاذة منهم، وببسط اليد إليهم، وهذا سوء فهم للرزق.

هناك أيضًا أناس يأكلون الحرام، ويقولون: رزق ساقه الله إلينا. تمتدُّ أيديهم إلى السُّحت، يأكلون المال بالباطل، يقبلون الرّشا، يأخذون من كل ما يتهيَّأ لهم كما جاء في حديث البخاري: «**يأتي على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء فيه ما أخذ: أمِن الحلال أم من الحرام**»(٢). ويقول: هذا رزق. لا، هذا ليس رزقًا، فالله سبحانه وتعالى يريدك أن تُرزق من حلال، ليس معنى أن هذا رزق من الله: أنَّه صار حلالًا لك، عليك أن تسعى أن تأكل رزقك من الحلال، لا من الحرام، ألَّا ينبت لك جسد، ولا خليَّة، ولا ذرَّة من خليَّة إلَّا من حلال، فـ «**كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به**»(٣).

إنَّما نستخدم هذه القاعدة استخدامًا صحيحًا، إذا أيقنَّا في قلوبنا أنَّ الله هو الرزَّاق، فعلينا أن نسعى موقنين بأنَّ أحدًا لا يستطيع أن يحرمنا من رزقنا، وأنَّ الله مُطعمنا، ومُطعم أهلينا وأولادنا، وهذا يملأ قلوبنا ثقة ويقينًا بما عند الله.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

كان الرجل من السلف الصالح يذهب إلى الجهاد متوكِّلًا على الله، فإذا جاء المُعوِّقون والمُثبِّطون يريدون أن يُحذِّروه، وأن يقعدوه من أجل أولاده ورزقهم، يقول لهم: علينا أن نجاهد في سبيله كما رزقنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا. فإذا ذهبوا إلى امرأته وقالوا لها: ما لِأبي فلان يذهب إلى الجهاد، ويدعك، ويدع أولادَكِ؟ تقول لهم: إن أبا فلان منذ تزوَّجته وعرفته عرفته أكَّالًا، وما عرفته رزَّاقًا؛ فلئن ذهب الأكَّال؛ لقد بقي الرزَّاق[1]!

هذه القوة الإيمانية هي التي جعلت المؤمنين يقفون أمام الطغاة لا يبالون بما يصيبهم في ذات الله، هذا ما جعل سحَرة فرعون قديمًا حينما وقفوا أمام فرعون وهددهم، قالوا له: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢].

هكذا ينبغي ألا يخاف المؤمن على رزق ولا أجل، فالأرزاق والآجال بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

رابعًا: بشاعة الجريمة:

ثم قالت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾. كان جريمة بشعة، كان خطيئة فظيعة، وأيُّ جريمة أبشع، وأيُّ خطيئة أفظع، وأيُّ جناية أشنع من أن تمتدَّ يد الإنسان ليقتل ولده، ليقتل ابنه، ليقتل ابنته بيده؟ أيُّ جريمة أبشع من هذا؟

إنَّ الإسلام جعل للإنسان حرمة منذ يكون جنينًا في بطن أمِّه، ولو أتى من طريق حرام، لأنَّه كائن حيٌّ مُحترَم، جاء في الصحيح: أنَّ المرأة الغامدية التي جاءت إلى النبي ﷺ ليقيم حد الله عليها، وقالت: إنَّها

(١) إحياء علوم الدين (٢/٥٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

زنت، وإنَّها حُبلى من الزنى. فقال لها: «**اذهبي حتى تلدي**». أي: إن كان لنا سبيل عليك، فليس لنا سبيل على ما في بطنك، ما ذنب هذا المخلوق؟ وإن زنى أبواه؛ فليس عليه جناية، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وحينما وضعته جاءت به تريد إقامة الحد، فقال: «**اذهبي حتى تفطميه**». لأنَّ له حقًّا في الرضاعة، ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فللجنين حقُّ الحياة وإن جاء بطريق غير مشروع، لأنَّه لا ذنب له في هذا الطريق، الإسلام يحترم الكائن الحي منذ تُنفخ فيه الروح، هذه هي نظرة الإسلام.

انظر كيف صنعت الجاهلية بعقل الإنسان وقلبه حينما طوَّعت للإنسان أن يقتل أولاده؟ القتل في ذاته ـ كما شرحت لكم في مرة من المرات ـ جريمة، وجريمة كبيرة، لأنَّه هدْمٌ لبنيان الله تبارك وتعالى، فلم يأذن الله للناس أن يكونوا هم سلَبَة الأرواح، لا، الروح وديعة يأخذها صاحبها متى شاء، فإذا هدم الإنسان بنيان الرب فقد ارتكب جرمًا عظيمًا، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. ولهذا أوجب الإسلام فيه القصاص، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

القتل في ذاته جريمة، ولكنَّه يكون جريمة أكبر حينما يكون قتل نفس زكية بغير نفس، حينما يكون المقتول طفلًا بريئًا، حينما يكون زهرة يانعة لم ترتكب جُرمًا، تريد أن تتفتح على الحياة فتُقطف ظُلمًا وعُدوانًا، هنالك تتضاعف الجريمة مرة ثانية، حينما يكون المقتول طفلًا.

QaradawiBooks.com

ثم تتضاعف الجريمة مرة ثالثة حينما يكون القاتل هو الأب، القاتل هو الوالد الذي يُفترض أن يحميَ أولاده بروحه، أن يفديهم بنفسه، رأينا بعض الحيوانات، وبعض الطيور تدافع عن أولادها؛ فكيف للإنسان العاقل، ذي العقل والقلب: أن تمتد يده ليقتل ولده، ليقتل فلذة كبده؟ إنَّه قتل، وقطيعة رحم، إنَّه فقدان لهذه العاطفة الإنسانية النبيلة، التي ليس هناك عاطفة أنبل منها وأكرم، عاطفة الأبوة والأمومة.

ثم تتضاعف الجريمة مرة رابعة؛ حينما يكون الدافع إلى القتل دافعًا اقتصاديًّا، كما جاء في حديث ابن مسعود في الصحيحين: سُئل النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم يا رسول الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**». قيل: ثمَّ أيْ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»[1]. تقتله من أجل ألا يزاحمك في لقمة العيش، حتى تنفرد أنت باللقمة، والمفروض أن تقاسمه هذه اللقمة؛ بل المفروض أن تجوع أنت لتُشبعه، أن تعطيه اللقمة وإن بِتَّ جوعانًا، هذا هو منطق الإنسان السويِّ، «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»، هذه جريمة أخرى.

ثم تتضاعف الجريمة مرة خامسة حين يكون القتل بوسيلة غير التي اعتادها الناس، ليته كان ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم؛ فيستريح المقتول في لحظة، ولكنَّه قتل بطريقة بشعة لا يصنعها إلَّا جاهلي: الوأد، وما الوأد؟ حفرة يحفرها الأب، يظل يحفر فيها، ثم يودع ابنته أو ابنه في هذه الحفرة حيًّا، ويردم عليه، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]، فلا عجب أن قال القرآن: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٣٢)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

لقد جاء الإسلام فحرَّم وأد البنات، ووأد الأولاد، وقتل الأولاد، وأوجب على الآباء الرعاية كل الرعاية: المادية، والعاطفية، والأدبية، هذه هي الوالدية، هذه هي الأبوَّة، هذه هي الأمومة، على الأب أن يرعى أولاده، ليس له سلطة إلَّا سلطة التأديب بالحق، وليس له سلطة القتل كما كان في بعض المدنيات أو الجاهليات القديمة، كانوا في اليونان يقتلون الضعاف من الأولاد، ولا يبقون إلَّا الأقوياء، وكان من حقِّ الأب في بعض بلاد الرومان أن يبيع أولاده من أجل أن يسدد دينه، أو نحو ذلك! وجاءت الجاهلية العربية فجعلت من حق الأب أن يقتل أولاده ـ وبخاصة البنات ـ من أجل أوهام: من أجل الرزق، أو خشية العار، أو خشية أن تُسبى في المستقبل أو أن تتزوَّج رجلًا ليس في مستوى القبيلة، إلى غير هذه الأوهام.

حماية النسل:

جاء الإسلام فحمى النسل من هذا كله، وجعل فقهاء الإسلام المحافظة على النسل: من المقاصد الأساسيَّة للشريعة الإسلامية، فالمحافظة على النسل إحدى الضروريَّات الخمس، التي جاءت الشريعة بتأكيدها وتثبيتها، فعلى الآباء أن يرعوا نسلهم وأولادهم، ويتَّقوا الله فيهم.

وهكذا خلق الإسلام أجيالًا جديدة تنظر إلى أولادها ـ أبناءً وبناتٍ، ذكورًا وإناثًا ـ نظرة أخرى، عبَّر عنها الشاعر المسلم بأبياته الشهيرة حينما قال:

لولا بنيَّات كزُغبِ القطَا ... رُددنَ من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لي مضطرب واسعٌ ... في الأرض ذات الطول والعرضِ

QaradawiBooks.com

وإنَّما أولادنا بيننا أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبَّت الريحُ على بعضهم لامتنعتْ عيني من الغمضِ[(١)]

هذه هي العواطف الفطرية التي أنشأها الإسلام.

إن علينا لأولادنا حقوقًا، كما أنَّ عليهم لنا حقوقًا، وليس في الإسلام حقٌّ إلَّا ويقابله واجب، نسأل الله تبارك وتعالى أن يُفقِّهنا في ديننا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علَّمنا؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) الأبيات لحطان بن المعلَّى، كما في الحماسة لأبي تمام (١٦٧/١)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٣١، ١٩٠
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٥٠
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	١٥٠
سورة البقرة		
﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾	٩٦	١٧٧
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	٢٥، ٩٩، ١٣٩، ١٧٥، ١٨٥، ٢٣٧
﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	٣٣٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾	١٨٠	٣٠٧
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	١٨٧	١٥٢
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٥	٣٠٧
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٩٧
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾	٢٣٣	٣٣٠
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	١١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٥٤	١٩٤
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾	٢٥٦	٥٤
﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾	٢٦٨	٣١٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٢٧٠
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	٢٧٩	٢٧٠
سورة آل عمران		
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	١٣١، ١٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم﴾	١٠٠	١٣٥
﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	١٤٦، ٢٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٢٨٥
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١٠٣	٨، ٤٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٦١، ١٧٦
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١٠٤	١٨٥، ١٨٧
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	٨
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٢٥، ١٧٥، ١٨٥، ٢٣٧
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٢٣	١٤٤
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾	١٤٤	١١٤
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾	١٤٧	٧٤، ١٢٦، ٢١٣، ٢٨٧
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾	١٦٠	١٤٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾	١٦٤	٤٦
﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	٢٣٤
سورة النساء		
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	١	٢٩٨
﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾	٥	٣٢١
﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ﴾	٣٥	١٥، ٢٠
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾	٣٦	٢٩٠، ٢٩٧
﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾	٧٥	٣٦
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾	٢	٨، ١٥٥، ٢٩٨
﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾	٣	٢٣، ١٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾	٨	٢٢٧
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	٢٢٠، ٣٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾	٥٤	٤، ١٠٦، ١٨٩، ١٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾	٨٧	٣١٣، ٣١٤
﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾	٨٨	٣١٣
﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾	١٠٥	٢٨٣
سورة الأنعام		
﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٤٣	١٧٨
﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾	٤٤	٢٣٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	٢٣٠
﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٩٩
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	١١٢	١١١
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	١٨٧
﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾	١٣٧	٣٢٤
﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾	١٤١	١٥٤
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾	١٥١	٣٢٤، ٣٢٥
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾	١٥٣	٢٨، ٢٩، ١٥٠، ٢٠٦
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢	١٢٤، ١٥٠
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	١٢٤، ١٥٠
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	٣٣٠
سورة الأعراف		
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	١١٢، ١٧٨
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾	٣١	٣١٤
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾	٣٢	٣١٣
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	٤٣	٢٨٤
﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	٤٩	٢٢٤
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	٨١	٣١٤
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٨٥	٢٢٢
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾	٨٦	٦٨، ١٧١، ٢٣٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	١٥٧	١٤٣، ٣١٣
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٥٦
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	١١، ٩٩
سورة الأنفال		
﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾	٢٦	١١٤
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	٢٠٨
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٩٢
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾	٤٦	٨، ١٦١
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	١٤١
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧٣	١٢، ١١٥
﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٧٥	١٥٢، ٣٠١
سورة التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾	٣٢	٧٢، ٢٨٠
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	٧٢، ٢٧٩
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾	٣٦	٧٧
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٤١	٣٧
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾	٦٠	١٧١
﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾	١٠٥	١٩
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ﴾	١٠٨	١٣٣
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	١٤٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾	٥	١٤٩
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾	٥٩	٣١٤
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	١٩٠، ٣٢٦
﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾	٨٧	١٣٧
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٢٣١
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	١١٣	٥٣
﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٩٥
سورة يوسف		
﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾	٥٣	١٨٩
﴿أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾	٦٩	١٠٤
﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٢٧٣
﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ ﴾	٩٠	٣٠٩
﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	٩١	٢١، ٣٠٩
﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾	٩٢	٢١، ٣٠٩
﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾	٩٩	٢٢٤، ٣٠٩
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ ﴾	١٠٠	٢١، ٣٠٩
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	١١	١٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ﴾	٢٥	٣٠٥
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٢٨٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٣١	٢٧٩
سورة إبراهيم		
﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾	٢٤، ٢٥	٢٥٣
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	٦٩، ١٧٢
﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾	٤٦	٢٢٤
﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا الضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٢٧٣
سورة النحل		
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٢١٥، ٢٩٧
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	٣٢٣
﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى التُّرَابِ﴾	٥٩	٣٢٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٣٠٧
سورة الإسراء		
﴿وَيَدْعُ الْإِنسَٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾	١١	٢٢٢
﴿اقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٢٥٢
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٢٣	٤، ٢٩٠، ٢٩٢
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾	٢٤	٤، ١٠٦، ٢٩٢، ٢٩٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾	٢٩	٣١٢
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾	٣٠	٣١٢
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾	٣١	٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣١
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾	٥٣	٢١
سورة الكهف		
﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ﴾	٤٩	٢٥٢
﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	٩٨	٢٧٩
سورة مريم		
﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾	٦٥	١٩٠
سورة طه		
﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	٢٥٠
﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	١٤٩
﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	٧٢	٣٢٩
سورة الأنبياء		
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧	٤٠
﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٣٥	٩٥
﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٨، ٢٥، ١٥٧، ١٨٥
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٤٣، ١٤٤، ١٥٦، ١٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	٣٢	٢١٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾	٧٧	١٨٦، ١٨٧، ١٨٨
﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾	٧٨	١٨٦، ١٨٨
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾	١ ـ ٣	٢٥٨
﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٨، ٢٥، ١٥٧، ١٧٥
سورة النور		
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٥٥	٢٨٠
سورة الفرقان		
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣١	١١١
﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	٤٠
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	١٣٩، ٣١٥
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾	٦٨ ـ ٧٠	٩٢
سورة الشعراء		
﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٧، ٨٩	٢١٩
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٠٥، ١٠٦	٢٢١
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٢٣، ١٢٤	٢٢١
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٤١، ١٤٢	٢٢١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٦٠، ١٦١	٢٢١
﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٧٦، ١٧٧	٢٢١
سورة النمل		
﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾	٣٨	٤٢
﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾	٣٩	٤٢
﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾	٤٠	٤٢، ٤٣
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾	٨	٢١٨
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾	٣٥	١٠٤
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	٧٨	١٣٧
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	١١١
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٣	١١١
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	١٢٦، ٢٤٨، ٢٨٧
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ﴾	٤ ـ ٦	٩٣، ١٨٣
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	١٥٢
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾	٢٢	١٥٧
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٢٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة لقمان		
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾	١٤	٢٩٠، ٢٩٤
سورة الأحزاب		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾	٢١	٢٤٠
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	٢٢	١٠٢
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	١٢٦، ٢١٣، ٢٤٨، ٢٨٧
سورة سبأ		
﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾	١٥	٣١٤
سورة فاطر		
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	٥٣
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	٤٠
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٣٢٧
سورة الصافات		
﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	١٧٢، ١٧٣	٢٣٠
سورة الزمر		
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾	٢٩	١٤٩
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٩٢
سورة غافر		
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	٣	٢٨٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ﴾	١٠	٣٢٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾	٣٠	٢٥٦
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٣٣	١٤، ١٩٨
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾	٤٢	١٧٢
سورة الزخرف		
﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾	٨٠	٢٥١
سورة الدخان		
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	٣١	٣١٤
سورة الجاثية		
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	١٩	١١٥، ١٦٨
﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	٢٩	٢٥١
سورة الأحقاف		
﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾	١٥	٢٩٠، ٢٩٤
سورة محمد		
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾	٢٢	١٥٢، ٣٠٥
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾	٢٣	١٥٢، ٣٠٥
سورة الفتح		
﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾	٢٩	١٧٨، ١٩٤

QaradawiBooks.com

الآيــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجرات		
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾	٩	٨٤
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾	١٠	٢٥، ٥٦، ١٣٧، ١٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾	١٣	١٣، ٢٦، ٢١٥، ٢٢٤
سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾	١٦ ـ ١٨	٢٥١
﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾	٣١ ـ ٣٣	٢١٩
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾	٥٦ ـ ٥٨	٣٢٦
سورة الرحمن		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾	١ ـ ٤	٢٥٢
﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾	٦٠	٢٩٣
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾	١٥	١٣٧، ١٣٨
﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	١٧٦
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	١	٢٥٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٧	٢٥١
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾	٨	١٣٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٢٦، ١٣٤، ١٧٩
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾	١٠	٢٦، ٧٤، ١٢٦، ٢١٣، ٢٤٨، ٢٨٧
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾	١٤	١٠٥، ١٧٨
سورة الممتحنة		
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٥٣، ٢٢٦
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١١، ٢٧، ١٠٧، ١٥٦، ٢١١
سورة الجمعة		
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	٣٢٨
سورة الملك		
﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾	٣	١٤٨
﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	١٣	٢٥٠
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	١٤	٢٥٠
سورة نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٤	١٩٠
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	٩٥، ١١٠
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	٤٧، ٣٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَـٰفِظِينَ ۞ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۞ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾	١٠ ـ ١٢	٢٥١
سورة الفجر		
﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾	١١ ـ ١٣	٢٢١
سورة البلد		
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾	٤	٩٥، ١١٠
﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۞ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۞ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾	٨ ـ ١٠	٢٥٢
سورة الزلزلة		
﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	٦	٢٥٢
سورة قريش		
﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾	٣	٢٢٤
﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾	٤	٢٢٤
سورة الناس		
﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	١ ـ ٣	١٨٧

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٣٥	أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟!
٢٥٧	اتَّقِ الله فينا؛ فإنَّك إذا استقمتَ استقمنا، وإذا اعوججتَ اعوَجْجنا
٢٩٦	أحيٌّ والداك؟. قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد
١٠٥	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
٥٣	إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُودِّع منهم
١٤٠	إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمِّروا أحدكم
٢٥٤	إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به
٣٣٠	اذهبي حتى تلدي... اذهبي حتى تفطميه
٢٩٦	ارجعْ فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فقابل الله ببرهما
٢٩٦	ارجعْ فأضحِكْهما كما أبكيتَهما
١٩١	ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء
٣١٩	أسألُكَ خشيتَكَ في الغيب والشهادة، وكلمة الحقِّ في الغضب والرضا
٩٦	أشد النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قَدْرِ دِينِه
٣٠٤	أفشوا السَّلام، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا والنَّاسُ نيام
٥٣	أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر
٢٩١	ألا أدلكم على أكبر الكبائر؟. قالوا: بلى يا رسول الله
٢٥، ٢٦	ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ألا ترضَيْنَ أن أَصِلَ مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك؟ قالت: بلى، يا ربّ	٣٠٤
ألك أم؟. قال: نعم. قال: اذهبْ فالزَمْها فإنَّ الجنَّة عند رِجلَيْها	٢٩٦
اللهمَّ لا تجعلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنا، ولا تجعل الدُّنْيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ عِلْمِنا	٩٧
اللهمَّ لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخرة، فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَه	١٣٢
أليست نفسًا؟	٩٠
إنَّ أفضل الصدقةِ الصدقةُ على ذي الرَّحِمِ الكاشح	٣٠٦
إنَّ أكثر خطايا ابنِ آدم في لسانه	٢٥٦
إنَّ الله خلق الخلق، حتَّى إذا فرغ من خلقه	١٥٢، ١٥٣
إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٢١٩
إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته	٢٣١
إنَّ الله يحبُّ أنْ يرى أَثَرَ نعمته على عبده	٣١٦
إنَّ التجار هم الفجار. قالوا: يا رسول الله، أليس قد أحلَّ الله البيع	٥، ١٣٩
أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك. قيل: ثمَّ أيُّ؟ قال: أن تقتلَ ولدَكَ	٤٧، ٣٣١
أن تصل مَن قطعك، وتُعطيَ مَن منعك، وتصفح عمَّن شتمك	٣٠٧
أن تُعينَ قومَكَ على الظلم	٢٩٨
إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب	٢٤٢
إنَّ الرجل إذا غرم ـ أي إذا استدان ـ حدَّث فكذب، ووعد فأخلف	٣١٧، ٣٢٥
أنَّ رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خُفَّه	١٩١
إنَّ الرجلَ ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله عليه لا يُلقي لها بالًا يهوي بها	٢٥٥
إنَّ الشيطانَ ذئبُ الإنسان، وإنَّما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ أو الشاردةَ	١١
إنَّ عمّارًا مُلِئ إيمانًا، من قرنه إلى قدمه	١١٣، ١٣٢
إنَّ فساد ذاتِ البَيْنِ هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشَّعرَ. ولكن تحلقُ الدِّينَ	١٤
إنَّ لربِّكَ عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا	٢٤٤
إنَّ من أسباب البلاء: أن يطيع الرجل زوجته ويَعقَّ أمَّه، وأن يُدني صديقَه	٢٩١
إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسولَ الله	٢٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
انْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا... تأخذ فوقَ يدَيْه، تمنعُه من الظلم، فذلك نصرٌ له	١٣٠، ٢٩٨، ٢٩٩
إنَّما أنا رحمةٌ مُهداة	٢٤٣
ب	
بل ائتَمِروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت شحًّا مطاعًا	٢٨٣
بل أنتم كثير، ولكنَّكم غُثاء كغثاء السَّيْل	١٧٤
ت	
ترى المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد	٢٠٧
تُعرض الأعمال في كلِّ يوم خميسٍ واثنين، فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم	٣٠٦
التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا	٢١٩
تؤخَذ من أموالهم لتردَّ على فقرائهم	١٥٤
ث	
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ، وهل يَكُبُّ النَّاس في النَّار على وجوههم	٢٥٦
خ	
خيار أئمَّتكم الَّذين تُحِبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم	٨١
د	
دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة	٢٦
دخلت امرأةٌ النار في هرَّة حبستها، فلم تُطعِمْها، ولم تدعْها تأكلُ	١٩١
ر	
رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم	٢٥٥
رضا الله من رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد	٢٩٥
رغِم أنفُه، ثمَّ رغِمَ أنفُه، ثمَّ رغِم أنفه	٢٩٤
س	
سبابُ المسلمِ فُسوق، وقتاله كُفْر	٨٤، ١٠٥
سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله	٥٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ص	
صبرًا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة	١١٣
الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صلة، وصدقة	٣٠٧
ع	
عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن	١١٢
العجلة من الشيطان، والأناة من الله	٢٢٣
ف	
فإنَّ الله ﷻ إذا أنعم على عبدٍ نعمة أحبَّ أنْ تُرى عليه	٣١٦
ق	
قل: آمنتُ بالله، ثمَّ استقمْ	٢٥٦
قولوا: لا إله إلَّا الله	١٣٨
ك	
كان النَّبي ﷺ يستعيذ بالله من المأثم والمغرم	٣١٧
الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس	٢٩١
كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به	٣٢٨
كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه	٢٢٠
كلُّ مولود يولد على الفطرة	٤٥
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِه	٢٣٦
ل	
لا، بل أنتم يومَئذٍ كثير، ولكن غثاءٌ كغثاءِ السَّيْل	٦٨
لا تَحَاسَدُوا، ولا تباغضوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَنَاجَشُوا	٢١٧، ٢١٨
لا تختلفوا؛ فإنَّ مَنْ كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٨
لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير	٩١
لا ترجعوا بعدي كفارًا ـ أي كأهل الجاهليَّة ـ يضرب بعضكم رقاب بعض	١٥، ٨٤، ١٠٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا	٩١
لا تسبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء	٩١
لا تغضب	٢٢٢
لا تُوعِي فيوعي اللهُ عليكِ	٣١٥
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق	٢٩٥
لا يحلُّ لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ	٣٠٦
لا يدخلُ الجنَّةَ قاطع	٣٠٢
لا يدخل الجنَّة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبْر	٢١٨
لا يمنعنَّ أحدَكم مهابةُ الناس أن يقول بالحق إذا علمه	٣٢٧
لا ينبغي للمؤمن أنْ يُذِلَّ نَفْسَه. قالوا: وكيف يذلُّ نفسه؟	٣١٨
لا يؤمن أحدكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه	٢٦، ١٢٤، ٢١٦
لعن رسول الله آكله وموكله، وكاتبه، وشاهديه	٢٧٠
لقد وُفِّقَ، أو لقد هُدِيَ... إنْ تمسَّكَ بما أُمِرَ به دخل الجنَّة	٣٠٢
ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار ـ أي: يسود العالم كله ـ	٢٨٠
ليس منا ـ وفي رواية: ليس بمؤمن ـ مَنْ بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع	١٥٣
ليس الواصلُ بالمُكافئ، ولكن الواصل الَّذي إذا قُطعت رحمه وصلها	٣٠٦
لينوا بأيدي إخوانكم	١٠٦
م	
ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتَّى ظننت أنَّه سيورِّثه	١٥٣
ما من مسلمٍ يُصيبه نَصَبٌ ولا وَصَبٌ، ولا غمٌّ ولا حزنٌ، ولا أذًى	٩٦
ما من نبيٍّ بعثه الله في أمَّة قبلي إلَّا كان له من أمَّته حواريُّون وأصحاب	١٨٩
ما هذا السَّرَفُ يا سعدُ؟. قال: أفي الوضوء سَرَف؟ قال: نعم	٣١٩
ما يصيب المسلمَ، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذًى	٥
مثل المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمَّى؛ كَمَثَل الحديدة تدخل النار	١١٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثلِ الجسدِ الواحد	٢٨، ١٥٥، ٢١٦
مدينة هرقل تفتح أوَّلًا	٢٨٠
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه	٢٥، ٥٦، ١٠٤، ١٣٧، ١٦١
المسلمون يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم	٥٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٦١
من أدرك والديه عند الكِبَر، أحدهما أو كليهما، ثمَّ لم يدخل الجنَّة	٢٩٤
مَنْ أراد بَحبوحة الجنَّة فلْيلزمْ الجماعة؛ فإنَّ الشيطانَ مع الواحد	١١
مَنْ تواضع لله رفعه	٢١٩
من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَف غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزَا	٣٧
من دَلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله	١٨٧
من رأى منكم مُنْكَرًا فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه	١٩٠
من سأل الله الشهادة بصدق، بَلَّغَهُ الله منازل الشهداء، وإنْ مات على فراشه	٥، ١٠٧
مَن سرَّه أن يُبسَط له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره، فليصلْ رحمه	٣٠٣
مَنْ شذَّ، شذَّ في النَّار	١١
من ضَلَع الدَّيْن، وغلَبَة الرجال	٣١٧
من فقه الرجل رِفْقُه في معيشته	٣١٩
مَنْ قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله	١٠٠
مَنْ كان آخر كلامه لا إلٰه إلَّا الله دخل الجنَّة	٩١
مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَصِلْ رحمه	٣٠١
مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليصمتْ	٢٥٥
مَنْ لم يشكر النَّاسَ لم يشكر الله	٢٩٠
مَنْ مات وليس في عُنُقِه بَيْعةٌ، فقد مات مِيتَةً جاهليَّة	٣٠
مَن وصلني وصله الله، ومَن قطعني قطعه الله	٣٠٤

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

الحديث	رقم الصفحة
مَنْ يضمن لي ما بين لَحْيَيه وما بين رجليه أضمن له الجنَّة	٢٥٧
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا	١٤، ٢٧، ١٠٦، ١٥٥، ٢١٦
هـ	
هذا سبيل الله. ثمَّ خَطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا متعرجة ملتوية	٢٨
هل لك من أمٍّ؟. قال: لا. قال: هل لك من خالة؟. قال: نعم. قال: فبَرَّها	٣١٠
هل لكَ من مالٍ؟	٣١٦
و	
وأتبع السيئة الحسنة تمحُها	٩٥
وأيُّكم مثلي؟ إنِّي أبيت يطعمني ربِّي ويسقيني	١٣٢
وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا	٢٥
ويل للذي يُحَدِّثُ فيكذب لِيُضْحِكَ به القوم، ويل له، ثمَّ ويل له	٢٥٨
ي	
يا صاحب الطعام، ما هذا؟. قال: يا رسول الله، أصابته السماء	١٣٨
يا عائشةُ، لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه	٢٥٥
يا معاذ، كُفَّ عليك هذا	٢٥٦
يأتي على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء فيه ما أخذ: أمِن الحلال أم من الحرام	٣٢٨
يَحمِل هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين	٢٠٥
يدُ الله مع الجماعة	١١
يُغفر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن	٣١٨
يوشك أن تتداعَى عليكم الأمم كما تتداعَى الأكلة إلى قصعتها	١٦١، ١٦٢

***

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة ٥**

❖ **١ ـ وحدة الأمَّة بين يَدَي القمَّة ٧**

وحدة الأمة فريضة شرعيَّة، وضرورة واقعيَّة ٨

ضعف التبادل التجاري بين البلاد الإسلاميَّة ١٢

سبب تفرَّق الأمَّة ١٣

السعي لإصلاح ذاتِ البَيْن ١٤

حل مشكلات الأمة ١٦

المصالحة بين قطر ومصر ٢٠

❖ **٢ ـ أُمَّة واحدة ٢٣**

١ ـ أمَّة واحدة بمنطق الدِّين ٢٤

عناصر أساسيَّة للأخوة ٢٥

المساواة ٢٥

المحبَّة ٢٦

التعاون والتناصر ٢٧

تجسيد وحدة الأمَّة عمليًّا ٢٨

وحدة المرجعيَّة ٢٨

وحدة الدار ٢٩

وحدة القيادة ٢٩

QaradawiBooks.com

٢ ـ أمَّة واحدة بمنطق التاريخ ٣٠
٣ ـ أمَّة واحدة بمنطق الجغرافيا ٣١
٤ ـ أمَّة واحدة بمنطق المصلحة والعصر ٣١
٥ ـ أمَّة واحدة بمنطق أعدائها ٣٣
كوسوفا وواجب الإغاثة ٣٦

❖ **٣ ـ الإسلام ضرورة للأمة ٣٩**
فكرة إبعاد الدين ٤٠
ثورة الأوروبيِّين على الكنيسة ٤١
الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين ٤٢
تنهض الأُمَّة كلَّما اقتربت من الإسلام ٤٣
الدِّين ضرورة ٤٥
أثر الإسلام في العرب ٤٦
هل يُراد لنا أن نتخلَّى عن هذا الدِّين؟ ٤٨
أغيثوا كوسوفو ٥٥

❖ **٤ ـ أُمَّة الإسلام بين الماضي والحاضر ٥٩**
الحضارة الإسلاميَّة المشرقة ٦٠
الحروب الصليبيَّة ٦٢
زحف التتار ٦٣
أمتنا اليوم ٦٦
ماذا تملك أُمَّة الإسلام؟ ٦٧
الأمة قادرة على المواجهة ٧٠

❖ **٥ ـ وقفة للأمَّة على رأس العام ٧٥**
العيد الحقيقي ٧٥
انتصار الإخوة المقاومين في العراق على التجبُّر الأمريكي ٧٨
الفشل في تحقيق التنمية ٧٩
الفشل في معالجة مشكلة الفقر والبطالة ٨٠

QaradawiBooks.com

الفشل في تحقيق الحرية والديمقراطية ٨٠
قضيَّة فلسطين ٨١
قتال رجال المحاكم الشرعيَّة في الصومال ٨٤
قضيَّة دارفور في السودان ٨٥
الاقتتال الطائفي في العراق ٨٧
إعدام صدام حسين ٨٨

❖ **٦ ـ بين ابتلاء الفرد وابتلاء الأمَّة ٩٤**

❖ **٧ ـ الابتلاء وحكمته ١١٠**
الابتلاء طبيعة الحياة ١١٠
تعرض المؤمن للابتلاء ١١١
أثر الابتلاء على المؤمن ١١١
المحن والأزمات وأهمية مراجعة النفس ١١٢
الأمة الإسلامية وتوالي الابتلاءات والمحن ١١٣
محنة المرتدين ومانعي الزكاة ١١٤
محنة الصليبيين ١١٥
محنة التتار ١١٧
الاستعمار الغربي لبلاد الإسلام ١١٩
الجهاد الأفغاني ١٢٠
ثورة المساجد في فلسطين ١٢٠
أزمات اليوم ١٢١
قمة التحرير والتغيير ١٢١
حتى يغيروا ما بأنفسهم ١٢٢
محنة كبرى ١٢٢
الإسلام هو طوق النجاة ١٢٤

❖ **٨ ـ دعائم المجتمع الإسلامي ١٢٧**
أثر الهجرة في إقامة المجتمع المسلم ١٢٧

QaradawiBooks.com

دعائم المجتمع الجاهلي ١٢٨
١ ـ الشرك ١٢٩
٢ ـ العصبيَّة ١٢٩
٣ ـ التظالم ١٣٠
٤ ـ الفوضى ١٣٠
٥ ـ الطغيان ١٣٠
دعائم المجتمع الإسلامي ١٣١
١ ـ التوحيد ١٣١
٢ ـ الإخاء ١٣٣
٣ ـ الاقتصاد ١٣٧
٤ ـ النظام ١٣٩
٥ ـ الحماية والأمن ١٤٠
هذا هو رسول الله ١٤٢

❖ **٩ ـ الوحدة الإسلاميَّة وكيف يبنيها الإسلام؟ ١٤٨**
الكون يدعو إلى التعاون ١٤٨
الإسلام يسعى لإيجاد المسلم المتوافق مع نفسه لا الممزق ١٤٩
الأسرة المترابطة ١٥٢
المجتمع الحي المتماسك ١٥٣
التكافل المجتمعي في الإسلام ١٥٤
التواصل والتعاون في إطار الدولة الواحدة ١٥٥
وحدة أمة الإسلام الكبرى ١٥٦
إدراك الشعوب لمعنى الأمة الواحدة ١٥٧
أفكار مستوردة فرقت الأمة ١٥٨
الغزو الفكري وأثره في وحدة الأمة ١٥٩
لن يوحد أمتنا إلَّا الإسلام ١٦٠
سبب ضعف الأمة ١٦١
لا يعود كيان الأمَّة إلَّا إذا ربطناها بالإسلام ١٦٣

QaradawiBooks.com

انتهاكات في القدس ١٦٥

وحدة السودان ١٦٦

❖ **١٠ ـ أين نحن من الإسلام؟ ١٦٨**

أصبحنا هدفا لكل طامع ١٦٨

قوة أمتنا منوطة بتمسكها بالإسلام ١٦٩

مجد المسلمين في عصور الإسلام الأولى ١٧٠

الأمة الإسلاميَّة مُمزَّقة ١٧١

نملك القوَّة المادِّيَّة ١٧٢

نملك القوَّة الرُّوحيَّة ١٧٢

نملك رسالة الإنقاذ للعالم ١٧٣

وقفة مراجعة ومحاسبة ١٧٣

المسلمون أمة واحدة لا أمم شتى ١٧٥

لم نستفد من قوتنا البشريَّة ١٧٥

لم نستفد من قوتنا المادِّيَّة والاقتصاديَّة ١٧٦

لم نحسن الاستفادة من قوتنا الرُّوحيَّة ١٧٧

نحن واليهود ١٧٧

أين نحن من الإسلام؟ ١٧٨

تجمع اليهود وتفرقنا ١٧٩

مشروع الصندوق العالمي الإسلامي ١٨١

برقية تأييد من وزير التربية والتعليم ١٨٢

❖ **١١ ـ رسالة الأمَّة الإسلاميَّة ١٨٤**

الأمَّة الإسلاميَّة ١٨٥

الشُعَبُ الثلاث لرسالةِ الأمَّة ١٨٥

١ ـ عبادة الله وحده ١٨٦

٢ ـ فعل الخير ١٨٧

٣ ـ الجهاد في سبيل الله ١٨٨

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **١٢ ـ ضرورة العودة للإسلام الصحيح ١٩٥**
طاقات الأمة الإسلاميَّة ومواردها ١٩٥
ضعف الأمة رغم هذه الطاقات ١٩٦
أحداث تدمي القلوب ١٩٦
وهم كاذب ١٩٨
كيف تستفيد الأمة من طاقاتها؟ ١٩٨
الأمة بغير الإسلام لا شيء ١٩٩
من طلب العزة بغير الإسلام أذلَّه الله ٢٠٠
الفترات المضيئة في حياة الأمة تقترن بالإسلام ٢٠٠
نور الدين محمود ٢٠١
صلاح الدين الأيوبي ٢٠٣
الإسلام الشامل ٢٠٤
تفرق الأمة شيعا وأحزابا ٢٠٦
استخدام عدونا شعار فرِّق تسُد ٢٠٧
الدعوة إلى الوفاق بين المسلمين ٢٠٨
سبب ضياع دولة المسلمين في الأندلس ٢٠٨
الروح الصليبيَّة عند الغرب الآن ٢١٠

❖ **١٣ ـ إقامة المجتمع الصالح ٢١٤**
الأخوة الإنسانيَّة والأخوة الدِّينيَّة ٢١٥
عناصر الأخوة ٢١٦
الأخوة الوطنية القومية ٢٢١
دعوة لمناصرة سوريا ٢٢٩

❖ **١٤ ـ المسلمون في عالم اليوم ٢٣٣**
حال المسلمين اليوم ٢٣٣
سبب التخلف ٢٣٤
من المسؤول عن هذا التخلف؟ ٢٣٤
الأمة كلها مسؤولة ٢٣٦

QaradawiBooks.com

الأُمَّة الإسلاميَّة تملك أسباب القوَّة والتقدم ٢٣٧
أولًا القوَّة البشريَّة ٢٣٧
ثانيًا القوَّة الاقتصاديَّة ٢٣٨
ثالثًا العمق الحضاري والبعد التاريخي ٢٣٩
رابعًا القوَّة الرُّوحيَّة ٢٣٩
خصائص رسالة الإسلام ٢٤٠
النصرانية واليهودية عاجزة عن إنقاذ البشريَّة ٢٤٠
سبب التخلف والضعف ٢٤١
هذه أمة مبعوثة ٢٤٣
من يقدم هذه الرسالة وكيف؟ ٢٤٤
أمة الإسلام قابلة أن تنهض ٢٤٥
لا بد من الرجوع إلى الإسلام إيمانًا وفهمًا وتطبيقًا ٢٤٦

❖ **١٥ ـ مسؤوليَّة الكلمة ٢٤٩**
أمانة الكلمة ٢٥٠
الله تعالى يعلم السر وأخفى ٢٥٠
الحفظة الكرام الكاتبين ٢٥١
ووجدوا ما عملوا حاضرا ٢٥١
على المسلم أن يحافظ على كلماته ٢٥٢
شكر الله على نعمة البيان ٢٥٣
يموت الإنسان وتبقى كلماته ٢٥٣
قدر الكلمة في الإسلام ٢٥٤
أكثر خطايا الإنسان من اللسان ٢٥٥
آفات اللسان في الدنيا ٢٥٧
خطر اللسان في الآخرة ٢٥٨
العاقل يجعل عقله قبل لسانه ٢٥٩
قمة الجنوب والعدالة المفقودة ٢٦١
دعوة لإنقاذ مركز إسلامي في كندا ٢٦٤
شكر واجب ٢٦٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **١٦ ـ الحقائق الثلاث ٢٦٧**
غلبة اليأس على أبناء الأمة ٢٦٧
انهزام المسلمين في مجالات كثيرة ٢٦٨
الصليبيَّة ومحاربتها للإسلام ٢٦٨
مجازر الصليبيَّة تقع على مشهد من العالم المتحضر ولا يفعل شيئًا ٢٦٩
سلبيَّة المسلمين أمام هذه المجازر ٢٦٩
انهزام المسلمين أمام الصهيونيَّة ٢٧٠
مشكلات البلاد الإسلاميَّة والعربيَّة كثيرة ٢٧٠
بلاد الإسلام ترزح تحت الدُّيون ٢٧٠
حرب الخليج الأولى والثانية وأثرهما على الأُمَّة ٢٧١
تمزُّق الأمة الإسلاميَّة ٢٧١
الفتنة بين الحكام والمحكومين ٢٧١
الغرب يُعَادِينا فكيف نحاوره؟ ٢٧١
التخويف من الإسلام المعتدل ٢٧٢
الإسلام لا يكون معتدلًا ٢٧٢
حرمة اليأس والقنوط ٢٧٣
النظر إلى الصورة المضيئة لا الصورة المظلمة ٢٧٣
الجوانب المضيئة في الصحوة الإسلاميَّة ٢٧٤
الصحوة أحيت الجهاد في الأُمَّة ٢٧٤
الصحوة وتديُّن المرأة المسلمة ٢٧٥
القوة الذاتيَّة في الإسلام ٢٧٥
الإسلام أعظم مُؤَثِّر في جهاد الأُمَّة ٢٧٥
الإسلام لن يهزم أبدًا مهما كانت الشدائد ٢٧٦
انتصار الإسلام على التتار ٢٧٦
التَّتار يدخلون في الإسلام ٢٧٧
انتصار الإسلام دينيًا ٢٧٧
الإسلام إذا ضُيِّق عليه انتصر في مكان آخر ٢٧٧

QaradawiBooks.com

العثمانيُّون يفتحون القسطنطينيَّة ٢٧٨
سقوط الشيوعيَّة ٢٧٨
الحضارة المادِّيَّة لا يمكن أنْ تدوم ٢٧٨
المُبَشِّرات بانتصار الإسلام ٢٧٩
المُبَشِّرات من القرآن ٢٧٩
المُبَشِّرات من السُنَّة ٢٨٠
الإسلام يعود إلى أوربا بعد أن أخرج منها ٢٨١
المُبَشِّرات من الواقع ٢٨١
الإنسان الغربي فقد الرسالة والغاية الحقيقيَّة ٢٨٢
حقائق ثلاث أؤكدها ٢٨٢
الحقيقة الأولى المستقبل لهذا الدين ٢٨٢
الحقيقة الثانية الأجر على قدر المعاناة ٢٨٢
الحقيقة الثالثة نحن مطالبون بالعمل والدعوة لا بالنتائج ٢٨٣
المهمُّ هو الثبات على الحقِّ ٢٨٤

❖ **١٧ ـ عقوق الوالدين ٢٨٨**
تمزق الأسرة عند الغربيين ٢٨٨
فرضية بر الوالدين ٢٩٠
عقوق الوالدين ٢٩١

❖ **١٨ ـ صلة الرحم ٢٩٧**
إحسان الصّلة بالله ثمَّ بالنَّاس ٢٩٧
حقوق ذوي القربى ٢٩٨
الإعانة في الشدائد ٢٩٩
الإنفاق عند الإعسار ٢٩٩
صلة الرحم طريق إلى الجنَّة ٣٠١
صلة الرحم تطيل العمر وتوسّع الزرق ٣٠٢
صلة الرحم من أفضل الأعمال ٣٠٤
قطيعة الرحم تحجب المغفرة ٣٠٥

QaradawiBooks.com

حقُّ الأقارب بعد حقِّ الوالدين ٣٠٧

يوسف الصدّيق يعفو عن إخوته ٣٠٨

صلة الرحم تُكَفِّر الخطايا ٣١٠

❖ **١٩ ـ من وصايا سورة الإسراء ترشيد الاستهلاك ٣١٢**

الإسلام لا يحرّم الطيبات ٣١٢

لا إسراف ولا تقتير ٣١٤

خطر المباهاة والمكاثرة ٣١٦

إرهاق النَّفس بالاستدانة ٣١٧

إنفاق النَّاس فيما لا حاجة لهم به ٣١٨

الإساءة في استهلاك المال العام ٣٢٠

❖ **٢٠ ـ من وصايا سورة الإسراء جريمة قتل الأولاد ٣٢٢**

أولًا النهي عن قتل الأولاد ٣٢٢

جناية الجاهلية على الإنسان ٣٢٣

ثانيًا دوافع الجريمة البشعة ٣٢٤

ثالثًا مقاومة دوافع الجريمة ٣٢٥

رابعًا بشاعة الجريمة ٣٢٩

حماية النسل ٣٣٢

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٣٧**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٣٥٣**

• **فهرس الموضوعات ٣٦٠**

* * *

QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

١٨٠ ـ خطب الشيخ القرضاوي (١٧) ٥

١٨١ ـ خطب الشيخ القرضاوي (١٨) ٣٨٥

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com